

البيان في تاريخ جزارق وحسبر وخزلق

(من الدولة السعودية الأولى حتى معاهدة الطائف)

١١٥٧-١٣٥٣هـ

١٧٤٤-١٩٣٤م

الجزء الثاني

تأليف
عبدالله محمد رافع
والله

م.أ. يحيى محمد السعدي

المجلد
مكتبة
عبد الرحمن
الناصر

في تاريخ جزاران وحسير وخزان

(من الدولة السعودية الأولى حتى معاهدة الطائف)

١١٥٧-١٣٥٣هـ

١٧٤٤-١٩٣٤م

الجزء الثاني

تأليف
عبد الرحمن محمد راجح
قلاو

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م

القاهرة

مقدمة

استكمالاً لما سبق من هذه الدراسة فى الجزء الأول عن كل من مناطق "جازان وعسير ونجران" نقدم لك - أيها القارئ الكريم - الجزء الثانى منها، وهو يشمل الفترة منذ قيام الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى حتى العهد الحاضر، فى إيجاز واختصار وتركيز، والإطار الزمني والمكاني، وما طرأ من التغيرات والأحداث محلياً ودولياً، وأحوال شبه الجزيرة العربية، فى ذلك الوقت، تتأثر بما حوّلها وبما للقوى الدولية من مصالح ونفوذ.

ولو أطلقنا للقلم العنان لكبر المجال وطالت المسافة.

والقارئ المعاصر له مشاغله وعليه التزاماته، يضيق وقته فى استكمال قراءة الصحيفة اليومية فضلاً عن كتاب يحتوى على مئات الصفحات.

وفى الوقت نفسه مطلوب توضيح الحالة، فقد كانت شبه الجزيرة العربية قد فقدت اسمها وعروبيتها أو كادت، وأصبحت ضمن خريطة الإمبراطورية العثمانية كسائر البلاد التابعة لها، ليس لها كيان خاص، فأضحت وكأنها لم تكن هى التى حملت مشاعل الإسلام ورايات

الفتوح، وأنارت ظلمة جهالة الكون فى ذلك التاريخ، حتى أن
خريطتها أصبحت ضمن خريطة الإمبراطورية العثمانية وجزءاً منها،
واسمها ضمن الرعايا العثمانيين، الذى عمم على كل من استظل بالراية
العثمانية، فلا حدود تميزها ولا خصائص تشفرد بها عن تلك الإمبراطورية
المتزامية الاطراف فى أوربا وأسيا وبعض أفريقيا. حتى أتاح الله قيام
الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى، التى نقت الإسلام من
الخرافات والبدع وأعادته إلى العصور الأولى فى عهد الخلفاء الراشدين
وترامت حدودها من مشارف الشام وحدود العراق إلى جبال حجة
وكونكان وباب المنذب.

فرأت الدولة العثمانية تلك النهضة المباركة والبعث الجديد،
وإحياء معالم الدين، والنهضة الإسلامية الحقّة، والعريضة السّدى
واللّحمة، ماينذر بزوال نفوذها وطّي صفحة استعمارها.

فشمرت عن ساق الجحد، وأسندت إلى محمد على القيام بالمهمة،
ووجدت تأييداً من بعض الدول الأوربية، التى لهما مصالح فى بقاء
الحال على ما هو عليه، لأن الدولة العثمانية فى ذلك التاريخ كانوا
يسمونها بالرجل المريض، وتلك الدول تنتظر وفاته فى الصباح والمساء،
فشمر عن ساق الجحد، وكان ماكان من تقويض تلك النهضة، وإطفاء

تلك الشعلة، وإنما كان ذلك لفترة وجيزة ومدة قصيرة، وظل لها وميضها وبريقها الظاهر والخفي، مشتعل في الصدور، كما قيل^(١):

كأنى "بعين" الشعر أرمقُ فكرةً
تجول "بذهن" بدت "العُجم" والغربا
بدت شعلة حراء يضرها اللُجى
فتخبو ويذكيها اليقين إذا هبّا
فإن عصفت "نكباء" خطب توهجت
برغم احتلال الخطب واستعرت شبّا
إلى أن سرى فى ضوئها العرب للعلا
وعَمَّ سنى لتلايها الشرق والغربا

إلى أن قبض الله إعادة تلك النهضة، ورجوع ذلك البعث على يد صقر الجزيرة وبانى نهضتها الحديثة عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود.

حرصين فى الوقت نفسه على الإيجاز والاختصار دون الإخلال بالمواضيع المهمة، متحاشين التكرار ومتجنبين الدخول فى الزيادة المخلّة، وألا يكون ذلك على حساب العرض التاريخي والسرد الموضوعي.

وقد أعانى مجهود من سبقنى من أبناء هذه البلاد، وما كتب وألف من مؤلفات كانت خير عون لى على إنجاز هذه المهمة الشاقة والعمل الجاد، اعتمدت على المراجع الأساسية وبعض الوثائق العربية

(١) المجموعة الشعرية الكاملة للعقيلي ص ٢٢١.

والأجنبية وبخاصة العثمانية، كما أني استفدت من مؤلفات الشيخ
العقيلي وكذا من مؤلفات الأخوة الأكاديميين دون تحديد أسماء أصحاب
هذه المراجع، وعلى ضوء مصنفاتهم اهتدينا إلى مسيرتنا لنقدم هذه
الإضافة التي لم تعد كونها خليجاً من بحر، أو رافداً من نهر ما كتب
وما سوف يكتب.

أسأل الله التوفيق، وأن يرزقني التواضع، ويلهمني الصواب،
والله على كل شئ قدير، وما توفيقي إلا بالله.

المؤلف

الباب الأول

امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى تلك المناطق،

واستمرارية الولاء

- الفصل الأول: الوضع فى هذه المناطق إبان ظهور الدعوة السلفية.

- الفصل الثانى: دخول هذه المناطق فى طاعة الدولة السعودية الأولى.

- الفصل الثالث: وجود جيش محمد على باشا الوالى العثمانى لمصر، فى هذه المناطق.

- الفصل الرابع: علاقة تلك المناطق بالدولة السعودية الثانية.

الفصل الأول

الوضع فى هذه المناطق إبان ظهور الدعوة السلفية.

كانت منطقة جازان وعسير ونجران، مثل غيرها من مناطق شبه الجزيرة العربية، بل الاقطار العربية والإسلامية كافة، قد تفتشى فيها منذ زمن بعيد، الانحراف عن مبادئ الدين القويم، وانتشار البدع والخرافات، بين عامة الناس وخاصتهم، ودخل الانحراف إلى العقيدة الإسلامية من أوسع أبوابه، عن طريق الصوفية وغيرها، واختلق أرباب المنافع والأهواء مفاهيم للولاية والوليّ والأولياء، وأطلقوها على متبوعيهم، وغالوا فى إطرائهم، وأظهار كراماتهم، وفى مدحهم والثناء عليهم إلى درجة أن نسبوا إليهم الكشف عن الغيوب، التى لا يعلمها إلا الله - والعياذ بالله - وارتقوا بسلوكياتهم إلى درجة العصمة من الخطأ، التى لا يوصف بها إلا الأنبياء عليهم السلام، وحاكوا حولهم أقاصيص وروايات ليستحذوا بها على عقول العامة.

وأصبح الناس يقصدون الأولياء، وصارت أضرحتهم مطلباً تُشدُّ إليه الرحال .. يتباكون أمامها، ويتمسحون بها، ويتشفعون بأصحابها لطلب منفعة أو لدفع مضرة .. بل صاروا يلومون من لم يزرها ويترك بها،

ويُرجعون أسباب الكوارث التي نحل بهم، لتقصيرهم في زيارتها، وتقديم
النور لها!!^(١)

وصار في كل بلد يوجد إما قبر أو جماد أو نبات، خلعت عليه
أسطورة لاستدراج العامة إليه، بغرض تعظيمه، والتقرب إليه، والاستشفاع
أو الاستغاثة به، ثم تقديم النور، والعطايا، والهدايا، التي تدخل جيوب
فئة من المتفعين، الذين لا يهمهم صواب أو صحة العقيدة، بقدر ما يهمهم
استمرار الوضع على ما هو عليه، لاستمرار نفعهم، هم وذريتهم من
بعدهم.

ثم كان عصر الماليك، ومن عاصره من حكام وأمراء الدول
العربية والإسلامية، فرأوا أن تُضفى عليهم هالة من التبجيل والإطراء، على
نسق ما كان يضافى على الأولياء، فأطلقوا على أنفسهم العديد من
الألقاب، تزيد أحياناً عن عشرة ألقاب^(٢). بما يوحى بأنه فوق الحساب، ولا
رقيب عليه، أو أنه وذريته من طبقة مميزة عن بقية المسلمين^(٣) وترتب على

(١) حسين بن غنام، روضة الأفكار والافهام لمرئاد حال الامام، وتعداد غزوات ذوى الاسلام، ج ١، ص ٧-١٤.
(٢) انظر ما أضافه الماليك على أنفسهم من ألقاب، وهو العهد الذي انتشرت فيه الصوفية إلى العامة والخاصة، في
كتاب صبح الأعشى، للقلقشندي.

(٣) انظر: حسين محمد نصيف، ماضى الحجاز وحاضره، ص ١٧، ٢٨٩-٣٠٩، حيث قال إن أبا نعي، محمد بن
بركات (ت ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م) كان قد أصدر قانوناً سمي باسمه "قانون أبي نعي" اشتمل على ٦٣ مادة، جعل
فيه الأشراف طبقة ممتازة لها حقوق وأعمال يجب ألا يمارسها العامة، وحرم على الرعية التناول بأى حال على
الأشراف، أو معارضة نفوذهم .. وعمل بهذا القانون فترة ثم توقف العمل به، لكن الشريف حسين بن عليّ
أحياه في عهده، وزاد عليه بعض المواد التي تعطى حقوقاً ومكاسب للأشراف. دون الرعية.

هذا فقدان العدالة الاجتماعية، وتلاشى نزاهة الحكم عن الأهواء والأغراض، واستعمال أساليب القهر والظلم، وتبعه عدم الاستقرار الإدارى والسياسى، والصراع على السلطة، والاخلال بالأمن، وانتشار الفتن والاضطرابات، والسلب والنهب، حتى استشرى الفساد فى البر والبحر.

وحتى لأنهم بالمغالاة فى الوصف، أو إعطاء صورة قائمة عن الوضع السائد فى المنطقة، أو نجد، أو الحجاز، أو حتى اليمن مثلاً، فيما قبل الدعوة السلفية، من حيث عدم الاستقرار الإدارى والسياسى فى شبه الجزيرة بصفة عامة، وهو الاستقرار الذى يتبعه النمو الاقتصادى، والازهار المعيشى، ويسود من خلاله الأمن، ويطمئن الناس فيه على أرواحهم وأموالهم، وذريعتهم، بما يمكن أن يطلق عليه مجتمع دين، آمن، مستقر.

إن جانباً واحداً من قتامة هذه الصورة قد أتى من عدم الاستقرار الإدارى والسياسى، الناشئ عن الصراع على الحكم، والوصول إلى السلطة، بأي ثمن، وبأية وسيلة، حتى لو كان الثمن قتل الأخ أحياه، فى الأشهر الحرم^(١) أو فى المسجد الحرام^(٢) الذى جعله الله آمناً بأمان منه

(١) اسماعيل حقى أوزون، أمراء مكة فى العهد العثمانى، ترجمة الدكتور خليل مراد، ص ١٢٣، ١٢٤، وفى غيرها، عن الأشراف الذين سعوا إلى السلطة بالقوة والغلبة.

(٢) فمثلاً: وقعت معركة داخل المسجد الحرام، بين الشريف غالب بن مساعد وبين منافسه ابن أخيه الشريف عبد الله بن سرور بن مساعد وذلك فى نهاية شهر صفر ١٢٠٤هـ (نوفمبر ١٧٨٩م) استخدمت فيها البنادق والمدافع، التى تطايرت منها إحدى الشظايا على جدران الكعبة، وانكسر على إثرها جزء من الحجر الأسود =

سبحانه وتعالى، منذ عهد الخليل ابراهيم عليه السلام، وحافظ العرب فى جاهليتهم على الالتزام بأمانه، إلا فيما ندر، وجاء الإسلام ليؤكد هذا الأمان، فنجد أن الصراع يمتد على السلطة فى هذه الأماكن الآمنة، ويمارس البعض من طلاب السلطة أعمال السلب والنهب، تماماً مثل قبائل البادية التى دفعتها قسوة الظروف للإقدام على ذلك .. وقد قام بعض الولاة العثمانيين فى جدة، وأمراء الحج المصرى والشامى بإشغال الفتن أحياناً بين أشرف مكة لمآربهم الشخصية.

الظروف نفسها مرت بها جازان التى كانت تمتد حدودها الجنوبية لتشمل حرض وما حولها فى معظم الأحيان، حتى حلىّ بن يعقوب شمالاً، منذ عهد بنى طرف مروراً بالسليمانين حتى آل خيرات^(١) منذ أن تمكن

-- وعندئذ تدخل العلماء وكبار القوم وطلبوا من المتقاتلين إيقاف القتال، ونقل صرايحهم وقتلهم خارج مكة، انظر: اسماعيل حقى أوزون، المصدر السابق، ص ١٢٣، ١٥١، وانظر أيضاً هامش ص ١١٩ من المرجع نفسه. وفى ص ١٢٠ يقول: بلغ القتلى فى المعارك التى دارت بين الشريف سعد بن زيد، والشريف عبد الكريم بن محمد فى شوال ١١١٦هـ (١٧٠٤م) حوالى ٦٠٠ قتيل، وقيل ١٢٠٠، وأن رؤوس القتلى قد فصلت عن الأجسام ثم جمعت وكوّمت فوق بعضها على شكل تلّ ووضعت أمام سبيل السلطان مراد فى الملعى لارهاب الناس. وانظر أيضاً: مرآة جزيرة العرب، لأيوّب صبرى باشا، ترجمة. دكتور فؤاد متولى، والدكتور الصفصافى أحمد المرسى، ج ١، ص ١٠٨. ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، فيما نقله عن الجورتى، ص ١٠٦.

^(١) العقيلى، تاريخ المخلّاف السليمانى، ج ١، ص ٣٨٩، ود. أحمد بن عمر الزيلعى، المصدر السابق، ص ٧٢، ٧٨، ١٩٠.

الشریف أحمد بن محمد بن خیرات^(١) من کسب ودّ العلماء والزعماء
المحلّین، وتولّى السلطنة علی أبو عریش^(٢) وما حولها عام ١١٤١هـ، ثم
انتقلت الولاية بعده هكذا:

- ابنه محمد بن أحمد من عام ١١٥٤هـ حتى وفاته عام ١١٨٤هـ،
فیما عدا عام واحد انتزع السلطنة منه عمه حوزان بن محمد.

- حوزان بن محمد بن محمد بن خیرات. تولّاها لمدة عام تقريباً، ثم استعادها
منه ابن أخیه محمد بن أحمد، وظل حتى وفاته.

- أحمد بن محمد بن أحمد، تولّاها بعد وفاة أبيه، فی المرة الأولى
عام ١١٨٤هـ، ثم تنازل عنها لأخیه حیدر بن محمد عام
١١٨٦هـ.

- حیدر بن محمد بن أحمد، تولّاها بعد تنازل أخیه أحمد عام
١١٨٦هـ، ثم انتزعها منه عمه الحسن بن أحمد عام ١١٨٨هـ.

(١) التاريخ التقریبی لانتقال خیرات بن شبیر بن بشیر من ذوی زید الحسنین، إلى المخلّاف، كان عام ١٠٧٧هـ
تقریباً، وبعد ما یقرب من ٦٠ عاماً تولّى حفیده أحمد أول سلطنة لآل خیرات، علی أبو عریش وماحولها، بولاء
اسمی لإمام الیمن.

(٢) لفظ "أبو عریش" مرکب إضافی، من کلمتین، ولعلماء النحو طریقان فی إعرابه: إما أن تظهر حركات
الاعراب علی جزئه الأول والثانی مضاف إلیه، أو أن یعتبر كلمة واحدة، وتظهر علی الجزء الثانی فقط، وهذا
ما اخترناه ولذا لن نضعه بین قوسین، وكذا ما یشبهه من الاسماء المركبة.

- الحسن بن أحمد بن محمد بن خورات من عام ١١٨٨هـ حتى عام ١١٩٠هـ

- أحمد بن محمد بن أحمد (للمرة الثانية) من عام ١١٩٠هـ حتى عام ١١٩١هـ.

- عليّ (فارس) بن محمد بن أحمد من عام ١١٩١هـ حتى منتصف عام ١١٩٢هـ تقريباً.

- يحيى بن محمد بن أحمد من منتصف عام ١١٩٢هـ حتى نهاية العام.

- أحمد بن محمد بن أحمد (للمرة الثالثة من بداية عام ١١٩٣هـ، لعدة أشهر).

- يحيى بن محمد بن أحمد (للمرة الثانية) من منتصف عام ١١٩٣هـ تقريباً حتى عام ١٢٠٥هـ.

- عليّ بن حيدر بن محمد من عام ١٢٠٥هـ ثم تنازل عنها لعمه حمود بن محمد (أبو مسمار) عام ١٢١٦هـ، وفى عهد عليّ بن

حيدر هذا بدأت تنتشر فى المخلاف (جازان) الدعوة السلفية^(١).

وبنظرة أولية، ودون أن ندخل فى تفاصيل الأحداث التاريخية، يستطيع أي باحث أن يحكم بأنه كان هناك صراع على السلطة بين أبناء الأسرة الواحدة، وأن الصراع فى الغالب كان دموياً، استخدمت فيه كل الوسائل الممكنة، وصولاً إلى الغاية المنشودة - وهى السلطة - غلبةً وقهراً فى معظم الأحيان، وانتفى بذلك الاستقرار الإدارى والسياسى، وما تبعه من عوامل سلبية سادت المنطقة.

كان من أسوأ المظاهر السلبية إستعانة أمراء آل خيرات بقبائل يام من نجران، لتوطيد حكمهم. مما حدا بقبائل يام لزيادة أطماعهم فى المنطقة، إما بفرض إتاوات، أو المزيد من أعمال السلب والنهب، وتدخلهم فى شئون الحكم فى جازان، بمناصرة أمير على آخر، وادخال الرُّوع فى قلوب بعضهم، حتى أن الأمير أحمد بن محمد (ت ١١٩٨هـ) الذى تولى الإمارة ثلاث مرات، كان يرتجف قلبه عندما يعلم بقلومهم إلى أبو عريش، فيتنازل عن الإمارة لأحد إخوته حتى لا يواجههم^(٢) وأحياناً كانت

^(١) اعتمدنا فى ترتيب أسماء ولاة آل خيرات، وسبب حكمهم على ما أورده استاذنا الشيخ محمد بن أحمد العقيلي فى كتابه "تاريخ المخلاف السليماني" ج ١، ص ٣٨٧-٤٣١.

^(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٩، ٤١٦، ٤١٧، ٤٢٣.

تتم الاستعانة بقبائل وادعة عبيدة من خارج المنطقة، وقحطان، وهم من قبائل عسير^(١) بالإضافة إلى بطون من حاشد وبكيل^(٢).

كانت هذه الاستعانات بقبائل من خارج جازان تكلفهم باهظاً، فيضطرون إلى فرض ضرائب، أو مصادرة بعض الأموال، حتى ضاقت صدور الأهالي، وقبائل المنطقة، بالإضافة إلى وجود منافسين من القطبيين والخوارجيين الذين كانوا يحكمون المخلاف فيما مضى، ولاتزال تطلعاتهم إلى الحكم قائمة، مما يوحى بعدم الاستقرار.

كما كان من نتيجة عدم الاستقرار الإخلال بالأمن، وشيوع الفتن والاضطرابات، وفقدان الثقة بين الناس، وتخزيات البلدان والقبائل بعضها على بعض، وامتهان بعض القبائل أعمال السلب والنهب، وهنا تطلعت نفوس المصلحين، وذوى الهمم العالية في جازان (المخلاف السليماني) إلى البحث عن مخرج .. وكان وقع الأحداث في نجد - من أثر الدعوة السلفية ذاك الوقت - يهز القلوب، فكان الاتجاه صوب الدعوة، ومقرها في الدرعية، حيث أصلحت من أحوال نجد ما أفسدته جهالة الجاهلين. من بدع وخرافات، وفتن وعداوات^(٣)، فدخلت في صراع مع المناوئين، ولأنها دعوة حق فقد نصرها الله على خصومها، بل تحول معظم هؤلاء

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٦، ٤٢٣.

(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠٦.

(٣) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٨٠-٣٨٦.

المعادين بالأمس إلى مناصرين لها، يشد بعضهم أزر بعض، فى تفران لم يعرف له مثيل إلا فى صدر الاسلام .. وكان هذا مشار دهشة لمن هم حول بنجد، فبدوا يمعنون النظر فى أمرها حتى عرفوا أنها الحق .. فوجهوا ركبهم إليها، وكان فى طليعة أهل جازان إليها الداعية الشيخ أحمد بن حسين الفلقى، من أهل صيبا. وعرار بن شار من بنى شعبة.

أما عسير السراة فإن الوضع فيها - قبيل ظهور الدعوة - كان يختلف نوعا ما عنه فى جازان، فقد لوحظ أنه لم تقم فيها إمارات جمعت كافة بلدان عسير وقبائلها تحت رئاسة مركزية واحدة، مثلما كان الشأن فى جازان، فلم تشر المصادر التاريخية الموثوق بها إلى شئ من هذا القبيل، بل إن بعضها أشار إلى أن الرئاسات فيها كانت مستقلة، وإلى أنه ليس لأحد سلطان عليهم^(١) وأن رؤساء البلدان والقبائل كانوا هم المهيمنون على مناطق بلدانهم وقبائلهم، منذ زمن بعيد، وبخاصة آل يزيد، وبنو مغيد، وعلكم، ورفيدة، وربيعه، وبنو مالك، وغيرهم من قبائل عسير، وكانت لهم رئاسات لكنها مرتبطة أكثر بمكة المكرمة. فى حين أن قبائله الجنوبية مثل قحطان الجنوب، ووادعة، وعبيدة، وغيرها كثيرا ما كان يستعان بها فى المنازعات التى كانت تحدث فى اليمن، وفى جازان أيضاً، وذلك بمقابل نظير مشاركتهم. دون أدنى ولاء لأيّ منهم على تلك القبائل المتعددة.

(١) العقيلي، عسير فى أطوار التاريخ، ص ٥٣، ٥٤، ٥٨.

لكن الغالب على تلك الرئاسة كان كثرة المنازعات إما بغرض التوسع وفرض النفوذ، أو البحث عن مغنم ومصدر رزق وبخاصة عندما تجذب الأرض، وعندها تشيع الفتن والاضطرابات، ويُفتقد الأمن والأمان .. لذا تطلعوا هم أيضاً إلى الدعوة الإصلاحية، لإصلاح أمر دينهم ودنياهم.

عرف عن اليامين من قديم، الشراسة وقوة الشكيمة فى النزال، ولهذا فطالما استُعين بهم، نلاحظ أن أئمة اليمن استعانوا بهم فى صراعهم بعضهم مع بعض، أو مع خصومهم من العثمانيين وغيرهم، بمقابل نظير هذه الاستعانة، وعندما حاولوا بسط نفوذهم عليهم، منذ عهد الامام الهادى^(١)، رفضوا هذا النفوذ، وعندما تسرب إليهم المذهب الاسماعيلى، واعتنقوه^(٢) استحكم العداء بينهم وبين أئمة اليمن، حيث اتسم بالعداء العقائدى، كما استعان بهم أشرف جازان، ومع أن أرضهم من أجود البقاع الزراعية، منذ الجاهلية، إلا أنهم لم يهتموا بها بما فيه الكفاية، وامتنعوا أعمال الغزو والسلب، ربما لأنها توافق طباعهم، وتشبع رغبتهم

(١) الامام الهادى يحيى بن الحسين الرسى، أول الأئمة الزيدية فى اليمن، حكم خلال الفترة من عام ٢٨٤ - ٢٩٨ هـ (٨٩ - ٩١١ م).

(٢) قيل إن مبادئ المذهب الاسماعيلى تسربت إليهم منذ عهد على بن الفضل (ت ٣٠٣ هـ) على نطاق ضيق، ولم ينتشر إلا بعد أن قدم إلى نجران الداعي محمد بن اسماعيل بن ابراهيم المكرمى عام ١١٢٧ هـ حتى توفى عام ١١٢٩ هـ فخلفه مكرمى آخر، وصار للمكارمة الرئاسة الدينية والدنيوية على يام .. وبهذا نستنتج أن قبيلة العجمان وبني مرة نزلت عن نجران بعد هذا التاريخ، ربما لرفضها عدم الدخول فى المذهب الاسماعيلى، واصرارها على بقائها على مذهب أهل السنة، وربما يكون سبب النزوح غير ذلك.

فى امتشاق الحسام، والضرب والنزال .. لالمبدأ وإنما لمغنم، وأطلق عليهم أنهم جنود مرتزقة^(١).

ونلاحظ أن خصومة اليامين بقيادة المكرمى حسن بن هبة الله، للدعوة السلفية فى بدء أمرها، لم تكن خصومة عقائدية، مثلما كان الحال بينهم وبين أئمة اليمن، وإنما كانت بدافع الرغبة فى البحث عن الغنمة، فإذا ما حصلوا عليها عادوا من حيث أتوا، فقد استجابوا لاستغاثة أقربائهم العجمان، وكانت موقعة حابر سبع بين الخرج والرياض عام ١١٧٨هـ، وانتصر فيها المكرمى بما يشبه الخديعة، وقدم إليه ابن دواس، وزيد بن زامل، رئيس بلد "الدم" وغيرهم مهنيين بالنصر، وحاملين له الهدايا، وفى الوقت نفسه يحثون المكرمى على المضى إلى الدرعية، للقضاء على الدولة الناشئة، ومن ثمّ تملكها، لكن المكرمى الذى عجز عن اقتحام الدرعية، وهزم أمام دفاعاتها، عرف أنه لن يستطيع القضاء على الدولة التى يُرغّبونه فى القضاء عليها، لذا قنع بما حصل عليه من مغنم وهدايا، ولم يستجب لتلك الاغراءات، وعقد صلحاً مع قادة الدرعية تبودلت فيه الأسرى، وعاد إلى نجران^(٢) ثم قدم مرة أخرى عام ١١٨٩هـ، أى بعد أحد عشر عاماً، استجابة لاغراءات ابن زامل، وحويل الودعاني، وبطين بن عريعر رئيس الأحساء، الذين وعدوه ببذل الأموال بسخاء، فقدم ونزل حابر سبع، ثم تحول منها إلى بلدة ضرما، وكانت فيها مرابطة بعثها إليها الامام

(١) العقيلي، المخلاف السليماني، ج١، ص ٤٢١.

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، ج١، ص ٩٣-٩٦.

عبد العزيز بن محمد، فتكاتف أهل ضمرا والمرابطين فى التصدى له، وانزلوا به هزيمة قبل أن تصلهم نجدات الدرعية فانسحب منها عائداً إلى نجران، بعد أن قبض المقابل ممن استدعوه^(١) وظل قابلاً فى ديرته، مبتعداً عن الدخول فى نزاعات مع قادة الدرعية، إلى أن دخل ماحوله من بلدان فى طاعة الدولة السعودية، فلم يجد معظم سكان نجران، مفرأ من بذل الولاء، مما سنعرضه فيما بعد.

ومما يلاحظ أن استقلالية اليامين بقيادة المكارمة على مواطنهم بنجران، كانت شبيهة باستقلالية الرئاسات فى بلدان نجد قبل الدعوة، إلا أنها لم تمنع من وجود نوع من الترابط، أو التحالف مع بواى نجد وبلدانها من قديم، وربما يعود ذلك إلى أنهم كانوا يعتبرون أرض نجد امتداداً طبيعياً لمواطنهم، حتى أن البطون والعشائر اليامية التى كانت ترغب فى النزوح عن نجران لأى سبب كان، كالعجمان وآل مرة، كانت تتجه إلى بادية نجد، دون أن تتجه جنوباً أو غرباً، وأن بادية نجد - وبخاصة الجنوبية منها - كانت تتجه إليها بعض قبائل وبواى نجران للمرعى والكلاء، مما يشير إلى أنهم سواء، ولا يقيمون بينهم فواصل طبيعية، أو إدارية .. ولم تشر المصادر التاريخية على مدى علمى، إلى أنهم غزو أرض نجد قبل الدعوة، مثلما كانوا يفعلون ذلك بأرض اليمن، وهذا يدل على وجود حد معين من التوافق، والانسجام، وامتزاج الأعراق والعادات،

(١) ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٠، ١٢٥، ١٢٦.

على أقل التقديرات، إن لم يكن هناك ترابط وتحالف مع كثير من بوادي وبلدان نجد، اتباعاً للعرف السائد بين القبائل التي لم تكن تخضع لحكم سياسى مركزى يُحكّم تصرفاتها، ويحد منها، وهى قبائل وبلدان وسط شبه الجزيرة العربية فى ذاك الوقت.

الفصل الثاني

دخول المناطق فى طاعة الدولة السعودية الأولى

الدعوة والمولاة

كان التفكك السياسى هو السمة البارزة لتاريخ نجد منذ زوال الدولة الأخيضرية عام ٣٦٠ تقريباً^(١) حيث قامت بنجد رئاسات وكيانات مستقلة على المدن والقبائل، ولم يستطع أيّ منهم جمع المنطقة تحت سلطة مركزية موحدة .. وبالرغم من أنه قامت فى الأحساء إمارات ذات سلطة ونفوذ كالعيونيين^(٢) وآل حجر^(٣) وبنو خالد^(٤) وغيرهم، وكان

^(١) بنو الأخيضر، حكام اليمامة (الخضرمة) من ذرية السبط الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما، وكان اسماعيل بن يوسف بن ابراهيم بن موسى الجون، قد استولى بالغلبة على مكة المكرمة من يد جعفر بن الفضل بن عيسى العباسى، الوالى عليها من قبل الخليفة المستعين، عام ٢٥١هـ، ثم انطلقت إلى المدينة المنورة فاستولى عليها ايضاً لكنه توفى بالجدري عقب ذلك، فتولى الأمر بعده أخوه محمد بن يوسف، الملقب بالأخيضر، ثم انتقل إلى نجد وانشأ فيها دولة الأخيضرين، واتخذ بلدة اليمامة قاعدة للدولة، واستمر حكمهم حوالى قرن، حكم فيه منهم ثلاثة عشر حاكماً، ثم زال حكمهم فى نجد على يد القرامطة عام ٣٦٠ تقريباً، ولم يستمر حكمهم فى مكة والمدينة فى البداية كثيراً إذ تغلبت عليهم قوات الدولة العباسية، انظر: أيوب صبرى باشا، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٥-٨٧، وقد ورد فيه أن حكمهم انقضى عام ٣٥٠هـ، لكنه على ما يبدو استمر إلى عام ٣٦٠هـ.

^(٢) العيونيون، من بنى عبد القيس، أول حاكم منهم هو عبد الله بن على العيونى، وعلى يديه زالت دولة القرامطة فى الأحساء حوالى عام ٤٦٦هـ، وعلى انقاضها أسس دولة له ولأسرته من بعده، استمرت حتى منتصف القرن السابع الهجرى تقريباً. (٣) و (٤) بعده --

لبعضهم نفوذ فى نجد، أو فى بعض مناطق منها، لكنه لم يكن نفوذاً سياسياً متكاملًا، بحيث يمكن أن يوصف بأنه جمع الأحساء ونجد تحت سلطة مركزية موحدة، وفق متطلبات وأسس قيام الدولة ذات الكيان المستقل، وكان شأن نجد كذلك بالنسبة للأشراف فى الحجاز، فقد حاولوا بسط نفوذهم باسم الدولة العثمانية، أو المالك قبلهم، يبدلون الرغبة أو الرهبة فى إظهار النفوذ، فلا يتمخض ذلك إلا عن علاقة لاترقى إلى مستوى الولاء .. وظلت نجد قرونًا عديدة لاتخضع لسلطة مركزية، لذا رسخ فى نفوس أهلها - حاضرة وبادية - النزعة الاستقلالية، المتمسكة باستمرارية تلك الرئاسات والكيانات الصغيرة، حتى لو كانت لها مساوئ فادحة، وتعمق لديهم النفور من الاندماج فى كيان واحد، ودولة واحدة، ولعل هذا هو السبب المباشر الذى دفع بعضهم فى البداية، لمقاومة نفوذ الدولة السعودية، لاحتوائهم وصهرهم فى بوتقة دولة واحدة، واستغرق ذلك أكثر من أربعين عاماً متواصلة^(١) وحين توحدت نجد ظهرت قوتها

(١) آل جبر، أو الجبور، أقاموا دولة لهم فى الأحساء فى النصف الأول من القرن التاسع الهجرى حتى الثلث الأول من القرن العاشر تقريباً - كان من أشهرهم أجود بن زامل - الجاسر، العرب، ج ٧ ص ١، ص ٦٠٥، ٦٠٦، وآل عبد القادر، محمد بن عبد الله، تحفة المستفيد...، ج ١، ص ١٢٠، ١٢١.

(٢) استطاع براك بن غزير آل حميد، أحد زعماء بنى خالد، الذى كان والياً على الأحساء من قبل العثمانيين، الاستقلال بها عن ولاية كل من البصرة وبغداد، ولم يعد للعثمانيين إلا ولاء اسمى، منذ عام ١٠٧٦هـ وقيل عام ١٠٨٠هـ، واستمرت إمارة الخوالد إلى أن دخلت الأحساء تحت حكم الدولة السعودية الأولى عام ١٢٠٨هـ.

بعد العديد من الحروب ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٢٠٦.

(٣) د. العثيمين، عبد الله الصالح، بحوث وتعليقات فى تاريخ المملكة العربية السعودية، ص ١٦، ١٣٧.

الحقيقية، وأصبحت كالمراد الذى انطلق، يحول شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً، يدافع عن نفسه، ويرد عداوة المعادين.

قضية البدء بالعداوة، وتطورها إلى الصدام المسلح المتوالى، الذى اعتبر من أبرز السمات الملازمة لحياة الدولة السعودية الأولى، نلاحظه من خلال استقرار الأحداث المعاصرة لها .. كما نلاحظ أن حتمية ذلك الصدام قد فرض عليها.

فنبذ البدع والخرافات التى كانت قد شاعت فى المجتمعات الإسلامية، والعودة إلى ماكان عليه السلف الصالح، من سلامة المعتقد، والعبادة الخالصة لله، والعمل بالكتاب والسنة، والمأثور عن الصحابة رضى الله عنهم أجمعين، والالتزام بما أمر الله به ونهى عنه، وتطبيق ماشرعه الله على عباده من فرائض، وحدود، وغير ذلك .. كل هذا بمجمله هو ماعرف بـ "الدعوة السلفية"^(١) أو الدعوة الإصلاحية، التى نادى بها من قبل الامام ابن تيمية^(٢) ثم جاء الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد

(١) غالب الظن أن مصطلح "الدعوة السلفية" لم يستعمل فى عهد ابن تيمية، ولا فى عهد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن كل ماكان يتردد هو "العودة إلى ماكان عليه السلف" أو .. أهل السلف " أى عهد الرسول ﷺ، وعهد الصحابة والتابعين وتابعيهم، أى بما يغطى زمنياً حوالى ثلاثة قرون، وأن اصطلاح "الدعوة السلفية" أو "الدعوة الإصلاحية" استعمل حديثاً.

(٢) هو الامام: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية، ولد بمران فى الشام عام ٦٦١هـ، ونشأ فى أسرة علمية، فكان عالماً فذاً، مجتهداً، لاتأخذه فى الله لومة لائم، وقد سببت له جرأته فى قول الحق العديد من الاضطهادات، حتى سجن ومات فى سجنه بدمشق عام ٧٢٨هـ. بعد أن ترك تراثاً ضخماً، مصنفاته تزيد على خمسمائة مجلد. د. محمد يوسف موسى، ابن تيمية، ص ١١٦، ١١٧.

الروهاب^(١) فأحيا هذه الدعوة، عندما رأى أن البدع والخرافات، وكافة أنواع المنكرات قد انتشرت فى نجد وغيره من المجتمعات الإسلامية .. فكان حريئاً بكل من تناهت إلى اسماعه تلك الدعوة ألايستنكرها، أو يتمادى فى عداوتها، فلقد نودى بها من قبل.

عاد الشيخ من رحلته العلمية إلى بلدة حريملا، التى كان والده قد انتقل إليها من العيينة، وبدأ يعلن دعوته الإصلاحية، ثم مال بث والده أن توفي عام ١١٥٣هـ فعاد إلى العيينة مسقط رأسه، ووجد من أميرها عثمان ابن معمر موازنة لما يدعو له، وكشأن كل دعوة إصلاحية جديدة على أى مجتمع، كان لها أنصار ولها معارضون.

اتخذ الشيخ أسلوب الحوار العلمى، أثناء مناقشاته ومناظراته للعلماء المعارضين كوسيلة لاقتناعهم بصواب مايدعو إليه، متبعاً منهج البحث الفقهي المبني على استنباط الأحكام من أدلتها الشرعية، وهو المنهج الذى كان كان سائداً بين العلماء الأوائل فى عصر ازدهار الاجتهاد، وترسيخ الأحكام للعلوم الشرعية بصفة عامة .. وهو عصر اتسم بالانفتاح الفكرى للرأى الآخر، ومقارنته بالحجة والبرهان، لالاربهة والطفيان .. ولعل

(١) الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الروهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد، الوهيبى، التميمى، ولد عام ١١١٥هـ، بالعينة على مسافة حوالى ٤٥ كيلو شمال الرياض، من بيت علم، وقد دفعه طموحه العلمى إلى الرحلة فى طلب المزيد من العلم، فرحل إلى المدينة المنورة، والبصرة، والأحساء، وخلال اقامته فى تلك البلدان كان يناقش علماءها فى مسائل عديدة، ومنها مايشوب العقيدة من بدع وغرافات .. ثم عاد إلى نجد ليعلن دعوته .. توفي عام ١٢٠٦هـ. انظر: ابن غنام، روضة الأفكار، ج ١، ص ٢٥-٣٠.

رسائل الشيخ - وهى عديدة - إلى هؤلاء المعارضين، داخل نجد وخارجها^(١) وكذا مؤلفاته الكثيرة، دليل ذلك النهج الذى سلكه الشيخ، واتبعته الدولة، لاقتناع الخصوم عن رغبة لارغبة.

كان فى طليعة المعارضين من علماء نجد المحليين سليمان بن سحيم من الرياض، وعبد الله المويس من حرمة، اللذان عجزا عن مجازاة الشيخ محمد فى قوة حجته، وخشيا من نتيجة فشلهما، وضياع هيبتهما فى أعين الناس، فلجأ إلى أسلوب آخر، وهو الاستنصار بعلماء المناطق الأخرى، واستعداؤهم على الشيخ .. ومن ثم الإيعاز إلى القوى السياسية المتمثلة فى حكام تلك المناطق للتدخل والقضاء على الدعوة قبل استفحال أمرها.

أرسل ابن سحيم رسالة إلى علماء البصرة والأحساء، هاجم فيها الشيخ، واستنهض همتهم للوقوف إلى صفهم والرد عليه^(٢) وكان من نتيجة ذلك أن دخل حلبة الصراع حاكم الأحساء، سليمان بن محمد آل حميد، زعيم بنى خالد، الذى بعث يهدد الأمير عثمان بن معمر، ويطلب

^(١) جمع الشيخ حسين بن غنام، فى كتابه "روضة الأفكار .." فى الفصل الثالث من الجزء الأول، معظم رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، التى أرسلها إلى العلماء للمعارضين، المعاصرين له، فى نجد والأحساء، وعلماء الحجاز. وقام الشيخ عبد الرحمن بن قاسم بجمعها وجمع كثيراً من رسائل علماء الدعوة، فى كتابه "الدرر السنية فى الأحوبة النجدية" كما قام الشيخ سليمان بن سحمان بجمع مجموعة أخرى فى كتابه "الهدية السنية والتحفة النجدية الوهابية" وأخيراً قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بجمع تلك الرسائل وطباعتها. بمناسبة اسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذى أقامته عام ١٤٠٠هـ، وانظر أيضاً: د. العثيمين، بحوث وتعليقات، ص ٩١-١١٣، حيث حلل موقف ابن سحيم من الدعوة تحليلاً جيداً.

^(٢) د. العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٧٥، وابن غنام، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٠-١١٣.

منه اخراج الشيخ من العيينة. وبعد تردد طلب ابن معمر من الشيخ الخروج، ولو لفترة، فخرج الشيخ إلى الدرعية عام ١١٥٧هـ لأن له فيها تلاميذ وأنصاراً، وفي مقدمتهم إخوة الأمير، على أمل أن يجد في أميرها مناصراً له، ففي نفوذه منعة، وحصن يقيه غائلة المعادين، وصدق حَدَسَ الشيخ فقابلهُ الأمير محمد بن سعود^(١) وتم الاتفاق بينهما على مناصرة الدعوة، وكان ذلك بمثابة إعلان ميلاد دولة لها مبادئ في المنطقة^(٢) دولة تحمي الدعوة، وتلتزم بتطبيق الشريعة، كما كان عليه أهل السلف.. وتتخذ من الحوار العلمي الشرعي منهجاً لاقناع الخصوم، والقبول بما تنادي به من إصلاح أمر الدين والدنيا، قبل أن تلجأ إلى الاحتكام للسيف، كأخر المراحل للانقياد لما أمر الله به، ونهى عنه. وفق تعاليم الشريعة.

وما أن استقر الشيخ في الدرعية، وعقد حلقات التدريس، حتى توافد إليه مؤيدوه من البلدان الأخرى، بعضهم استقر عنده، والبعض الآخر عاد إلى بلده لينشر الدعوة فيها، وانضمت بعض بلدان العارض طوعية إلى الدولة الجديدة، خلال عامين من استقرار الشيخ في الدرعية، وبهت أعداء الدولة من سرعة نموها فقرروا العمل على وقف هذا النمو

(١) الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان بن إبراهيم بن موسى بن ربيعة بن مانع المريدي، تولى حكم الدرعية عام ١١٣٩هـ، وبعد ثمانية عشر عاماً من توليه قدم إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فأواه ونصره، وتصدى لهجمات خصوم الدعوة والبلولة، على مدى ٢٢ عاماً، فكان النصر حليفه، توفي عام ١١٧٩هـ فخلفه ابنه الإمام عبد العزيز بن محمد.

(٢) د. العثيمين، بحوث وتعليقات، ص ٢٤، وابن بشر، ج ١، ص ٤٢.

المتزايد، فبدأ دهام بن دواس عام ١١٥٩هـ بمهاجمة بلدة منفوحة التي انضمت للدولة، فكانت الدولة ملزمة بالوقوف بجانب أنصارها^(١) وانضم إلى دهام بعض المناوئين من أمراء البلدان الأخرى، وكان على الدولة أن تدافع عن نفسها، وبذلك دخلت فى مرحلة جديدة، من الصدام المسلح الذى فرض عليها. ولذا ورد فى إحدى رسائل الشيخ محمد مايويد هذا إلى حد ما، إذ قال: "وَأما القتال فلم نقاتل أحداً إلا دونه النفس والحرمة، وهم الذين أتونا فى ديارنا، ولا أبقوا مكنأ"^(٢).

ودخل زعماء بنى خالد، حكام الأحساء، حلبة الصراع بصورة فعلية هذه المرة، فقد كان سليمان بن محمد بن غرير السبب فى اخراج الشيخ من العينة وذهابه إلى الدرعية عام ١١٥٧هـ، ثم انشغلوا ببعض الفتن الداخلية التى حالت بينهم وبين الإقبال إلى نجد إلا فى عام ١١٧٢هـ، حيث قدم عُزَيْر بن دُجَيْن، الذى كان أمر الأحساء قد آل إليه، مستتفراً أهل الأحساء، وعربانه، وكذا ما يأنس منهم من بلدان نجد وعربانه، لكنه لم يوفق^(٣) وقدم مرة أخرى عام ١١٨٨هـ، ولم يكن حظه فيها بأفضل من الأولى^(٤) وبعدها تحول ميزان القوى لصالح الدولة السعودية — وبخاصة بعد توحيد مناطق نجد عام ١٢٠٠هـ — مقارنة

(١) ابن بشر، عنوان المجد، ج ١، ص ٥٠-٥٣.

(٢) د. العيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٩٣.

(٣) ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ٨١، ٨٢.

(٤) ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ١٢١، ١٢٢.

بالأحساء، فاصبحت فى موقف المهاجم بدل المدافع، إلى أن ضمت الأحساء إليها عام ١٢٠٨هـ^(١).

أما أشرف الحجاز فقد اتخذوا موقفاً معادياً، بناء على أخبار وصلتهم مشوشة ومختلقة، ربما عن طريق علماء نجد المعارضين، فقد كان الشريف مسعود بن سعيد بن زيد، هو الذى يتولى الإمارة فى مكة ذلك الوقت^(٢) وكانت ظروفه المادية صعبة بسبب المنازعات بينه وبين ابن أخيه محمد بن عبد الله بن سعيد، الذى كان ينافسه على الإمارة، وقد استدان مبالغ من أمير الحج الشامى، وأمير الحج المصرى عام ١١٤٧هـ، لتسديد التزاماته، كما رفع للباب العالى يطلب المزيد من المخصصات لمواجهة زيادة النفقات، وطلبات بعض الأشراف، فصدر الأمر السلطانى بايقاف إرسال الهدايا التى كان يرسلها أمراء وأشرف مكة إلى الباب العالى، والوزراء، وذلك لاكتفائهم أولاً، وحاجتهم لأمان تلك الهدايا ثانياً، وأبلغ الشريف مسعود بذلك عام ١١٤٨هـ^(٣) لكن يبدو أن أزمته المالية ظلت

^(١) ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٤-٢٠٦، وآل عبد القادر، محمد بن عبد الله، المصدر السابق، ج ١، ص ١٢٣.

^(٢) الشريف مسعود بن سعيد بن سعد بن زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبى نعى (الثانى) ابن بركات، عين فى شرافة مكة بعد ابن أخيه محمد بن عبد الله بن سعيد عام ١١٤٥هـ (١٧٣٣م) ثم أجز على تركها لابن أخيه بعد ثلاثة أشهر من توليه، ثم عاد فتولاها عام ١١٤٦هـ، وظل بها إلى أن توفى يوم ١١٦٥/٣/٢هـ (١٧٥٢/٢/١٨م) فتولاها بعده أخوه مساعد بن سعيد، انظر: اسماعيل حقى جارشللى، المصدر السابق، ص ١٣٨، ١٣٩، وأيوب صبرى باشا، المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٩.

^(٣) اسماعيل حقى جارشللى، المصدر السابق، ص ١٣٨.

قائمة لفترة طويلة، ولهذا فهو ينتهز الفرصة بين الحين والآخر ليرفع إلى الباب العالى لزيادة المخصصات لمواجهة الأعباء، وما أن تناهت إلى اسماعه الأخبار المشوشة عن الدعوة والدولة حتى بادر بالرفع إلى الباب العالى عام ١١٦٢هـ (١٧٤٩م) فى خطاب يتضمن التهويل من شأن الدعوة والدولة^(١) كى يحفز الباب العالى على سرعة إرسال الأموال والإمدادات لمواجهة هذا الخطر، فجاء الرد فى صورة أمر سلطاني متضمناً السير إلى الشخص المذكور - الشيخ محمد بن عبد الوهاب - والعمل على استئصاله هو واتباعه (هكذا !!) لاجتهاداته الباطلة، ومخالفته للمذاهب الأربعة (هكذا !!) وأنه قد أنعم عليه بمبلغ ٢٥ كيس رومى من الأقحات من خزينة مصر عام ١١٦٣هـ، لأجل تسديد رواتب ومؤن العساكر الذين سيقومون بهذه المهمة^(٢) وفى الوقت نفسه كُلف عثمان باشا - متصرف جدة، ووالى ولاية الحبش (فالحبشة: أى جزء من أرضها الحالية ثم

(١) كان مما تضمنه خطابه: أنه ظهر شخص فى إحدى قرى نجد، يدعى محمد بن عبد الوهاب، يصدر اجتهادات مخالفة للمذاهب الأربعة، ويضل الناس، وأنه استطاع التأثير على كثير من البلدان والقبائل بنجد، وأنها بحاجة إلى الامدادات والمعونات لزجره هو واتباعه. حيث تمكن من كسب سكان المنطقة إلى جانبه بكل الحيل، حيث لم يعد ممكناً التقرب (الاقترب) من تلك الاطراف، وإن التقاعس بخصوص هذا الشخص، سيؤدى إلى ظهوره أكثر، وسيحتاج عندئذ إلى قوات أكثر عدداً لمحاربتة .. انظر: اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٢) اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص ١٣٩، وهامش الصفحة نفسها، وهى من تعليق المترجم، وقد أتى بالصورة الكاملة للأمر السلطاني، المحفوظ فى أرشيف رئاسة الوزراء، وثائق الداخلية، تصنيف حوادث رقم ٦٧١٦، شوال ١١٦٤هـ. وفى خطاب الأمر السلطاني المشار إليه، جاءت الإشارة إلى الخطاب المرفوع من الشريف مسعود، وترديد لبعض ماورد فيه من معلومات عن الدعوة، والاتهامات الموجهة إلى صاحبها، وإلى اتباعه .. مما أوضحناه عليه.

الصومال وجيبوتي كانت خاضعة لولاية جدة ذاك الوقت) وشيخ الحرم
المكي - بالتعاون مع شريف مكة فى هذه المهمة، بناء على الأمر السلطاني
المشار إليه.

وكان من نتيجة الفكرة الخاطئة، والمعلومات المختلقة التى تلقاها
الشريف مسعود عن الدعوة وأتباعها، قيامه بالقبض على الحجاج
التجدين، الذين ذهبوا كالعادة لأداء فريضة الحج موسم ١١٦٢هـ،
وحبسهم وبعضهم مات فى الحبس، مع أنهم كانوا حجاجاً عاديين، ولم
يكونوا مؤهلين للعمل على نشر الدعوة فى الحجاز، أو بين الحجاج
الوافدين إلى الموسم^(١) واستمر الشريف مسعود فى منع حجاج نجد من
أداء فريضة الحج، وتبعه فى ذلك أخوه مساعد بن سعيد .. ولاريب أن
الحيلولة بين المسلم وآدائه الفريضة التى فرضها الله عليه، هو تجاوز فى
استغلال السلطة فى غير ما هو مشروع، ومن المفارقات أن هذا المنع حدث
أيضاً لأهل نجد فى عهد الشريف حسين بن على إبان تصعيده خلافاته مع
الملك عبد العزيز، وكان ذلك من دواعى الاقدام على ضم الحجاز عام
١٣٤٤هـ (١٩٢٥م).

^(١) ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٩، ٦٠، ود. العثيمين، تاريخ المملكة، ج ١، ص ١٢٤-١٢٦، وقد ناقش
الدكتور العثيمين مأورده ابن دحلان فى هذا الصدد، وفنده، حيث زعم أنهم كانوا ثلاثين عالماً، وأوردهم
المؤرخ التركى، سليمان عزي، بأن عددهم كان ستين رجلاً.

المهم أن العداوة التي كانت نتيجة لتلك المعلومات المختلفة، أخذت تتصاعد، وصعب معالجتها بالوسائل السلمية بعد ذلك فى عهد الشريف غالب بن مساعد (١٢٠٢هـ - ١٢٢٨هـ) عندما بعثت الدرعية أحد العلماء لمناظرة علماء مكة^(١) ووقع الصدام المسلح الذى طال مداه فى هذه المنطقة، حتى استولت عليها القوات السعودية عام ١٢١٧هـ^(٢).

وعلى كلِّ فمأ أوردناه فيما سبق باختصار، يعطى دلالة أكيدة على أن الدعوة الإصلاحية قد تبنت منهج الحوار الفكرى، والانفتاح على الرأى الآخر، ونهجت أسلوب المناظرات لمعارضتها، مع ماكانوا يوجهونه إليها من أبشع الاتهامات والافتراءات .. وأن الدولة السعودية الأولى منذ نشأتها، كانت مسالمة للغاية، ولم تكن هى البادئة بالعداوة، وإنما فرض عليها القتال، وظلت فترة فى موقف المدافع عن وجوده، بينما الخصوم يجمعون لها الجموع الحاشدة .. ثم آن للمظلوم أن ينتصر .. ولمن نصر

^(١) كان الشريف غالب بن مساعد قد طلب من زعماء الدرعية إرسال عالم لمناظرة علماء مكة، فبعثوا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين، الذى سبق له أن ذهب إلى مكة فى سفرة ممثلة عام ١١٨٥هـ، فى عهد الشريف أحمد بن سعيد، وحمل معه رساله إلى الشريف أحمد بن سعيد، أوردها ابن غنام، روضة الأفكار، ج ١، ص ١٢٣، وقد ناظر الشيخ الحصين علماء مكة فى ثلاث مسائل واحتكموا إلى الكتب والمراجع الفقهية، وأخيراً سلم علماء مكة بأنه ليست هناك مخالفة لأى أمر من أمور الدين. وانظر هامش عنوان الحمد لابن بشر، ج ١، ص ١١٧، وابن غنام، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٤، ١٤٥.

^(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٦٣، وقيل: إنه وقعت أكثر من خمسين وقعة بين حكام الدرعية والشريف غالب، فى الفترة من عام ١٢٠٥ - ١٢٢٠هـ، ابن دحلان، خلاصة الكلام، ص ٢٦٧، ٢٦٨، وهامش ص ١٥٣ من كتاب: أمراء مكة المكرمة فى العهد العثمانى، لاسماعيل حقى.

شرع الله أن ينصره الله، فثبت الله الأقدام .. وانقلب ميزان القوى، فتحول المدافع إلى مهاجم.

ومادمنّا فى معرض تحسس بعض القضايا التى كانت تثار فى غمار السرد التاريخى من قبل المناوئين فى أى موقع كانوا، للنيل من الدعوة والدولة، واستعراض الشواهد التاريخية على مدى مصداقية ماكان يثار، أو يردد من مغالطات ضدهما .. فإن هناك قضية لا تقل أهمية عما سبق طرحه، فلقد صوروا الدولة وقادتها وأنصارها الوهابيين^(١) بأنهم ملكوا ماملكوه بالرهبة لالارغبة، وأخضعوا فى سبيله الرقاب والعباد بسيفهم! . متناسين هذه الحوارات والمناظرات العلمية التى أشرنا إليها، وأن المعارضة حينما فشلت فى العثور على الأدلة الشرعية التى تؤيد بها رأيها، لجأت إلى القوى السياسية، التى تطور الموقف بدخولها إلى الميدان، وتحول النقاش العلمى المسالم، إلى خصومة وعداوة سياسية، احتكم فيها إلى السيف، وكان البادئ فى استعماله هم المعادون، وفرض القتال على الدولة .. كما سبق أن ذكرنا. فلما تحول المدافع إلى مهاجم — وهذا حقه للدفاع عن كيانه ووجوده، ومن ثم إبلاغ دعوته، وتوطيد شرع الله — إدّعوا أنهم

^(١) كان يحلو للمناوئين للدولة السعودية الأولى فى البداية إطلاق هذا المسمى بغرض التشنيع والتشويه لهم، لكنه أصبح فيما بعد مألوفاً، عندما عرف العالم الحقيقة، وأن مدلوله أناس متمسكون بأمر دينهم. لذا استعمله أنصارهم، واستعمله أيضاً بعض علمائهم ومؤرخيهم .. ونحن نتحدث عن الوقت المبكر من حياة الدعوة والدولة، والذى كان اللفظ قد أطلق فيه للتشنيع .. وامتلات المصنفات المعادية للدولة السعودية الأولى بالكثير من المغالطات والافراءات .. ولاتعنى مؤلفاً بذاته .. وإنما الجميع فيه سواء، وإن تفاوتت درجة الحدة فى بعضها عن البعض الآخر.

ملكوا مملكوه بالرهبة لبالرغبة .. وتناسوا أيضاً أن آثار الدعوة، وامتداد مؤثراتها إلى بعض المناطق والبلدان فى نجد، وفيما جاور نجد كان سابقاً لامتداد نفوذ الدولة، فبعض بلدان نجد دخلت فى الدعوة، وأعطت الطاعة والولاء للدولة قبل أن تشهر الدولة سيفها فى وجه خصومها^(١) ونلاحظ أن آثار الدعوة امتدت أيضاً إلى بعض المناطق المجاورة لنجد، قبل أن يمتد إليها نفوذ الدولة، وأقوى دليل على هذا هى منطقتنا المعنية بالدراسة، عسير وحازان، بل إن آثار الدعوة امتدت إلى معظم شبه الجزيرة العربية. وإلى خارجها، واصبح بها مناصرون ومؤيدون، دون أن تمتد إليها نفوذ الدولة أصلاً.

نلاحظ ذلك فى استجابة بعض العلماء وتأييدهم للدعوة، وهم فى مناطق أخرى نائية من بلاد العرب، فمثلاً ممن أيدها وناصرها فى وقت مبكر - ولم يكن نفوذها قد شمل نجد بعدُ - العالم اليمنى الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعاني، المتوفى عام ١١٨٢هـ^(٢) المعروف بالأمير الصنعاني، فرغم أنه كان يتولى منصب الوزارة، وقاضى القضاة فى عهد كل من الإمام المنصور، وابنه الإمام المهدي من أئمة اليمن^(٣) وكان له دور بارز

(١) د. العنيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٨٩، ٩٥، د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ج ١، ص ٦٣، ١٦٢.

(٢) ترجم له تلميذه الإمام الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ج ٢، ص ١٣٣، وابن بشر، عنوان المجتد، ج ١، ص ١٠٦، ١١٢.

(٣) الإمام المنصور الحسين بن القاسم، تولى الامامة عقب وفاة أبيه القاسم بن حسين بن القاسم بن المؤيد، عام ١١٤٠هـ وتوفى عام ١١٦١هـ فتولى الامامة بعده ابنه الإمام المهدي العباس بن الحسين حتى توفى عام -

فى تهدة الأوضاع الساسفة فى الهمن لصالأ هذفن الإمامفن؁ ومع ذلك لم فمعه منصبه من مناصرة الدعوة وتأفدها؁ عندما عرف حقفتها؁ وأنها تدعو إلى العودة إلى ماكان علفه السلف؁ ولم فمخدع بافتراءات خصومها؁ كما أفدها تلمفذه الإمام الشوكانى^(١) كذلك أفدها من أأار شبه الجزيرة العربفة المورأ المصرى عبء الرحمن الجفرى؁ وتعاطف مع أنصارها فى كتاباته؁ وندد بفصرفات محمد على باشا ضدها^(٢) وففر هؤلاء كثفرون^(٣)

==١١٨٩هـ فتولى عبءه ابنه الامام المنصور على بن العباس؁ الذى دخلت الدعوة الاصلاأفة؁ وامتد نفوذ الدولة السعودفة فى عهده إلى بعض مناطق الهمن حتى جنوب الءفءة. وتوفى عام ١٢٢٤هـ؁ فتولى عبءه ابنه الامام المتوكل أأء بن على؁ الذى توطدت فى عهده السفاة السعودفة على المناطق التى سبق السفطرة علفها فى تهامة الهمن وفتأوزت الفتراأت السعودفة كلا من الءفءة وتعر وأشار صاحب نففع العوء ص١٧٧؁ إلى دخول أألاف أأفة فى طاعة السعودفن؁ وفى ص١٩٤؁ عن وصول عمال من الدرعة فشفرون على أأارأ تهامة الهمن واتأفوا الأفة مقراً لهم؁ وفى الصفأات التالية لذلك استولت السرافا السعودفة على المأ؁ وحبس؁ ودخل أهلها فى الطاعة؁ ودخل صاحب كوكبان فى الدعوة وأعلن الطاعة؁ حتى قءمت إلى المنطقة القوات العثمانفة المصرفة بقاءة محمد على باشا. انظر المقتطف؁ للأرافى؁ ص٢٥٠-٢٦١؁ وتارفأ الهمن؁ للراسعى؁ ص٢٢٨-٢٣١.

^(١) أفى رأى الشفأ محمد بن عبء الوهاب بقصفءة بلفقة؁ عند وفاته عام ١٢٠٦هـ؁ وأشاد فى القصفءة نفسها بآل سعود وأأوءهم فى نشر الدعوة. عبء الرأفم عبء الرحمن؁ للمصدر السابق؁ ص٦١؁ ٦٢؁ ومقدمة الأأقفق لكتاب نففع العوء؁ للشفأ محمد بن أأء العقفلى؁ ص٤٥.

^(٢) وذلك فى كتابه "عأائب الآثار فى التواأم والأأبار" المشهور باسم؁ تارفأ الجفرى؁ وقد استأخلص الأستاذ محمد أءفب أأالب مافعلق بأأبار الأأاز وفأء؁ من تارفأ الجفرى؁ وأأعه فى كتاب بعنوان "من أأبار الأأاز وفأء فى تارفأ الجفرى" طبعته دار الهمامة؁ عام ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م. ولد عبء الرحمن بن حسن الجفرى عام ١١٦٧هـ (١٧٥٤م) وتوفى عام ١٢٤٠هـ تقرفاً (١٨٢٥م).

^(٣) هناك العفء من الدراسات والأأوات تناولت موضوع انتشار؁ أو أثر الدعوة الاصلاأفة فى العالم الاسلامى؁ من ففنها كتاب "انتشار دعوة الشفأ محمد بن عبء الوهاب؁ أأار الجزيرة العربفة" للأستاذ محمد كمال أأعه؁==

ولسنا فى مجال الحصر أو الاحصاء، ولكن نستعرض الشواهد التى تعطى دلالة بأن الدعوة ونفوذ الدولة لم يمتد بالرهبة إلى المناطق التى امتدت إليها.. ومنطقتنا اكبر شاهد على هذا، كما سنوضحه فيما يلى.

الجنوب الغربى الجديد

أما فى منطقتنا المعنية بالدراسة - جازان وعسير ونجران - فإن موقف كل منهم كان مختلفاً إلى حد ما، بالنسبة إلى سرعة الاستجابة لمؤثرات الدعوة الإصلاحية، ومن ثم إلى الانضواء تحت ظلال الدولة الجديدة، وقد خضع هذا التفاوت فى الاستجابة لعدة اعتبارات من أهمها أن قيادة اليامين فى نجران اتخذت من البداية موقفاً عدائياً لظروف مختلفة، كما سبق أن أوضحنا جزءاً منه، ثم رضخت أخيراً، وأيضاً السلطة المركزية فى جازان (المخلاف السليماني) التى خشيت من فقدان نفوذها فقاومت فى البداية ثم استسلمت، وأعلنت الطاعة فاستمر لها نفوذها. أما عسير فلم تكن فيها سلطة مركزية موحدة، لذا كانت استجابتها أسرع، ودورها ريادياً فى المنطقة.

ومن الملاحظ أنه فى بداية انتشار الدعوة، وعقب تردى الأوضاع الدينية والسياسية فى المنطقة، والتى سبق أن أتينا على ذكر بعض ملامحها

-- طبعته داره الملك عبد العزيز بالرياض. وكتاب "أثر الدعوة الوهابية فى الحياة الاجتماعية والعمرانية" للشيخ محمد حامد الفقى، القاهرة عام ١٩٣٥م.

فى الفصل السابق لهذا، نرى أن مؤثرات الدعوة قد استحوذت على أفضة ذوى الهمم من أبناء المنطقة، الذى ينشدون الاصلاح لمواطنهم وبلدانهم، التى استشرى الخل فى أركانها، فاتجهوا إلى الدعوة، أملاً فى اصلاح أمور دينهم وديانهم، لاسيما وانهم رأوها قد أصلحت من كانوا أمثالهم، ورعا فاقوهم شططاً وفرقة، فجعلتهم قلباً واحداً، وأمة واحدة، فى دولة واحدة لم يعهدوا لها مثيلاً وسط شبه الجزيرة العربية منذ مئات القرون .. لذا حثوا مطاياهم الاسراع صوب الدرعية.

وباستقراء الأحداث عند نشأة الدولة السعودية الأولى^(١) يلاحظ أنها اتخذت مبدأ السبق للدخول فى الدعوة والانضمام إلى الدولة كمييار للأفضلية والحفاظ على الكيان والمكانة، بمعنى أنه إذا دخلت إحدى البلدان، فى الطاعة، وتقدم رئيسها جميع الأهالى لإعلان ولائهم، وما يستتبع ذلك من أمور شرعية، كاعطاء الزكاة، استمرت إمارته على بلده، وأمدته الدولة بالعلماء والقضاة والمرشدين، طالما كانت البلدة بحاجة إليهم، وكذا أمدته بالمال والسلاح وغيره، فإن نقض العهد أبعد عن الإمارة بأى أسلوب كان، وولت الدولة أميراً على البلدة غيره، فإن عاد تائباً أعادت إليه الدولة إمارته، أو ولته إمارة أخرى، كما نلاحظ أن هناك بعض الأمراء أو القواد الذين بادؤوا الدولة بالخصومة أو العداوة، ثم عادوا

^(١) كل من تاريخى ابن غنام، وابن بشر ملأ بمثل تلك الوقائع التى تدل على هذا المبدأ الذى سارت عليه الدولة السعودية الأولى، من حيث أفضلية السبق للدخول فى الدعوة وإعلان الولاء للدولة، وكذا بعض القواد الذى عادوها أولاً ثم ناصروها باخلاص شديد .. فقالوا مكانة مرموقة.

وأعطوا الولاء والطاعة فى إخلاص شديد، فكانت لهم مكانة مرموقة لدى الدولة سواء فى إمارة البلدان، أو قيادة الجيوش .. ومنه يتضح أن الدولة لم تكن موعلة فى خصومتها، وأن التسامح كان مبدءاً أساسياً من مبادئها.

عسير وجازان

يغلب على الظن أن امتداد أثر الدعوة الإصلاحية إلى المنطقتين كان متزامناً، أو قريباً من ذلك. وإن كانت بعض الروايات تفيد بأن دعاة عسير كانوا أسبق^(١) إذ قدم إلى الدرعية عام ١١٧٧م بعض أعيان عسير، ومن جملتهم محمد بن عامر الرفيدى، وأخوه عبد الوهاب، وطامى بن شعيب، وهم من آل المتحمى^(٢) وايضاً من آل الحفظى^(٣) على بن الحسين، وعبد القادر بن أحمد، وعبد الله بن عبد الرحمن، وسواهم، وذلك بغرض طلب العلم على يد علامة زمانه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وإن بداية انضمام

(١) فيما يرويه الاستاذ محمود شاكر، نقلاً عن مذكرات جعفر الحفظى، حيث يقول إن وفد عسير إلى الدرعية كان عام ١١٧٧هـ، انظر: د. محمد بن عبد الله آل زلفه، دراسات من تاريخ عسير الحديث، ص ١٨، ود. عبد الله ابن محمد بن حسين أبو داهش، عسير فى ظلال الدولة السعودية الأولى، ١٢١٥هـ-١٢٣٣هـ، ص ١٤.

(٢) المتاحمة من ربيعة ربيعة من عنز بن وائل.

(٣) وآل الحفظى ينسبون إلى جدهم الأعلى أول من تلقب بالحفظى، وهو الشيخ أحمد بن عبد القادر الحفظى ابن بكرى، الذى يرتقى نسبه إلى جده الأعلى الشيخ موسى بن جثم بن عجيل، الذى نزع من بلدته "بيت الفقيه" بضواحي الحديدة، فراراً من جور العثمانيين، أواخر القرن العاشر الهجرى، واستوطن بلاد رجال ألمع، وأخذ فى نشر العلم، فقصده طلاب العلم. انظر: هاشم بن سعيد النعمى، عسير، قبيلة وبلاداً، العرب، ج ٣، ٤ شوال ١٤١٢هـ/ أبريل ١٩٩٢. ص ١٨١.

عسير كان عام ١١٧٩هـ. حينما وجه أمير الدرعية محمد بن سعود كتاباً مع محمد بن عامر وأخيه عبد الوهاب، إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه للعودة إلى التمسك بما كان عليه السلف، ونبذ البدع التي تؤدي إلى الشرك.

غير أن هذه الوفادة لرجالات عسير إلى الدرعية لم يشر إليها كل من ابن غنام وابن بشر، وهما المعنيان بتسجيل وقائع الدولة السعودية إبان نشأتها، لكن عدم ذكرهما لها لا ينفي وقوعها، وربما يكون وقوعها بعد التاريخ المذكور. أي بعد عام ١١٧٩هـ، لأنه في هذا التاريخ لم تكن نجد قد توحدت بعد، فضلاً عن المناطق الجنوبية لنجد، كوادى الدواسر، وبيشة، وهى المجاورة لعسير شرقاً، والتي كان لها أثر فعال في إقدام أهل عسير على وفادتهم هذه.

وفى بداية القرن الثالث الهجرى كانت قد توحدت مناطق نجد فى ظل الدولة السعودية الناشئة، ابتداء من حائل شمالاً حتى وادى الدواسر جنوباً، وتملكت الدولة زمام المبادأة بالنسبة لخصومها فى الشرق والغرب، حتى ضمت الأحساء عام ١٢٠٨هـ، وشهدت عالية نجد، والمنطقة الغربية تصعيداً للحرب خلال الفترة من عام ١٢٠٥هـ حتى عام ١٢١٢هـ^(١) نظراً لأن الشريف غالب بن مساعد هاله أن يرى انضمام كثير من قبائل بادية الحجاز إلى طاعة الدرعية، مثل قحطان برئاسة هادى بن قرملة،

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٠٧-٢٤٢.

وعتيبة تحت قيادة محمد بن حمود بن ربيعان، والبقوم، وسبيع وغيرهم، كما دخلت فى الطاعة ببشة وقراها^(١) تحت قيادة سالم بن شكبان رئيس قبيلة شهران، وكذلك بلدان، تربة، ورنية، والخزعة، لذا فزع الشريف غالب، وجمع جمعاً ضخمة إلى تلك البلدان، ولما بلغ الامام عبد العزيز بن محمد أمر هذا الحشد، سارع فى إرسال نجدة من بوادى نجد: مطير، والعجمان، وسبيع، والسهول، وعتيبة، وادى الدواسر، تحت قيادة ربيع ابن زيد الدوسرى، رئيس المخاريم، وغيره من رؤساء تلك القبائل وأمرهم أن يسرعوا السير للانضمام إلى هادى بن قرملة رئيس قحطان، قرب الجمانية عند جبل النير بعالية نجد^(٢) بغرض التصدى لقوات الشريف .. ووقعت عدة معارك كانت أعظمها فى "الخزعة" التى مُنيَ فيها جيش الشريف بهزيمة ساحقة، لم تقم له بعدها قائمة، كما يقول ابن بشر، لذا طلب الشريف الصلح من الامام عبد العزيز، وكان من شروطه السماح

^(١) كانت ببشة من قديم تعد من أشهر أسواق بلاد العرب، لوقوعها فى ملتقى طرق القوافل بين الحجاز، ونجد، وعسير، واليمن، وهى تبعد عن مكة المكرمة مسافة خمسمائة كيلو تقريباً، فى الشرقى، وتشتمل على عدة قرى، منها: الروشن، والدحو، وغمران، وأبو الشوك، وواعر، والحيفة، والميادرة .. وكان سالم بن محمد بن شكبان، رئيس إحدى بطون قبيلة شهران، يقطن قرية الدحو، فلما دخل فى طاعة الدولة السعودية هو وقبيلته، ولأه الامام عبد العزيز بن محمد إمارة ببشة، فكان من أهل الصدق والبذل والعطاء، ابن بشر، ج ١، هامش ص ٢٨٦.

^(٢) كانت قبيلة قحطان تنزل آبار المسيل، على مسافة خمسين ميلاً تقريباً من بلدة الدوادمي، وكانت تعد قبل ذلك من بوادى الحجاز، رئيسها: هادى بن قرملة. الذى وفد إلى الدرعية عام ١٢٠٢ هـ وباع الامام عبد العزيز على السمع والطاعة، فولاه أميراً على قحطان، وكان صادق العطاء، قتل فى معركة الحديدة عندما قدمت قوات محمد على باشا، ونزلت ينبع، فترلى الإمارة بعده ابنه مبارك بن هادى، ثم أخوه محمد بن هادى، ابن بشر، ج ١، ص ١٦٠، ١٧٣، ١٧٩، ٢١٢، ٢١٤.

لأهل نجد بأداء فريضة الحج^(١) وكانت هذه الموقعة عام ١٢١٢، وشاعت السمعة الطيبة للدعوة والدولة، فشجع ذلك بعض قبائل بادية الحجاز للدخول فى طاعة الدولة السعودية، وتواجد بعض العلماء والدعاة السعوديين وعلى رأسهم الشيخ على والشيخ ابراهيم ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى موسم حج عام ١٢١٣هـ. وجلسهم إلى غيرهم من حجاج المناطق الأخرى، والبلدان الاسلامية. فكان من آثاره إزالة الفكرة الخاطئة التى أشيعت حول الدولة والدعوة. وبدأ البعض يسمع بأذن وإعانة، وعقل منصف، حتى اطمأنوا إلى أنها الحق، فتحولوا إليها. وكان ممن تأثر بها من أهل الحجاز القائد عثمان بن عبد الرحمن المضايفى^(٢).

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٤، ويقول ابن بشر: إن الشريف دخل فى طاعة الامام عبد العزيز، لكن وقائع الأحداث تفيد بأن الصلح كان بغرض السلم، وإيقاف الحرب لمدة ست سنين، والسماح لأهل نجد بأداء الفريضة. وقد نقض الشريف هذا الصلح بعد ثلاث سنين .. ونشبت الحروب بين الفريقين، حتى استولى السعوديون على الحجاز فى ٨ محرم ١٢١٨هـ تحت قيادة سعود بن عبد العزيز قائد الجيوش السعودية فى عهد أبيه.

(٢) عثمان بن عبد الرحمن بن عون بن جمهور المضايفى، من قبيلة عدوان، العدنانية، كان يقطن ببلدته العبيلا، بين الطائف وتربة، وكان متزوجاً من أخت الشريف غالب، وأحد الذين عملوا على عقد الصلح بين الامام عبد العزيز، والشريف غالب عام ١٢١٢هـ عقب موقعة الخرمة، ولما نقض الشريف غالب الصلح فارقه عثمان وانطلق إلى الدرعية، وعاهد الامام عبد العزيز بن محمد، ووالاه فأصبح أشهر قواده فى الحجاز، وقد ولاه الامام عبد العزيز على كافة الحجاز عام ١٢١٨هـ، وعند قلوب جيش محمد على باشا إلى المنطقة تصدى له ضمن القواد السعوديين الآخرين، حتى أسر عام ١٢٢٨هـ، وارسل إلى استانبول فأعدم فيها، ابن بشر، ج ١، ص ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، وهامشهم.

قد تكون هناك نوازع وإرهاصات فى وقت مبكر، لدى بعض العلماء، وذوى الهمم من المصلحين، فى كل من عسير وجازان، وأنهم وجهوا أنظارهم إلى أكثر من مكان بحثاً عن مخرج، فلما ظهرت الدعوة الإصلاحية فى نجد تطاولت إليها أعناقهم، لاسيما وأن الاتجاه السلفى يتوافق مع مذهبهم الشافعى^(١) غير أن التأثير الفعال، والتجاوب الحقيقى كان عقب موقعة "الخرمة" وماترتب عليها من آثار، لعل أهمها عقد صلح لمدة ست سنين، دفع الناس للتحرك فى أمان، ونشط الدعاة فى الحضر والبادية، حتى كان من نتيجته دخول كثير من القبائل الحجازية فى الدعوة، واعطت ولاءها للدولة السعودية، وكان هذا أحد مبررات الشريف غالب لنقضه الصلح بعد ثلاث سنين فقط.

وغالب الظن أن هذا التأثير قد بلغ مداه إلى عسير وجازان، وتوافق مع طموحات رجالاتها، ودفعهم للوفادة إلى الدرعية للارتباط بها .. ولا يقلل من شأنهم أن وفادتهم حدثت عام ١٢١٣هـ أو بعده، بدلاً من عام ١١٧٩هـ^(٢) فلهم فضل سبق، وميزة المبادأة والسعى للارتباط بالدولة، عن رضا وقناعة تامة، ولم ينتظروا حتى يؤتوا، ولذا حفظ لهم قادة الدولة

(١) د. عبد الله أبو داهش، المصدر السابق، ص ١٤.

(٢) وهو العام الذى ورد فى مذكرات جعفر الحفظى، ونقله عنه الأستاذ محمود شاكر، وتناقله عنه غيره من المؤرخين.. ولعل من أولى المآخذ على هذه الرواية: إذا كانت عسير قد انضمت إلى الدولة السعودية عام ١١٧٩هـ، فلماذا لم يظهر لها أو لرجالاتها أثر فى الحروب حتى عام ١٢١٥هـ، مثل غيرهم من المناطق التى انضمت للدولة، كوادى اللواسر، ويشة وغيرها؟.

فضل سبقهم، وكانت لهم المكانة المرموقة، التي اثبتوا أنهم حقاً حديدون بها، بما بذلوه من إخلاص وتقانٍ في خدمة الدولة. وذلك بالعمل على نشر الدعوة في مواطنهم بمجهودهم الذاتية، حتى انقاد للدعوة وطاعة الدولة معظم أهل عسير، والعديد من أهل جازان، قبل أن يمتد إلى المنطقة النفوذ الفعلي للدولة، بل إن ذلك النفوذ الفعلي للدولة لم يمتد إلا بناء على طلبهم، وتنفيذاً لرغبتهم، عندما شعروا بأنهم بحاجة إليه لمواجهة خصومهم.

وفد إلى الدرعية نفر من علماء وأمراء عسير، يتقدمهم محمد بن عامر الرفيدى وأخوه عبد الوهاب^(١) عام ١٢١٣هـ ويقال انهما أقاما عامراً كاملاً في الدرعية، وعند عودتهما حملهما الإمام عبد العزيز بن محمد كتاباً إلى أعيان وعلماء عسير يدعوهم فيه إلى اتباع الدين القويم، ونبذ الشرك، كما عهد الإمام بالامارة في عسير لمحمد بن عامر، وكان هو الأكبر سنّاً من أخيه عبد الوهاب^(٢) فما انتصف عام ١٢١٥هـ حتى دخل

^(١) أطلق عليه ابن بشر ج ١، ص ٣٦٢ كنية "أبو نقطة" وتناقله عنه المؤرخون، بينما يقول الدكتور أبو داهش نقلاً عن العجيلي في "الظل الملود"، ص ٢٣ "أن هذه الكنية كانت تطلق على أخيه محمد بن عامر، وليست على عبد الوهاب، ونحن نستعيرها من قبيل الأخطاء الشائعة كما يقول أهل اللغة على بعض الكلمات، ونطلقها أيضاً على عبد الوهاب، لأنه أصبح مشهوراً بها في التاريخ، كما يلاحظ أن العجيلي ذكر أن دخول أهل عسير في الدعوة كان عام ١٢١٣هـ فيما نقله عنه أيضاً الدكتور عبد الله أبو داهش، المصدر السابق، ص ٢٢، ٢٣.

^(٢) دكتورة مكي العيسى، الحياة العلمية في نجد، منذ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى نهاية الدولة السعودية الأولى، ص ١٨٢.

سائر أهل عسير فى طاعة الدولة السعودية^(١) عن قناعة ورغبة صادقة، دون قهر أو إكراه ونشط علماء عسير فى نشر الدعوة فى مواطنهم حتى لم يعد بها معارض، وكان شأنها فى ذلك شأن بعض بلدان نجد التى سارعت بالدخول فى الدعوة وبذل الولاء والطاعة للدولة من الوهلة الأولى، وجندت قواها لخدمتها.

أما جازان فإن الداعية أحمد بن حسين الفلقى، من أهل "صبيا" كان قد ذهب لآداء فريضة الحج موسم ١٢١٣هـ، وقيل: موسم ١٢١٤هـ^(٢) والتقى باتباع الدعوة، وأعجب بما سمعه منهم عن مبادئها، فانطلق إلى الدرعية لمعرفة المزيد عنها، والاتصال مباشرة بقيادة الدولة، فأقام فترة، وعند عودته عينه الإمام عبد العزيز بن محمد داعية فى بلاده، وأرسل معه رسالة إلى رؤساء المخلاف السليماني وعلمائه، وكافة أهاليه، يحثهم فيها على التعاون مع الداعية الفلقى لنشر الدعوة الإصلاحية^(٣) أما الداعية عرار ابن شار، أمير بنى شعبة فانطلق إلى سالم بن شكبان أمير بيشة من قبل الدولة السعودية، وعاهده على الدخول فى طاعة الدولة، ومناصرة الدعوة، والعمل على نشرها بين قومه، بنى شعبة وأحلافهم وسواهم من

(١) د. أبو داهش، المصدر السابق، ص ١٥.

(٢) د. العثيمين، تاريخ الدولة السعودية، ج ١، ص ١٣٩.

(٣) نص الرسالة منشورة فى كل من كتاب "نفع العود فى سيرة دولة الشريف حمود، للشيخ عبد الرحمن بن أحمد البهكلى، وتحقيق الشيخ محمد العقيلي، ص ٦٨-٨٩، وكتاب "تاريخ المخلاف السليماني، للشيخ محمد العقيلي، ج ١، ص ٤٤٠-٤٤٢.

أهل المخلاف^(١). كما سلك الطريق نفسه محمد بن دهمان، من بلحارث ببلاد بنى شهر، فولى إمارة بنى شهر وبنى عمرو، وكذا غيرهما من رؤساء القبائل فى عسير وجازان.

عاد الفلقى إلى صبياً بالكاب، ثم سلمه لأمرها ناصر بن منصور الخيراتى، الذى يرتبط إدارياً بسلطة ابن عمه على بن حيدر الخيراتى الأمير العام على المخلاف السليماني، ومقره "أبو عريش" وبدأ الفلقى يدعو أهل صبييا، فاستجاب له البعض، ويبدو أنه شعر بتدثر من قبل الإدارة فى صبييا حيال مايفعله، خاصة وأنه لم يلمس أثراً طيباً للخطاب الذى سلمه، لذا فضل مغادرة صبييا إلى وادى بيش عند قبائل الجعافرة، الذين أفسحوا له صدورهم، وتجاوبوا مع مايدعو إليه، وفشت الدعوة فى المناطق المجاورة، وأثر غرسه عن دعاة بعثهم إلى العديد من مناطق المخلاف، وعاهده الكثيرون على الدخول فى الدعوة، وبذلوا الطاعة والولاء للدولة السعودية، وخلع طاعة أميرهم، وبعث له بعض أهل صبييا يطلبون منه العودة للوقوف معه، لكنه أثار البقاء بوادى بيش لدى الجعافرة، وعندئذ شعر أمير صبييا بالخطر المحدق به، فأبلغ ابن عمه الأمير على بن حيدر أمير المخلاف، فطلب منه التريث^(٢) وفى الوقت نفسه كان عرار بن شار يمارس نشاطه الدعوى فى بنى شعبة، وفيما جاورها، وتبعه أناس،

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤٤، والبهكلي، نفح العود، ص ١٠١.

(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤٢، وأيضاً تعليقه فى ص ٨٤ على كتاب "نفح العود".

وعارضه آخرون، فرفع الأمر إلى الدرعية عن طريق ابن شكيان أمير بيشة، فجاءه الأمر بالترث مع الاستمرار فى نشر الدعوة بحكمة.

وأمر طبيعى أن تجدد الدعوة لها مناصرين، ومناوئين، فهذا حالها فى كافة المناطق، لكنها فى جازان تختلف إلى حد ما، فالذين حملوا عبء الدعوة من أهلها، والمناصرين لها دخلوا برغبتهم عن رضا وقناعة تامة، والمناوئين كانوا هم أصحاب السلطة الذين داخلهم الرهم بأن امتداد تلك الدعوة إليهم سينزع منهم سلطانهم ونفوذهم، مثلهم مثل غيرهم ممن قاوم الدعوة والدولة فى بعض المناطق، ولم يدركوا أن الدولة تبقى ذوى السلطة فى سلطتهم إن هم أقبلوا إليها مواليين طائعين، وهو الأمر الذى أدركوه مؤخراً فحفظت لهم الدولة نفوذهم، ودعمتهم عندئذ. ولم يطل بهم الوقت فى مناوأتها، وإنما حملوا فضيلة الرجوع إلى الحق بمجرد معرفته، ولم يتمادوا فى الباطل.

جاء وقت خرس الثمار، فبعث أمير المخلاف عماله إلى مزارع الجعافرة لعمل اللازم نحو تسلم مطلوبات السلطة من زكاة الناتج الزراعى، فمنعهم الجعافرة^(١) من مباشرة عملهم، فعادوا أدرأجهم، وعندئذ تأكد للأمير مخالفتهم والخروج عن طاعته، فاستعد لمحاربتهم. وجهز جموعه

(١) الجعافرة: حلف يضم عدداً من القبائل، انضوت تحت اسم القبيلة الرئيسية منهم "الجعافرة" تمتد مواطنهم من حربة إلى المقارية، وهم أهل الأكلة، وأهل قرية الحجرين، والطمحة، والشواجر، والمقارية، والسباعية، والحفاوية وغيرهم. انظر: نفع العود، هامش ص ٩٠ من تعليق الحق الشيخ العقيلي. والمثن ص ٩٨.

وخرج من أبو عريش، وبعث إلى عمه الأمير حمود بن محمد للاشتراك فى الحملة، التى أنتهت بهزيمة الجعافرة فى موضع يسمى "الحجرين" غرب وادى صيبا^(١) عام ١٢١٥هـ وبعد المعركة نشب خلاف بين الأمير على ابن حيدر وعمه حمود على منصب الإمارة، انتهى بتنازل الأمير عنها لصالح عمه، الذى أراد أن يثبت مقدرته على التصدى للخارجين عن طاعتهم، دون أن يعمن النظر فى أسباب هذا الخروج، بينما نلاحظ أن بعض الأشراف من آل خيرات قد مالوا إلى الدعوة عندما عرفوا حقيقتها، مثل الشريف يحيى بن محمد، الأمير الأسبق للمخلاف^(٢) وأخوه الأمير ناصر بن محمد، أمير صيبا السابق قبل ابنه منصور، الذى كان أميرها وقت هذه الأحداث^(٣).

كان أنصار الدعوة فى حاجة إلى تنسيق قبل معركة الحجريين، فلم تتح الفرصة لعرار بن شار الشعبى للاشتراك فيها بأتباعه، وعقبها انسحب الفلقى بأتباعه إلى وادى بيش، وسارع بابلاغ القيادة فى الدرعية بالموقف، طالباً المساعدة بسرعة الدعم، فصدرت أوامر القيادة فى الدرعية إلى حزام ابن عامر العجمانى بسرعة التحرك إلى المخلاف (جازان) يقود ألفاً وخمسمائة جندي من العجمان وغيرهم، وكانت القيادة لحزام، فتوجه إلى

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤٣، ونفع العود، ص ٩٨، ٩٩.

(٢) تولى الإمارة فى المخلاف مرتين، أولاهما: فترة من عام ١١٩٢هـ، وثانيتها: من منتصف عام ١١٩٣هـ حتى عام ١٢٠٥هـ، وكان هو الذى يتولاها قبل علي بن حيدر، الذى تنازل عنها لعمه حمود بن محمد.

(٣) العقيلي، هامش نفع العود ص ٧٨-٨٠، والمتم من الكتاب نفسه، ص ١١٩، ١٢٩، ١٣٢.

درب بنى شعبة وصحب عرار بن شار معه على رأس مجموعة من بنى شعبة، وتقدموا ومن معهم إلى الجعافرة بوادى بيش لدعمهم ضد خصومهم وعسكروا فى الحجرين، وشعر أمير صبيبا الأمير منصور بن ناصر بخطورة الموقف فيما لو حدث اشتباك بين الفريقين، فعمل جهوده فى الاتصال بعمه الأمير حمود أمير المخلاف وبغيره من أعيان المخلاف حتى تم تشكيل وفد لمقابلة حزام ومن معه والتباحث فى إيجاد حل سلمى، وتشكل الوفد من الأمير يحيى بن محمد الخيراتى، عن منطقة أبى عريش، والشيخ أحمد بن عبد الله الضمدى عن منطقة ضمد، والأمير منصور بن ناصر عن منطقة صبيبا. وتم الاتفاق على الدخول فى الطاعة، وأعطوا العهد والبيعة للإمام عبدالعزيز بن محمد، فأنايهم حزام كل على جهته مؤقتاً حين صدور الموافقة النهائية من لدن الإمام عبدالعزيز فى الدرعية، وبذلك انتهت مهمة حزام دون قتال^(١) فيما عدا بعض المناوشات اليسيرة خلال الطريق إلى بنى شعبة^(٢) وبهذا يمكن ان يقال إن المخلاف (جازان) دخل فى طاعة الدولة دون حرب، وأن الغالبية الغالبة من أهله بذلت الولاء عن رضا وقناعة تامة. وكان الوضع الإدارى فى المخلاف (جازان) بعد هذا الاتفاق الذى عقده حزام مع وفد المصالحة عام ١٢١٥هـ كالآتى:-

(١) يلاحظ أن بعض المؤلفات التاريخية قد بالغت بشكل ملفت للنظر فى مهمة حزام العجمانى هذه، وصوروه على أنه اغتصب الأرض، وأكره أصحابها على غير ما رغبوا، انظر: كتابنا "مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية" ص ١٨-٢٥، ٣٦، ٣٧.

١- من وادى ضمد وجنوباً تحت سلطة الأمير حمود بن محمد.

٢- وادى صيبا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر بن محمد.

٣- من صيبا شمالاً وغرباً إلى بيش تحت سلطة الفلقى - ماعدا قرية الملحا فإنها تتبع صيبا.

٤- من بيش شمالاً إلى رجال ألمع تحت سلطة عرار بن شار^(١).

ويبدو أن الأمير حمود لم يكن راضياً على هذا الاتفاق الذى قلص من سلطته، ولأنه لم يكن ضمن الأطراف التى أقرته ووقعته، فاعتبر نفسه فى حل منه، لذا بعث إلى الإمام المنصور على بن المهدي عباس^(٢) طالباً نجده، لكن الإمام لم ينجده. وخلال ذلك انتهز فرصة استعانة أهل "الملحا" به ضد الفلقى فبعث قوة حاربت الفلقى، ثم عرار بن شار الذى قدم لمناصرة الفلقى، وذلك أواخر عام ١٢١٦هـ^(٣) وهَمَّ بمحاربة ابن أخيه أمير صيبا الشريف منصور بن ناصر على أساس أنه والى الدرعية، لكن بعض الأشراف تدخلوا وحالوا بين وقوع الحرب بينهما.

(١) العقيلي، تاريخ المخلاف، ج ١، ص ٤٤٥، ٤٤٦.

(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤٧.

(٣) الإمام المنصور على، تولى الامامة فى اليمن بعد وفاة أبيه فى ١٩ رجب سنة ١١٨٩، حتى وفاته فى ١٢٢٤هـ، وكان ضعيفاً، عارضه عمه، وخرجت عليه بعض القبائل، واستقلت بعض أطراف اليمن فى عهده، الواسعى، تاريخ اليمن، ص ٢٣٠.

(٣) البهكلى، المصدر السابق، ص ١١٢-١١٧.

علمت القيادة فى الدرعية بالموقف فأصدرت أوامرها باستنفار جميع قبائل عسير بما فيها شهران وقحطان وبنى شهر، وبنى عمرو، وغامد وزهران وغيرهما يقودها عبد الوهاب بن عامر المتحمى، المعروف بأبى نقطة^(١) وأن ينضم إليه كل من منصور بن ناصر، أمير صيبا، والفلقى وعرار. بما لدى كل منهم من قوات، وتقدم هذا الحشد الذى تجاوز عشرين ألف مقاتل فحاصر بالقرى من "صيبا" فى ١٢/١٠/١٢١٧هـ، ثم تقدموا إلى أبى عريش فجر ١٥/١٠/١٢١٧هـ، ودارات رحي معركة عنيفة، انهزمت فيها قوات الأمير حمود، فسارع بطلب الأمان، والصلح، معلناً طاعته للدولة السعودية، فقبل منه عبد الوهاب بن عامر عهده وموالاته، واستشار كبار أصحابه فى استمرارية الأمير حمود فى الإمارة، فاستقر رأيهم أخيراً على إبقائه، بشرط القيام بمتطلبات الإمارة، من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة البدع، والعمل على نشر الدعوة فى المناطق الجنوبية بتهامة اليمن، والجهاد فى سبيل ذلك، ثم استدعاه ابن عامر، وأبلغه ذلك، وقال له: إن هذا مرهون بموافقة الامام عبد العزيز بن محمد. ثم رفع الأمر إلى الدرعية، فأثنى الأمر بالموافقة، وعلى أن يخضع

(١) كان محمد بن عامر المتحمى، الذى عينته الدرعية أميراً على عسير، قد توفى أوائل عام ١٢١٧هـ، فأُسندت القيادة فى الدرعية إمارة عسير إلى أخيه عبد الوهاب، وكانت كنية "أبو نقطة" تطلق على محمد، فلما مات أطلقت أيضاً على عبد الوهاب، واشتهر بها بين المؤرخين.

إدارياً لعبد الوهاب بن عامر، أمير عسير^(١). وبذلك دخل الأمير حمود فى طاعة الدولة، ووظف جهده وسيفه لخدمتها.

لكن يلاحظ هنا أن تكليف الأمير حمود بالعمل على نشر الدعوة فى أرض اليمن، بما يستلزمه ذلك من الدخول فى حروب، والاستيلاء على أراض، إنما كان صادراً بادئ ذى بدء من القائد عبد الوهاب بن عامر، وربما يكون منشؤه من إقتراح أحد كبار قواده، خلال اجتماعه بهم لبحث تقلد منصب الإمارة عقب معركة أبو عريش، لاسيما وأن البعض طالب باستبعاد حمود عن هذا المنصب بعد أن حدث منه ما حدث، وكان لديهم علم بالمكاتبات التى جرت بينه وبين إمام اليمن، طالباً نصرته، وسرعة نجده^(٢) وذلك بهدف وضع حمود فى موقف حرج، من حيث معاداته لإمام صنعاء حليف الأمس، ثم مدى مصداقيته فى طاعة الدرعية، وولائه لحكامها، بما يلتزم به من تنفيذ أوامرها، وبالتالي فإن باب دخول الدرعية فى منازعة مع أئمة اليمن كان موصداً حتى ذلك الوقت، بالرغم من أن بعض علماء الزيدية كانوا قد انتقدوا الدعوة الإصلاحية إبان انتشارها، ولم يهتم علماء الدعوة بانتقاداتهم، فكفاهم أن يثنى عليها علماء السنة فى صنعاء، كابن الأمير الصنعاني، والشوكاني^(٣).

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٢٨-١٣٨.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٣٩، والعقلى، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٠.

(٣) سبق أن أوضحنا موقف العالم الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعاني، والشوكاني فى ص ٣٤ من هذا البحث،

وانظر: د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٦٠-١٦٢.

كما يلاحظ أن أئمة صنعاء لم يهتموا بدخول عسير وجازان (المخلاف) فى طاعة الدولة السعودية، ولكن اهتمامهم ظهر واضحاً عندما تقدمت الجيوش السعودية بالزحف جنوباً نحو الحديدة وغيرها من بلدان تهامة اليمن - كما سنوضحه فيما بعد - وهذا يؤكد ماسبق أن أوضاعنا، واستشهدنا عليه بوقائع تاريخية عديدة، من أن هذه المناطق - جازان وعسير ونجران - لم تكن محسوبة ولا معدودة ضمن أرض اليمن، لاجغرافيا، ولا سياسياً، خلال المراحل التاريخية السابقة، ولا عذر لمن يتعلل من المؤرخين بضعف الإمامة الذى دعاها إلى الصمت حيال هذا الموقف^(١) وأحرى بها ألا تصمت لو كانت متأكدة من أن لها حقاً، أو نفوذاً فى المنطقة، مثلما فعلت فى تهامة اليمن، فقد خرجت عن حالة الصمت، بالرغم من انها كانت ماتزال تعيش حالة الضعف نفسها، وما ذاك إلا لأنها ترى أحقيتها واضحة فى أرض تهامة اليمن، كالحديدة وغيرها.

ورأى آخر بحاجة إلى تنبيهه، أو إمعان فكر ونظر، وهو أن بعض المؤرخين - من خلال سردهم لتلك الأحداث التى نحن بصدددها - يخرجون باستنتاجات، من بينها: أن نجاح الدولة السعودية الأولى، فى تشكيل أعظم قوة عسكرية، شجعها على اقتحام أرض اليمن، وضمها إلى حوزة

^(١) من هؤلاء: الواصل، المصدر السابق، ص ٢٣٠، والبهكلى، نفع العود، ص ١٣٩، ود. حسين عبد الله العمري، مائة عام من تاريخ اليمن الحديث، ص ١٣٠، ١٣١، ود. عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ١٥٩، ١٦٩.

أملكها، نظراً لما كانت تتمتع به اليمن من أهمية اقتصادية^(١) أى أن العامل الاقتصادى هو الأساس فى إقدامها نحو اليمن!!.

فحقيقة إن العامل الاقتصادى عنصر مهم لكل الدول، لاعتمادها عليه فى نموها، وضرورى لبناء قواها فى شتى المجالات، لكنه ليس أهم العناصر باطلاق، فالدولة الإسلامية فى عهد الفتوحات لم يكن العامل الاقتصادى هو الباعث الأول لحفز همتها لتلك الفتوحات، وإنما كانت هناك رسالة أهم بكثير من هذا العامل، تتمثل فى العمل على نشر الإسلام والجهاد فى سبيله، ومع تغير الأوضاع والظروف الدولية، فإن الوضع بالنسبة لحكام الدولة السعودية، أنهم تعاقدوا على مناصرة الدعوة الإصلاحية، وأوقفوا حياتهم على خدمتها، والعمل على نشرها، وهى دعوة دينية بحتة، تخدم الإسلام بالدرجة الأولى، وبالتالي فهى عامة وليست قاصرة على مجتمع نجد، أو وسط جزيرة العرب فحسب، وقد جاء توطيد ملكهم، ثم اتساعه، ثم رخاؤهم الاقتصادى بالتبع، دون تخطيط مسبق لكل ذلك. فحين عاداهم خصومهم فى نجد وما حولها شرقاً وغرباً، نصرهم الله عليهم، فتوطد ملكهم واتسع مداه، وامتألت خزائن ماله الدولة فى الدرعية بالأموال دون تخطيط اقتصادى مسبق^(٢) فقد كانوا بسطاء فى تفكيرهم المادى، ولم يجمعوا الأموال لخزينة الدولة إلا بالطرق

(١) د. عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ص ١٥٧.

(٢) انظر عن مالية الدولة السعودية فى عهد الامام عبد العزيز بن محمد، وابنه الامام سعود، ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٧٣-٢٧٥.

المشروعة. وفق تعاليم الشريعة الإسلامية، وكانوا ينفقونها أيضاً بالطرق المشروعة، ولم يستحوذ العامل الاقتصادى على أدنى جهد من تفكيرهم، الذى كان شاغله الشاغل هو العمل على نشر الدعوة الإصلاحية على أوسع نطاق بين المسلمين، دون الالتزام بالمعالم الجغرافية، والفواصل السياسية بين المسلمين فى بلاد العرب .. فلم تكن تلك الفواصل يومها قد حددت ورُسمت بشكل دقيق كما هى فى وقتنا الحاضر.

ولهذا وافقوا على الفكرة التى رفعها إليهم فى مقرهم بالدرعية القائد عبد الوهاب بن عامر، بتكليف الأمير حمود بالعمل على نشر الدعوة باسمهم فيما جاوره من أرض تهامة الجنوبية، لاسيما وانهم شوافع، ولم يمعنوا النظر فى غنى هذه المنطقة أو فقرها، أو يفكروا فى العائد المالى والاقتصادى من وراء تنفيذ هذه العملية، أو ينتهزوا الضعف الذى كان يمر به الحكم، أو غير ذلك من تخمينات واستنتاجات غير دقيقة، لأن كل همهم كان هو نشر الدعوة الإصلاحية بين المسلمين كافة فى بلاد العرب، ولذا كانوا يعرضون على القبائل ورؤساء البلدان الدخول فى الدعوة، اقتضاء للمنهج التشريعى، الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

والمثير للانتباه ويستحق إمعان النظر حقاً، هو أن المنطقة من جنوب "حرض" حتى مشارف "الحديدة" دخل أهلها فى الدعوة - حضر وبادية - واعلنوا الولاء للدرعية بطريقة سلمية، لم ترق فيها قطرة دماء، وخلال مدة يسيرة، وكأنها كانت فى انتظار الداعية، بالرغم من أن بها قبائل ذات شوكة وبأس ومنعة، كالواعظات، وعبس، والزرائق وغيرهما.

بعد أن تأكد الأمير حمود من استمرار ولايته على "أبو عريش" بوصول الموافقة من الدرعية، أراد أن يؤكد إخلاصه وولائه لها، فجهز ابن أخيه الأمير علي بن حيدر - السوالى السابق للمخلاف - بسرية صغيرة قوامها ثلاثون فارساً، وأمره بالتوجه جنوباً لدعوة القبائل ورؤساء البلدان للدخول فى الدعوة، وإعطاء الولاء. وكانت حرص وما حولها حتى جنوب الواعظات تابعة قبل ذلك للمخلاف، تبعية إدارية وسياسية.

ولنا أن ننظر إلى مايرويه البهكلى، وهو معاصر لتلك الأحداث، وشاهد عيان لها:

انطلق الشريف علي بن حيدر إلى حرض فى ذى القعدة ١٢١٧هـ، وكسب إلى بنى مروان، وهم من أعتى القبائل بالمنطقة فى ذلك التاريخ، يدعوهم إلى الدخول فى الدعوة والطاعة، فاستجابوا، وصحبه جماعة منهم، ثم نزل بلاد بنى حسن ودعاهم فأقبلوا طائعين، وصحبه جماعة منهم، ثم توجه إلى بلاد عبس، فبذلوا له الطاعة عقب أن دعاهم، ثم توجه إلى الواعظات، وكما يقول البهكلى: هى آخر البلدان التى حكم ولايتها أشراف أبى عريش، فأما ماوراءها إلى اليمن (أى جنوبها)، فولايتها إلى أعمال "اللحية" و"الزيدية" تحت خليفة صنعاء^(١) ذاك الوقت. وهذا كلام واضح فى أن مابعد الواعظات جنوباً هو تابع للمخلاف تبعية إدارية وسياسية.

(١) انظر فيما سبق "نفع العود.." ص ١٤٦، ١٤٧، والعقلى، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٣..

ويبدو أن التعليمات التي كان يحملها قائد تلك السرية، الأمير على ابن حيدر، هي أن يبعث الدعاة في مقدمته، تحمل كتباً منه إلى القبائل ورؤساء البلدان التي يزمع التوجه إليها، تدعوهم للدخول في الدعوة، وإعطاء الطاعة، وذلك بمجرد خروجه من "أبو عريش" ونلاحظ أنه خلال وجوده في الواعظات بعث الرسل بكتب إلى أهل "الزعلية" وأهل "صليل" فأقبل وفد من مشايخهم ورؤسائهم، تعلن الدخول في الدعوة وتعطى الولاء، وكذلك الزيدية، والجرايح، وكتب إلى عامل بلدة "مور" من قبل إمام صنعاء، وكتاباً آخر إلى زعماء أهلها، فقدم إليه هؤلاء الزعماء والمشايخ في الواعظات، معلنين طاعتهم والدخول في الدعوة، أما العامل فترك مور وذهب إلى "الliche" وكانت مور تتبع اللحية إدارياً. عندئذ تحرك ابن حيدر ودخل مور، ومنها كتب إلى عامل اللحية، وكان عاملها هو صالح بن عبد الملك العُلفي^(١) فتردد في أمره بين المقاومة، أو تسليم البلدة، ثم داخله الفزع عندما بلغه أن بعض السفن التابعة للسعوديين دخلت ميناء اللحية^(٢) فترك اللحية هارباً إلى الحديدة. فدخلها ابن حيدر في أول ذو

(١) كان هو وأمير الحديدة صالح بن يحيى العُلفي، أبناء عمومة، وهما أيضاً أبناء عمومة وزير الامام المنصور، الحسن ابن الحسن بن عثمان العُلفي، الأموي، القرشي، الذي كانت له مكانة في عهد الامام المنصور.

(٢) كانت بعض السفن قد خرجت من ميناء "الشقيق" بالمنطقة التابعة لإدارة عرار بن شار الشعبي، وهي سفن صغيرة، حملت بعض الرجال لأعمال الاغارة على الموانئ الساحلية لليمن، وربما لبث الرعب في النفوس والايات أن منطقة عرار بن شار لها أيضاً مشاركات، وإلا فلم يكن هناك تنسيق بين حمود، وعرار، كما أن تلك السفن لم تكن مهيأة بالمدافع والأسلحة الكافية للدخول في معركة بحرية .. المهم أنها أحدثت الرعب فعلاً في روع أمير اللحية، فخرج هارباً، انظر: هامش ص ١٤٨ من "نفع العود" تعليق الشيخ العقيلي.

الحجة سنة ١٢١٧هـ، واقبل إليه أهلها معلنين الطاعة، والدخول فى الدعوة، ومن اللحية بعث إلى أمير الحديد يطلب منه الدخول فى الدعوة، وبذل الطاعة، لكن هذا كاتب إمام صنعاء طالباً النجدة، فجاءته الاجابة بالمقاومة حين وصول الغوث والدعم، وبدأ يجمع قواته للتصدى لابن حيدر، وبهذا تعتبر الحديد أول بلدة قاومت، المهم أن ابن حيدر خلال إقامته فى اللحية كان قد بعث كتباً إلى بعض القبائل والبلدان الواقعة بين اللحية والحديدة، فوصله عهدٌ من على بن حميدة شيخ قبيلة القحري، ويرأس بعض بطون باجل، كما وصله عهدٌ من عبد البارى بن الأهمل، رئيس بلدة المراوعة، وهى من توابع بيت الفقيه^(١) وكان الدعاة يتقدمونه لدعوة الناس للدخول فى الدعوة الاصلاحية، فاستجاب لهم كثيرون من أهل تهامة اليمن وبعض أهل الجبال، حتى ان أعراب "ريمة" قبلوا الدعوة، ودخلوا فيها، وبدأوا يتعرضون للذهاب من الحديد إلى صنعاء، أو العائد منها، ممن لم يدخل فى الدعوة، وخشى الناس سلوك الطريق الذى يمر عليهم فتجنبوا المرور فيه^(٢).

ويتضح مما سبق أنه خلال شهر واحد (ذو القعدة ١٢١٧هـ) شملت الدعوة، وامتد نفوذ الدولة السعودية إلى كل من: الزيدية، واللحية، ومور، وبادى بيت الفقيه، ومشارف الحديد، وإلى بعض القبائل بالجبال، بالرغم من أن السرية التى قادها الشريف على بن حيدر كانت محدودة

(١) انظر: فيما سبق نفع العود للبهكلى، ص ١٤٦-١٥١، والعقلى، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٣، ٤٥٤.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٥٣.

للغاية، ولا يمكن أن توصف بكونها جيشاً جراراً، يبعث الرهبة فى نفوس الناس، ويرغمهم على قبول الدعوة، وبذل الطاعة عن رهبة. وكما يقول البهكلى: انقاد الناس للدعوة، والدخول فى الطاعة، وإعطاء الولاء، دون طعنة ولاضربة^(١) ولذا يمكن أن توصف هذه السرية بأنها سرية سِلم، لاسرية حرب. ويبدو أنه لسهولة مهمتها فيما وصلت إليه من تحقيق المطلوب دون إراقة دماء، أن تشجع الأمير على بن حيدر فى تكليف أخيه يحيى بن حيدر بقيادة قوة يسيرة من الفرسان للاستيلاء على الحديدية، عندما تأخر عليه جواب عاملها ابن العلفى، ظناً منه أنها ستبذل الطاعة كغيرها، ولا يدرى أن ذلك العامل يعد عدته لأية مواجهة، ولذا كانت الدائرة على الشريف يحيى وفرسانه، فقد ووجهوا بقوات ضخمة، لذا عادوا إلى مور، التى اتخذها الأمير على بن حيدر مقراً له. وولى على اللحية كلاً من حسن النعمى، ومحمد بن قيراط^(٢).

وصلت أخبار تلك السرية التى قادها الأمير على بن حيدر إلى أسماع قبائل المخلاف وعسير وماجاورهما، فسعدوا بها، وحفزهم للمشاركة فى هذا الميدان، لاسيما وقد بلغهم خبر هزيمة مجموعة الفرسان الذين قادهم الأمير يحيى بن حيدر فى مواجهة عامل الحديدية، فخفت إلى المنطقة سرايا من قحطان، والدواسر، والعجمان، وشهران، إلى الأمير حمود يطلبون منه المشاركة فى غزو تهامة اليمن، وذلك فى أوائل محرم

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٥١.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٥٠، ١٥١، والعقلى، المصدر السابق، ح ١، ص ٤٥٤.

١٢١٨هـ (١٨٠٣م) فقادهم بنفسه مع من انضم إليه من قبائل عسير والمخلاف، واتجه صوب الحديدة، غير أن عاملها كان مستعداً أكثر هذه المرة فحدثت بعض المعارك بينهم، أصيب فى إحداها الشريف حمود بسمار قذيفة فى صفحة عنقه، فشفى بعدها، لكنها تركت فيه أثراً، ولذا أطلق عليه منذ ذلك الوقت "حمود أبو مسمار" المهم أنه لم يستطع الاستيلاء على الحديدة، وتراجع عنها عائداً عن طريق الساحل إلى "غلافقة" ثم "المجلس" حتى بلغ "التحيتا" من قرى زيد، ومنها إلى أبو عريش، وخلال مسيره فى عودته كان يأتيه رؤساء البلدان والقبائل لتأكيد ولائهم وطاعتهم، وعلى كل فقد امتد نفوذ الدولة أوائل عام ١٢١٨هـ إلى مشارف الحديدة، وبوادي بيت الفقيه. غير أنه مما كان يؤرق خاطر حمود هو ارتباطه بالقائد عبد الوهاب بن عامر أمير عسير، فهو غير راض عن رئاسته له من البداية، وحملها فى نفسه للظروف التى وقعت عقب معركة أبو عريش، فهو يعتد بنفسه لكفاءته، ويعتز بنسبه، وقد كان أميراً على المخلاف كافة، فاقطع منه جزء يديره عرار بن شار، وجزء آخر (صبيا وما يتبعها) يديره ابن أخيه منصور بن ناصر. بينما عبد الوهاب ابن عامر، لم يترأس قبل دخوله فى الدعوة إلا على قبيلته وما بجوزتها من بلدان عسير، وأن سبقه للدخول فى الدعوة هو الذى أعطاه ميزة الرئاسة فى عسير، ثم إن الظروف هى التى جعلت نفوذه يمتد إلى المخلاف، والآن وقد أثبت حمود إخلاصه للقيادة فى الدرعية، وجهاده فى ضم كثير من بلدان تهامة اليمن إلى حوزة الدولة، لذا فهو يطمح فى أن تعيد القيادة

نظرتها إليه، وتحقق أمله فى انفصاله عن عبد الوهاب بن عامر، وتجعل صلته بها مباشرة دون وسيط^(١).

وما أن استقر فى أبو عريش بعد حملته هذه حتى تواترت الأخبار باستشهاد الإمام عبد العزيز بن محمد، وهو يؤدى صلاة العصر بمسجد الطريف بالدرعية، فى العشر الأواخر من شهر رجب ١٢١٨ هـ. على يد رجل مشعوذ من أهل العمادية بالقرب من الموصل بالعراق^(٢) وانطلقت الوفود من كافة المناطق إلى الدرعية للتعزية، وتأكيد العهد والولاء لابنه الامام سعود بن عبد العزيز، المعروف بـ (سعود الكبير) فانتهزها حمود فرصة واستدعى ابن أخيه منصور بن ناصر أمير صيبا، وتبادل معه الرأى، الذى استقر على ارسال وفد للدرعية بغرض التعزية وتأكيد العهد والولاء للإمام سعود، ومن ثم السعى فى المطالبة بالانفصال عن رئاسة عبد الوهاب بن عامر أمير عسير، وتشكل الوفد من الشيخ حسن بن خالد الحازمي، وابن أخيه أحمد بن حيدر، ومعهما ناصر بن منصور أمير صيبا، ليتكلم عن نفسه، والآخران نيابة عن حمود، والجميع يسعون فى فصل المخلاف عن عسير. وقد نجح الوفد فى مهمته فى الانفصال عن رئاسة عبد الوهاب، وأصبح اتصاهما مباشراً بالقيادة فى الدرعية^(٣) إلا إذا حدث

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٥٦-١٦٥، والعقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٤، ٤٥٥.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٢٦٤، والبهكلى، المصدر السابق، ص ١٦٥-١٦٧.

(٣) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٩، والعقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٥، ٤٥٦.

استنفار عام، فإن ناصر بن منصور يخضع لرئاسة عبد الوهاب أبو نقطة خلال ذلك الاستنفار، وكذلك عرار بن شار.

ولما علم أبو نقطة بما سعى إليه حمود وابن أخيه، ونجاحهما فى مساعهما، حملها فى نفسه، وظل يتبع ما يصدر عنهما من تقصير، ليرفعها إلى الدرعية، وزادت الوحشة بينهما، ووجد الوشاة جواً خصباً لنشر سمومهم، وآذاناً من الطرفين تسمع وتنفعل، حتى كادت تقع المواجهة بالسلاح بينهما، لولا تدخل القيادة فى الدرعية التى سارعت بارسال وفد لتقصى الوضع، ومعرفة الحقيقة، فى محاولة لتهدئة حدة التنافس بين قادة المنطقة، عبد الوهاب، وحمود، وعرار^(١) وكان من نتيجة تدخل القيادة فى الدرعية أن حمدت حدة النزاع بين هؤلاء القادة لكن إلى حين.

المهم أن جبهة حمود هى التى كان موكل إليها العمل فى الجنوب بتهمة اليمن بتكليف من قبل القيادة العامة فى الدرعية، أما القواد الآخرون فيشاركون كمساندين لها، أو يشاركون فى ميادين أخرى كالحجاز مثلاً، ويهمنا إلقاء الضوء على هذه الجبهة الجنوبية لأن لها علاقة بما نحن بصده تاريخياً.

بدأ الامام المنصور يدرك خطورة الوضع، بسبب خروج بلدان تهامة اليمن، فيما هو جنوب الواعظات وحرص حتى مشارف الحديدة،

(١) انظر: دواعى هذا التنافس، أو بالأصح الخلافات فى العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٥٧-٤٦٠، والبهكلي،

ص ١٦٥، ١٦٦، ١٧٠، ١٩٣، ١٩٤.

وبيت الفقيه، ونتيجة لما كان يرفعه إليه عامل كل من الحديدية وبيت الفقيه من سرعة التحرك، قام بامدادهما بالرجال والعتاد، للتصدى لهذا الزحف الذى يهددهما، ومما زاد من قلق إمام صنعاء أن النفوذ السعودى بدأ يمتد أيضاً إلى اليمن الأعلى بالجبال، فمخلاف "حجة" المجاور لكوكبان، والمشهور بزراعة البن، والذى يبعد عن صنعاء مسافة ١٢٧ كيلو متر، فى الشمال الغربى، وبه دفن الامام أحمد بن يحيى المرتضى، وحفيده الامام شرف الدين، أقبل وفد من مشايخه وأعيانه إلى الشريف حمود ليعلنوا الطاعة والولاء للدولة السعودية، والدخول فى الدعوة، فبعث معهم عاملاً وداعياً أوائل عام ١٢١٩هـ^(١) وذلك بالاضافة إلى امتداد الدعوة إلى أعراب "رمة" بالجبال، فى الشمال الشرقى من الحديدية. لذا سارع الامام المنصور بتزويد عامل الحديدية صالح بن يحيى العلفى، بالرجال والعتاد مما مكنه من استعادة قلعة الزيدية^(٢)، ولما علم الشريف حمود بعث سرية من الفرسان يقودها على بن حيدر، لكنها لم تستطع استخلاصها فعادت أدراجها إلى مور، فشجع ذلك عامل الحديدية على التقدم نحو اللحية لاستعادتها هى الأخرى فى بداية عام ١٢١٩هـ.

وعلم حمود بتحركات العلفى فجمع جموعه، وتحرك فى ٩ صفر ١٢١٩هـ، والتقى بالعلفى عند مكان يسمى "دير على" وكانت بينهما

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٢) تبعد الزيدية عن الحديدية مسافة ٦٢ كيلومتر، فى الشمال الشرقى، بالقرب من وادى سرور، المقحفى، ابراهيم أحمد، معجم المدن والقبائل اليمنية، ص ١٩٤.

وقعة مهولة، منى فيها العلفى بالهزيمة، ثم تصالحا على عقد هدنة لمدة عام، على أن يسلم أمير الحديدية: الزيدية وما ورائها إلى حدود سهام وشمال الحديدية للشرىف حمود، ويقتصر نفوذ العلفى على الحديدية، وما ورائها جنوباً^(١) ثم بعث إمام صنعاء جيشاً أواسط عام ١٢٢٠هـ، إلى حجة فاستعادها^(٢) وكانت معركة "باجل" من أشد المعارك التى وقعت ذلك العام بين حمود وعامل الحديدية صالح العلفى وانتهت بتوقيع صلح لمدة عام آخر، وتأكيد نفوذ كل منهما على المناطق التى سبق تحديدها فى الصلح السابق، وقد استخدم حمود فى هذه المعركة جنداً من بكيلى، واستخدم العلفى جنداً من يام، الذين حصلوا منه على أموال عديدة، وعادوا إلى نجران، مما كان سبباً فى وقوع خلاف بينه وبين قيادته فى صنعاء، وجعله فى النهاية يخلع طاعتهم، وينضم إلى طاعة القيادة فى الدرعية، تحت تأثير مكاتبات وصلته من الشرىف غالب عندما وقع صلحاً مع الامام سعود عام ١٢٢١هـ، ودخل فى طاعته، يخثه الشرىف غالب على الدخول أيضاً فى طاعة الامام سعود، وكذلك مكاتبات من القائد عبد الوهاب بن عامر، وبذلك أصبح العلفى رجل عبد الوهاب، المنافس لحمود فى المنطقة^(٣).

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٧٠-١٧٥.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٧٨، ١٨٥.

(٣) البهكلى، المصدر السابق، ص ٢٠٣-٢١٠، والعلقى، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٣، ٤٦٤.

ونتيجة لذلك دخلت المنطقة التي كان يحكمها صالح العلفى فى حوزة الدولة السعودية، وهى الحديدية، وبيت الفقيه، غير أن إمام صنعاء تصرف بسرعة فبعث قوة انضم إليها جنوده الموالين له فى كل من المخا والحديدية، فاستولوا على الحديدية، وقبضوا على أولاد العلفى، ونهبوا أمواله، وكان هو فى ذاك الوقت فى بيت الفقيه، فاستنجد بعبد الوهاب أبو نقطة لانقاذ أولاده، وكان عبد الوهاب مشغولاً بحرب نجران وقتها، فبعث حمود قوات إلى الحديدية استولت عليها، وانقذت أبناء العلفى، كما بعث قوات عن طريق البحر لمساعدة صالح فى بيت الفقيه فيما لو قدمت قوات الامام إليها، وفى الوقت نفسه كانت قد وصلت إليه قوات لمساعدته من طرف عبد الوهاب بن عامر^(١).

وفى أواسط عام ١٢٢٣هـ وصلت الخلافات بين حمود وعبد الوهاب بن عامر أبو نقطة إلى طريق مسدود، بالرغم من محاولات القيادة فى الدرعية تصفية تلك الخلافات أكثر من مرة، وإحساس حمود بأن عبد الوهاب له الخطوة لدى الدرعية أكثر منه، وربما يكون ذلك لكثرة الشكايات التى تصلها فى حقه^(٢) لذا بادر باظهار الخلاف، والعمل على

(١) العقبلى، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦٣-٤٦٦، البهكلى، المصدر السابق، ص ٢٠٥-٢٠٩، ٢١٧-٢٢٢. وعبد الله بن مسفر، السراج المنير، ص ٥١، ٥٢.

(٢) فضلاً عن عبد الوهاب أبو نقطة، فقد شكاه إلى الامام سعود كل من الشريف حيدر، والشريف منصور بن ناصر، إبنى أخيه، البهكلى، ص ٢٣٧-٢٤١، د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٧٨-١٨١، والعقبلى، ج ١، ص ٤٦٨، ٤٧١.

استقلاله بالمنطقة فيما بين أبو عريش حتى جنوب الحديدة^(١) ووصلت تلك الأخبار إلى الدرعية فأصدرت القيادة العليا فى الدرعية تعليماتها إلى عبد الوهاب أبو نقطة بالعمل على إخضاع حمود بالاستعانة بقبائل عسير وماجاورها، فاستعد كل منهما للآخر، ثم التقيا فى وادى ييش فى معركة رهيبة يوم ١٢٢٤/٦/٢٨هـ، أسفرت عن هزيمة حمود، ومقتل عبد الوهاب بن عامر الرفيدى^(٢) فتولى إمارة عسير بعده ابن عمه طامى بن شعيب، بناء على تعليمات القيادة فى الدرعية.

وبعد ذلك أصبحت المنطقة التى بحوزة حمود، وهى من أبو عريش جنوباً حتى الحديدة مسرحاً للعمليات والغارات من قبل القواد السعوديين فى المنطقة حتى عام ١٢٢٥هـ، فقد تكررت غزوات كل من عثمان المضافى، وطامى بن شعيب، وعرار بن شار، ومحمد بن أحمد المتحمى، وغيرهم، ووصلت غزواتهم إلى اللحية والحديدة وغيرهما من بلدان حتى استولوا على الحديدة^(٣)، وكانوا يستعملون فى بعض تلك الغزوات السفن التى تحمل جنوداً للمساندة البحرية، تنطلق من ميناء الشقيق إلى ميناء

(١) ويقال إن مما شجعه على اتخاذ موقف انفصالى عن القيادة فى الدرعية، أنه كان يتصل سرّاً بالشرىف غالب بن مساعد وعلم منه أن الدولة العثمانية كلفت والى مصر محمد على باشا بالذهاب إلى الحجاز لمحاربة الدولة السعودية، وأنه يستعد لذلك. فشجع ذلك حمود على التمرد، نفخ العود، هاشم ص ٢٣٩. دراسة وتحقيق الشيخ محمد بن أحمد العقيلى.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص ٢٥٣-٢٥٥، والعقيلى، المصدر السابق، ص ٤٦٨، ٤٦٩، وابن بشر، ج ١، ص ٣٠٢-٣٠٤، ود. عيد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٨٢-١٨٤.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٣١٢. وعبد الله بن مسفر، المصدر السابق، ص ٦٤.

اللحية، أو الحديدية. ثم انشغلت القيادة فى الدرعية، وهؤلاء القواد أيضاً بالتصدى لقوات محمد على باشا التى قدمت إلى الحجاز عام ١٢٢٦هـ^(١).

ومما يلاحظ على المنطقة بصفة عامة، خلال هذه الفترة التى استعرضنا وقائعها:

١- أصبحت العقيدة السلفية، بما تحمله من مبادئ واصلاحات لأمر الدين والدين، تحتل المكانة الأولى فى قلوب أبناء كل من منطقة عسير والمخلاف (جازان). بمن فيهم سراة القوم وعامتهم على حد سواء، وتخلصوا من البدع والخرافات، وأساليب الطرق الصوفية التى كانت شائعة فى المنطقة، ولأن العلماء كانوا قد ملّوا واقعهم الدينى المشوب بالخرافات، الذى كانوا يعيشونه قبل الدعوة فقد وجدوا فى أنفسهم دافعاً قوياً لمناصرة الدعوة، وشمروا عن سواعدهم لنشر مبادئها، وتولى أعمال التدريس، والقضاء، والافتاء، دون الاستعانة بعلماء من خارج المنطقة فى هذا المجال، مما دفع القيادة فى الدرعية إلى الوثوق بهم، فجعلت أحد علمائهم رئيساً للقضاة فى عسير، وهو الشيخ أحمد الحفظى، وفى جازان الشيخ حسن بن خالد الحازمي^(٢) ونظراً للقناعة الذاتية لدى أبناء المنطقة فى مصداقية

(١) د. أبو داهش، المصدر السابق، ص ١٤.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٣٦٤.

الدعوة، فقد كان ولاؤهم لحكام الدرعية خالصاً وصادقاً، وارتباطهم بهم مصرياً فى الشدة والرخاء، بدليل مشاركتهم لهم فى تصديهم لقوات محمد على باشا، ثم تصديهم لتلك القوات خلال غزوها للمنطقة، بشجاعة واستماتة تستلفت الأنظار، وأن قناعتهم لمصادقية الدعوة، ووفاءهم لروادها وأصحابها لم ينته بزوال النفوذ السياسى فى الدرعية عام ١٢٣٤هـ بل استمر وتواصل مع حكام الدولة السعودية فى مرحلتها الثانية، ثم الثالثة بعد ذلك.

٢- قام أبناء المنطقة، وعلماءها بدور الدعاة والمرشدين، لنشر الدعوة فى معظم أرجاء أرض اليمن فى الحواضر والبادية، مستغلين صلاتهم السابقة بهم، ومعرفتهم بمواطنهم، ووضعهم الاجتماعى، واتجاهاتهم الفكرية، مما كان له أثر بالغ فى اندفاع العديد من بلدان تهامة اليمن وقبائلها إلى قبول الدعوة وإعلان الولاء والطاعة، حال وصول الدعاة إليهم بشكل رسمى برفقة سرية الشريف على بن حيدر، التى سبق أن أشرنا إليها^(١) وأن أثر الدعوة امتد عن طريقهم إلى مشارف صنعاء، فى حجة وكوكبان^(٢) وكان عامل صعدة محمد بن على القاسمى قد مال

(١) انظر ص ١٠٤-١٠٦ من هذا البحث.

(٢) كوكبان من أشهر جبال اليمن، وهى منطقة تبعد عن صنعاء مسافة أربع ساعات سيراً على الأقدام، وكان عامل صنعاء بها هو السيد/شرف الدين بن أحمد، ولما أراد الدخول فى الدعوة، وإعلان الولاء للدرعية، طلب من--

قلبه إلى الدعوة، وأرعى جبل المودة لحكام الدرعية، حتى أنه توسط في الخلافات بينهم وبين الشريف حمود عام ١٢٢٤هـ، فقبلوا وساطته^(١).

٣- أن إمام صنعاء لم يحفل بدخول كل من عسير وجازان (المخلاف) تحت نفوذ وطاعة الدولة السعودية، لأن الوضع فيهما لم يكن يمثل بالنسبة إليه أهمية دينية أو سياسية، فقد كان الحكم فيهما شبه استقلالي، كما سبق أن أوضحناه^(٢) وعندما امتد نفوذ الدولة السعودية إلى تهامة اليمن، وبات يهدد الحديدة بدأ القلق يساوره مخافة استمرار الزحف إلى صنعاء، فحاول امداد عامل الحديدة ببعض التعزيزات حسب امكاناته وقتها، ثم تأكد لديه الخطر الذي يخشاه عندما خرجت كل من حجة وكربان عن طاعته، ففزع وعمل جاهداً على استخلاصها، حتى نجح في هذا، ثم وجه همه نحو تهامة اليمن لتخليص الحديدة، فلم يستطع تخليصها، وعندما انشق الشريف حمود عن

= الشريف حمود أن يعث إليه مجموعة من الرجال برفقة أحد رجاله قائداً لهم. لكي يتعلل بهم لدى إمام صنعاء بأنه مغلوب على أمره، البهكلي، المصدر السابق، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

^(١) البهكلي، المصدر السابق، ص ٢٧٧، وهي التكملة على نفع العود، من تأليف ابن عاكش، الحسن بن أحمد، وفيها ذكر أن تلك الوساطة التي قام بها عامل صعدة كانت عام ١٢٢٦هـ، والصواب أنها كانت قبل ذلك. انظر: العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٠. ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٨٤. وابن مسفر، المصدر السابق، ص ٦٥.

^(٢) انظر: الفصل الأول من هذا البحث ص ٥٨.

الدرعية، استغل هذه الفرصة لتخليصها ظناً منه أن حمود أصبح ضعيفاً، لكنه لم يستطع أيضاً، ثم حاول أن يضع يده فى يد حمود ليكون رداءً له، وحائلاً فيما بينه وبين الدولة السعودية، وأثناء ذلك كانت قرات محمد على باشا قد وصلت إلى الحجاز، فكتب كلاً من السلطان العثماني، ومحمد على باشا عام ١٢٣٤هـ (١٨١٩م) طالباً منهما العمل على استخلاص تهامة اليمن لصالحه^(١) وبهذا يتأكد القول بأن تهامة اليمن، من جنوب حرض حتى الحديدة، هى ماكان يهمله أمرها دون ماعداها.

نجران:

سبق أن تحدثنا عن نجران قبيل ظهور الدعوة الإصلاحية^(٢) ثم دور اليامين بقيادة المكرمى، حسن بن هبة الله، فى بداية نشأة الدولة السعودية الأولى، وقدمه إلى نجد لمحاربتها عامى ١١٧٨هـ، ١١٨٩هـ، ثم لم يعاود بعدهما القدوم إلى نجد، وولى وجهه جهات أخرى، ليحقق فيها ماينشده من غنائم وأسلاب، فربما أدرك أن شأن الدولة السعودية فى تزايد مستمر، وأن قدمه إلى نجد قد يجلب عليه من الخسائر أضعاف ما ينشده من غنائم لذا مارس هوائته بجهة أخرى، لأنه يصعب أن يقر لليامين قرار، فقد

(١) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٨٥.

(٢) انظر: ص ٦٦-٧٠ من هذا البحث.

امتهنوا أعمال الغزو والسلب من معات السنين، وتأصلت فيهم كمصدر لرزقهم، فضلاً عن أنها كانت تعتبر من مظاهر الفروسية بمعايير ذلك العصر، وهى تشبع رغبتهم فى امتشاق الحسام، والضرب والنزال، وهو أمر يكاد يكون مشتركاً بين كافة البادية، لكنه كان أوضح فى اليامين، الذين أطلق عليهم أنهم جنود مرتزقة، يمتشقون الحسام لالمبدأ يعتنقونه، وإنما لمغنم يطلبونه، وسيفهم مع من يدفع أكثر، ولا يعرفون الولاء لغير رؤسائهم، ثم لدوى الرئاسة الدينية فيهم من المكارمة، وكان العداء مستحكماً بينهم وبين أئمة صنعاء فى مختلف العصور، نظراً للاختلاف المذهبى، واتخذوا أرض اليمن مسرحاً لغزوهم نظراً لكثرة خيراتها، وقام بعض أئمة اليمن بغزوهم لتأديبهم وكسر شوكتهم، لكن شوكتهم كانت أصلب من أن تنكسر، فحاولوا كسب مودتهم ببذل المال، والاستعانة بهم كمحاربين ضد خصومهم، فأخذوا المال، وانفضوا من حولهم دون ولاء، تاريخهم كاد يكون أنموذجاً للشراسة والعنف فى شتى صورته، فسبحان من طوعهم لمن أَرَادَهُ اللهُ من خلقه، فاستكانوا واطاعوه وبذلوا له الولاء، وانتظموا فى سلك رعيته مستكينين، مسئولين عن الأمن فى مواطنهم، والمسالك والدروب المؤدية إليها .. وانساب اليهم رزقهم رغداً من غير أعمال الغزو والسلب، التى امتهنوها مئات السنين!

وعلى كلٍ فقد جنح الحديث بنا عما كنا فيه، بسبب ما عرف عن أيام من سلوكيات خلال الأزمان السابقة، فهى ظاهرة بحاجة إلى دراسة مستقلة عن سلوكيات البادية قبل العصر الحديث، الذى استقرت فيه

الأوضاع السياسية، والأمنية، والاقتصادية، للمقارنة بين ماكانت عليه الأوضاع فى الجزيرة العربية بصفة عامة وبين ماتعيشه الآن من أمن ورخاء، للتذكير بنعمة الله والتحدث بها. ثم نسبة الفضل لذويه ممن بذلوا الجهد فى استقرار الأوضاع .. ولنعد إلى ماكانا فيه.

ابتعد الياميون عن نجد، ومارسوا أعمال الغزو فى أرض اليمن، وفيما جارورهم من مناطق. فغزوا عسير عام ١١٩٩هـ^(١) واستخدمهم أشرف جازان قبل الدعوة كجنود مستلدين مرتزقة، فأفسدوا حكمهم، وكاتبهم الشريف حمود ليقفوا معه قبيل موقعة أبو عريش عام ١٢١٧هـ، التى أعلن طاعته بعدها، وأصبح قائداً من قواد الدولة السعودية، فقدم إليه بعضهم عند حرض، فبعث إليهم بالأموال مع ابن أخيه على بن حيدر كحافز للاقدام إلى أبو عريش، والالتزام بالوقوف معه، فقالوا لابن أخيه: إن حركات جند نجد بطيئة، ونحن نسير إلى اليمن نذهب منه مايقوينا على الحرب، ونعود قبل وصول جند نجد، فحاول إغراءهم فلم يستجيبوا، وانصرفوا يذهبون، ولم يعودوا^(٢) وحاول إمام صنعاء أن يستعين بهم ضد القوات السعودية التى دخلت تهامة اليمن، فاستدعى إليه عبد الله بن حسين بن نصيب الياسمى، أحد رؤسائهم من المواجد^(٣) وأغراه ببذل

(١) د. محمد آل زلفه، المصدر السابق، ص ١٨، ١٧.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٢٧، ١٣٠.

(٣) يقول البهكلى ص ١٥٥ " يزعم ابن نصيب هذا أن نسبه يعود إلى الحارث بن كعب، ذو العصم أحد جمرات العرب" فإن صح هذا فإن يام تكون قد انضمت إليها - تحت هذا الاسم - بعض القبائل الأخرى بالتحالف.

الأموال على أن يقود بطون يام إلى تهامة اليمن، لكن البطون اليامية الأخرى لم تستجب لابن نصيب، ونقموا على إمام صنعاء، وخرجوا يذهبون في أرض اليمن^(١) وحاول عامل الحديد من قبل إمام صنعاء، صالح بن يحيى العلفى، أن يستعين بهم ضد قوات الدولة السعودية بقيادة الشريف حمود، والتي كانت تزحف جنوباً صوب الحديد، فحدثت معركة بينهم عند جبل باجل، أوائل شهر رمضان ١٢٢٠هـ، وكان يقود يام كل من جابر بن مانع بن مذكور، من آل فاطمة، وعبد الله بن نصيب من المواجد، ثم أخذوا من عامل الحديد أموالاً جزيلة وانصرفوا عائدين إلى نجران، ولم يستمروا معه، وكانت هذه الأموال سبباً في توجيه اللوم والتهديد من صنعاء إلى عاملها في الحديد، صالح العلفى، مما دعاه إلى التفكير في خلع طاعة إمام صنعاء والدخول في طاعة أئمة الدرعية، لاسيما وأنه وقع تحت تأثير مراسلات كل من الشريف غالب، وعبد الوهاب بن عامر أبو نقطة، مما شجعه على خلع طاعة أئمة صنعاء، والدخول في طاعة أئمة الدرعية^(٢).

وبالنظر لكون يام تميل إلى الإغراءات المادية، فتشير فيها نزعة المغامرة ولأن حكام الدرعية لم يتعودوا بذل تلك الإغراءات، لذا كانت يام كثيراً ما تنحاز إلى جانب خصومهم، بمقابل كجنود مرتزقة، بالرغم من العداء المذهبي بينهم وبين الزيديين، الذي يتلاشى مؤقتاً أمام ذلك الإغراء المادى،

(١) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٥٦، ١٥٥.

(٢) البهكلى، المصدر السابق، ص ١٨٩-١٩٢، ١٩٤، ٢٠٢، ٢٠٦.

وكان ذلك مما يقلق القادة السعوديين فى الميدان الجنوبى بتهامة اليمن، الذى تندفع إليه يام دون غيره من ميادين، وكان قد بدرت منها تعدييات على عشيرة من قبيلة سنحان المجاورة لهم بجنوب عسير وهى ضمن رعايا الدولة السعودية، وكان الامام سعود مشغولاً ذاك الوقت بالحدود الشمالية والشرقية للدولة، لذا أصدر أوامره عام ١٢٢٠هـ إلى القائد عبد الوهاب ابن عامر أبو نقطة، بأن يقود قبائل عسير لتأديب يام، والعمل على إخضاعها، كما أصدر أوامره إلى فهاد بن سالم بن شكبان - الذى تولى إمارة بيشة بعد أبيه، وإلى الدواسر، تحت قيادة كل من ربيع بن زيد، وابراهيم بن مبارك بن عبد الهادى - رئيس الودّاعين بالدواسر، الذى تولاهما بعد أبيه - وإلى قبائل قحطان ووادعة الجنوب، بأن تسيّر جموعهم تحت قيادة أبو نقطة إلى نجران^(١) فالتقت تلك الجموع التى تجاوز عددها ثلاثين ألفاً، مع جميع بطون يام وبادية نجران بالقرب من بلدة بدر الجنوب^(٢) ووقع قتال شديد على مدى ثلاثة أيام، قتل من الطرفين قتلى عديدون، كان منهم ابراهيم بن مبارك، رئيس الودّاعين، وإدريس بن حويل، وأقام أبو نقطة فى موضعه هذا حوالى شهرين، ثم بنى فيه قصراً بما يشبه الحصن سمي "الثغر" فى قرية حمضه، وترك فيه مرابطة ليضيقوا على

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٨٩، والبهكلى، ص ٢٠٧. وابن مسفر، المصدر السابق، ص ٥٢.

(٢) بلدة بدر إحدى أكبر مدن نجران، وهى حالياً توسعت ويتبعها بعض القرى، وبها أمير، وعديد من المنشآت الحكومية للإدارة والتعليم والصحة والمواصلات وغيرها.

بادية نجران^(١) ويثبت لهم امتداد نفوذ الدولة السعودية إليهم، وكان لهذا تأثيره على معظم أهل نجران وبخاصة باديتها، وأقبل وفد منهم إلى الدرعية ليزيلوا الطاعة والولاء. ويؤدوا الزكاة إلى الإمام سعود. فكتب الإمام سعود بن عبد العزيز كتاباً لهم جاء فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم من سعود إلى جناب الأشراف حسين بن ناصر، وحسن ابن دهشان، وحمزة ومحمد ابنا حسن، وحسين بن أحمد، ومقبل بن محمد، وصالح بن عبد الله، وأحمد بن معوض، وأحمد على بن شما، وصالح حسين مسلي، سلمهم الله من الآفات، واستعملهم بالباقيات الصالحات. وبعد: ألقى^(٢) علينا مقبل بن عبد الله، وأشرف على مانحن عليه، وماندعو إليه، ومانأمر به، وما ننهى عنه، ويصف لكم من الرأس أكثر من القرطاس، إن شاء الله، ونخبركم أننا متبعون لامبتدعون، نعبد الله وحده لا شريك له، وتتبع رسول الله **ﷺ**، فيما يأمر به وينهى عنه، ونقيم الفرائض، ونحج من تحت يدنا على العمل بها، وننهى عن الشرك بالله، وننهى عن البدع والمحرمات، ونقيم الحدود، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونأمر بالعدل، والوفاء بالعهود، والمكاييل والموازين، وبِر الوالدين، وصلة الأرحام.

^(١) ابن بشر، الجزء والصفحة نفسها، والهيكلي، المصدر، والصفحة نفسها. ود. العثيمين، تاريخ المملكة العربية

السعودية، ج ١، ص ١٤٥.

^(٢) ألقى: أى قدم.

هذه صفة مانحن عليه، وماندعو الناس إليه، فمن أجاب وعمل بما ذكرنا، فهو أخونا المسلم، حرام الدم والمال، ومن أبى قاتلناه حتى يدين بما ذكرنا .. وانتم أحص الناس باتباع محمد ﷺ، والحق عليكم أكبر منه على غيركم، والاسلام هو عزكم وشرفكم، كما قال تعالى: "لقد أنزلنا عليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون"^(١) وقال تعالى: " وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون"^(٢) فالمأمول فيكم الدعوة إلى الله، لأن الدعوة سبيل من اتبعه ﷺ، كما قال تعالى: "قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين"^(٣) وقال تعالى: " ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين"^(٤) ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الداعين إليه المجاهدين فى سبيله، لتكون كلمته هى العليا، ودينه هو الظاهر، وصلى الله على محمد وسلم^(٥).

وهو كتاب موجه من الامام سعود بن عبد العزيز إلى المذكورين أعلاه، ويبدو أنهم كانوا من أكابر نجران^(٦) يحتهم فيه على الدخول فى

(١) سورة الأنبياء، آية ١٠.

(٢) سورة الزخرف، آية ٤٤.

(٣) سورة يوسف، آية ١٠٨.

(٤) سورة فصلت، آية ٣٣.

(٥) نفع العود، للبهكلى، هامش ص ٢٠٦ أورده محقق الكتاب الشيخ العقيلي، وأيضاً فى كتابه "نجران فى أطوار

التاريخ" ص ١٣٢-١٣٥.

(٦) سبق أن أشرنا إلى أن هناك قبائل أخرى غير البياميين بنجران، منهم: آل خريم، وأولاد عبد الله، والأشراف،

وغالب الظن أن رسالة الامام سعود موجهة إلى هؤلاء وإلى غيرهم من بعض بطون يام.

الدعوة، والالتزام بتعاليم الاسلام الصحيحة، وأنه كان من نتيجة هذا الترغيب أن دخل البعض فى طاعته رغبة منهم، وأدوا إليه الزكاة كما قال ابن بشر^(١) كما يلاحظ أن بعض بطون يام لم يدخلوا فى الطاعة ضمن من دخلوا عام ١٢٢٠هـ، لأنهم إشتروا فى حرب وقعت عام ١٢٢٤هـ ضد الدولة السعودية^(٢) ثم حدثت مهادنة بين الطرفين إلى أن كانت حروب الدرعية، فلم يسهموا بأى دور مع أي من الطرفين، وظلوا بعيداً عن ساحتها، بخلاف قبائل عسير وجازان، التى تصدت لهذا الغزو الخارجى، كما سنعرفه فى الفصل الثالث.

ويقال أن اليامين بقيادة المكارمة توغلوا فى أرض اليمن وأخضعوا مناطق بداخلها لحكمهم عام ١٢٢٩هـ، كمنطقة صعفان غربى مسار، من أعمال مناخة، ونصبوا أمراءها وجندها من أهل نجران، وذلك فى وقت يوسف بن على بن هبة الله المكرمى^(٣) الذى ولّى عليها ابن أخيه حسين ابن حسين بن على المكرمى^(٤) وكذلك على حراز والحيمة غربى صنعاء واستمرت فى يدهم إلى مابعد عام ١٢٦٨هـ^(٥).

(١) ابن بشر، ج ١، ص ١٨٩، ٣٥٤.

(٢) د. العثيمين، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٥، وابن بشر، ج ١، ص ٣٠٣.

(٣) توفى يوسف بن على عام ١٢٣٤هـ، انظر: فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص ١٧٥.

(٤) سيد الملاحى، نجران الارض والناس والتاريخ، ص ٢٨، ٢٩.

(٥) مؤلف مجهول "صفحات مجهولة من تاريخ اليمن" تحقيق القاضى حسين السياغى، ص ١١٣، ٧٨، ٤٤.

وعلى كل فإن ولاء بعض البطون اليامية، والقبائل الأخرى وبخاصة
بادية نجران استمر مبنولاً إلى أئمة الدولة السعودية الأولى، والثانية كما
سنراه فيما بعد.

الفصل الثالث

وجود قوات محمد علي باشا، الوالى العثماني لمصر، فى هذه المناطق.

كانت الدولة العثمانية تعتبر نفسها وريثة الخلافة الإسلامية، من متطلق امتداد نفوذها إلى البلاد العربية، بعد قضائها على نفوذ المالك فى الشام ومصر، وأنها أصبحت تمثل العالمين العربى والإسلامى أمام دول العالم الخارجى، واكتسبت زعامتها الإسلامية من كونها راعية لأرض الحرمين الشريفين، وقد هالها الفزع بسبب امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى معظم شبه الجزيرة العربية، وبخاصة الحجاز - أرض الحرمين الشريفين - وذلك عام ١٢١٨هـ^(١) ثم الحيلولة بين وصول وفودها الرسمية، ووفود الولايات التابعة لها - العراق والشام ومصر - إلى الأماكن المقدسة على الصفة التى كانت تأتى بها، فى مصاحبة المحمل^(٢) بالإضافة إلى التقدم شمالاً نحو العراق والشام، رداً على محاولات الولاة فى الولاياتين مهاجمتها، وبعث الحملات إليها. وفشلهم فى ذلك^(٣) ورأت أن خروج الحرمين الشريفين عن دائرة نفوذها يعتبر صفة قوية ستفقد الزعامة التى تتمتع

(١) ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٩-٢٦٣، وأيوب صبرى، المصدر السابق، ص ١٤٢.

(٢) محمد أديب غالب، من أخبار الحجاز ونجد فى تاريخ الجزيرة، ص ١١١، وابن بشر، المصدر السابق، ج ١،

ص ٢٩١، ٢٩٢، وأيوب صبرى، المصدر السابق، ص ١٤٤.

(٣) د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٢، ١٩٧-٢٢١، ٢٩٨.

بها على العالم الاسلامى، ومما زادها فزعاً هو أن امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى أصبح له تأثير ورنين أخاذ على الساحة الدولية، وأضحى مشار اهتمام من بعض الدول المهتمة بالمنطقة، كإنجلترا، وفرنسا، وروسيا القيصرية، بسبب ظهور قوة جديدة فى المنطقة تهيمن على مساحات شاسعة من بلاد العرب، وتتحكم فى الشاطئ الغربى للخليج العربى، والشاطئ الشرقى للبحر الأحمر، فبدأوا يطلبون ودّها وصادقتها، ويتنافسون فى هذا المجال، بإرسال وفودهم إلى الدرعية، بغرض عقد اتفاقات، أو على الأقل كشف الوضع عن ماهية تلك الدولة المتنامية بصورة ملفته^(١).

رأت الدولة العثمانية أن صورتها قد اهتزت أمام العالم على يد الدولة السعودية، فحرصت على استرداد هيبتها أمام العالم الاسلامى، باستعادة نفوذها على أرض الحرمين الشريفين، فعهدت بتلك المهمة إلى واليها على مصر، محمد على باشا، بعد أن فشل ولاتها بالعراق والشام فى تلك المهمة.

ومع أن الدولة العثمانية لم يكن لها نفوذ حقيقى وسط شبه الجزيرة العربية، وبخاصة على أرض نجد، ولم تكن تطمع إلا فى استعادة نفوذها على أرض الحرمين الشريفين، إلا أن محمد على باشا، قد وجدها فرصة لصنع نفوذ له فى شبه الجزيرة العربية، على حساب الدولة السعودية،

(١) د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٦٤، ٢٧٨، ٢٨٤، ٢٨٦، ٢٨٨.

وعندما تأتى له هذا النفوذ تمرد على الدولة التى أعطته تلك الفرصة، ودخل معها فى منازعات وحروب، أضعفها وأوهنها، ثم تحجمت على اثر ذلك قوته بفعل التدخل الدولى ضده، وكان قد نجح فى القضاء سياسياً على الدولة السعودية، لكنه لم يستطع القضاء عليها دينياً وعاطفياً، فتأججت فى الصدور جذوة الكفاح ضد قواته فى طول البلاد وعرضها، ولم تخمد إلا بقيام الدولة السعودية فى دورها الثانى.

وتشير الوثائق إلى أن أول تكليف ورد من السلطان مصطفى الرابع^(١) إلى محمد على، للقيام بتلك المهمة، كان عام ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م) إلا أن محمد على أرسل إلى السلطان يعتذر عن عدم تمكنه من القيام بالمهمة، بسبب تدهور الحالة الاقتصادية للبلاد، واستيلاء المالك على صعيد مصر، وعندما اعتلى السلطان محمود الثانى سدة الحكم عام ١٢٢٣هـ، عاود تكليف محمد على باشا القيام بالمهمة، فجعل يتعلل بالأعذار السابقة بالإضافة إلى تعلله بخشيته من أطماع الدول الأوربية فى مصر فيما لو تركها وذهب إلى الحجاز، ثم من تخوفه من سليمان باشا والى الشام، الذى يأوى الممالك الفارين من مصر، ويحرضهم عليه، وطلب إبعاد سليمان باشا عن ولاية الشام، وتعيين صديقه يوسف كنج

(١) السلطان مصطفى الرابع، حكم لمدة عام واحد ١٢٢٢هـ - ١٢٢٣هـ (١٨٠٧-١٨٠٨م) ثم تولى بعده السلطان محمود الثانى، الذى استمر حكمه حوالى واحد وثلاثين عاماً ١٢٢٣هـ - ١٢٥٥هـ (١٨٠٨-١٨٣٩م) وفى عهده كانت الحروب ضد الدولة السعودية الأولى.

بدلاً منه، أو أن يشترك معه فى الحملة^(١) وظل يحاطل حوالى ثلاث سنين إلى أن أجبر الدولة على الاستجابة لبعض مطالبه، كتزويده بجزء من العتاد والأموال للإعداد للحملة، وفى الوقت نفسه كان قد استطاع الاستعداد، بعد تثبيت أقدامه فى مصر، وإحكام قبضته عليها، والتخلص من أمراء الممالك واتباعهم، فى مذبح القلعة التى دبرها لهم يوم ٤ صفر ١٢٢٦هـ (٢٨ فبراير ١٨١١م) فى الحفل الذى أقامه لتقليد ابنه أحمد طوسون خلعة القيادة لتلك الحملة^(٢) وكان هذا من المفارقات العجيبة أن يبدأ تحرك الحملة من القاهرة بإراقة الدماء. ثم خلال مسيرتها من البداية إلى النهاية.

كانت الحملة التى قادها طوسون تتكون فى البداية من ثمانية آلاف جندي، بكامل معداتهم، منهم خمسة آلاف من المشاة والمدفعية، خرجوا من القاهرة يوم ١٩ رجب ١٢٢٦هـ (١٨١١م) ليسافروا بحراً من السويس، وثلاثة آلاف من الفرسان ومعهم طوسون قائد الحملة خرجوا يوم ١٢ رمضان، ليسافروا بالبر عبر العقبة إلى ينبع البحر، التى اختيرت لتكون نقطة التجمع لجنود البر والبحر^(٣).

(١) د. عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٩٨-٣٠٠ اعتماداً على الوثائق التوكية التى ذكر أرقامها وتواريخها، والمخفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة.

(٢) د. عبد الرحيم عبد الرحمن، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٢.

(٣) محمد أديب غالب، المصدر السابق (تقلاً عن الجبرتي) ص ١٢٦، د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٣، وابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢١، ٣٢٢، ويقول إن عدد جنود الحملة كان أربعة عشر ألف رجل، أو يزيدون. —

قام محمد على منذ أن عرف بأمر تلك المهمة، بإجراء الاتصالات بالشريف غالب من خلال المراسلات التي كان يحملها التجار الذين يترددون بين جدة والقاهرة، وعن طريقه عرف الكثير عن المنطقة، كما أنه بث العيون بين القبائل لمعرفة المزيد، ولذا وضع في مخططه منذ البداية العمل على استمالة ما يمكن من القبائل إلى جانبه، بأسلوب بذل الأموال والأعطيات والهدايا، وقدم مع الحملة لهذا الغرض^(١) ابن المحرقى كبير التجار في القاهرة، ومعه مجموعة ممن يجيدون التعامل مع الأعراب.

ويدور أن القيادة في الدرعية لم تكن لديها المعلومات الاستطلاعية الكافية عن تحركات محمد على، متى تبدأ، وعلى أي السواحل يكون نزولها؟. لذا أخذت تزقب، ثم غلب على ظنها أن النزول سيكون في جدة، لذا أمر الامام سعود ابنه عبد الله بقيادة بعض القوات، والنزول بوادى فاطمة بين مكة المكرمة وجدة^(٢).

-ومعروف أن قوات محمد على التي قدمت إلى الجزيرة العربية كانت تتكون من جنسيات مختلفة كالأتراك والأرناؤوط، والألبان، والمغاربة وغيرهم، ولم يكن بها أحد من المصريين، لأن محمد على لم يعتمد على المصريين في جيشه إلا بعد توقيع معاهدة ١٨٤٠م. انظر الجيرتى ج ٤، ص ٢٤١-٢٤٥.

^(١) محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٣٠، د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٣٠٤، ٣٠٥، حيث استند إلى وثائق مغفولة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، تشير صراحة إلى استحلاب قلوب القبائل والعشائر الموجودة بالقلم الحجاز، وإن البعض استحباب لذلك.

^(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٣٢٩، ووادى فاطمة كان يعرف فيما مضى باسم: مر الظهران. وهو جنوب غرب مكة بحوالى ثلاثين كيلو متراً في الطريق إلى جدة.

وصلت السفن التي تقل الجنود إلى ينبع البحر، التي لم تكن بها إلا قوة يسيرة فتغلبوا عليهم، واستولوا عليها أوائل شوال ١٢٢٦هـ، ثم وصلت القوات القادمة بالبر، ومعها طوسون فتقدموا إلى ينبع النخل^(١) فاستولوا عليها بعد مقاومة أميرها من قبل الدرعية الشريف جابر بن جبارة، في ٢١ شوال ١٢٢٦هـ، ثم تقدموا إلى الصفراء والجديدة في ١٧ ذى القعدة، وبلغ خير نزول الحملة واستيلائها على ينبع النخل إلى القيادة العامة في الدرعية، فأعلنت النفير العام، فتحول الأمير عبد الله بن سعود بمن معه من قوات من معسكره في وادي فاطمة إلى وادي الصفراء شرق ينبع^(٢) للتصدى لهذه القوات، ومنعها من التقدم نحو المدينة المنورة،

(١) سماها الجبوتي "ينبع البر" وقال: وأنهم ملكوا قرية ابن جبارة من الوهاية، وتسمى قرية السويقي. انظر: محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٣٠، والشريف جابر بن جبارة العباس، كان أميراً على ينبع النخل للإمام سعود، وابنه الإمام عبد الله، وأبلى بلاء حسناً في محاربة جيوش محمد علي باشا. ابن بشر، ج ١، هامش ص ٣٦٢.

(٢) قال البكري في كتابه معجم ما استعجم، ج ٢، ص ٨٣٦: الصفراء قرية فوق ينبع، كثيرة المزارع والتخيل، وماؤها عيون، يجري فضلها إلى ينبع، وبين ينبع والمدينة ست مراحل، والصفراء على بُعد يوم من جبل رضوى في جهة الغرب منه وتبعد عن المدينة المنورة بحوالي ١٤٠ كيلومتر، ويسكنها جهينة والأنصار وغيرهم، وبها مات عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكانت قد قطعت رجله يوم بدر، فرحل إليها مرتشئاً، قالت هند بنت أئالة بن عبيدة بن عبد المطلب ترثيه:

وقد ضمنوا الصفراء مجداً وسودداً وحلماً أصيلاً وارف اللب والعقل

وقد زارها ابن بطوطة في رحلته الشهيرة، وهو في طريقه إلى المدينة المنورة. رحلة ابن بطوطة، ج ١، ص ٧٨.

ولحق بالأمير عبد الله كثير من أهل نجد والمناطق الأخرى^(١) فنزل بهم الأمير عبد الله "الخيف" من وادي الصفراء، والتقى الجمعان في عدة معارك كانت نهايتها. وقوع هزيمة فادحة بجيش طوسون، تشتت على إثرها قواته، وسارع بعضهم بالفرار إلى ميناء الريكة جنوب ينبع، وركبوا السفن - التي أعدت بها من قبل احتياطيا - وعادوا بها إلى مصر، وغنم جيش الأمير عبد الله كثيراً من أسلحتهم وامتعهم. ويقول ابن بشر: إن قتلهم أكثر من أربعة آلاف رجل، وقتل من المسلمين من جميع النواحي نحو ستمائة رجل، منهم مقرن بن حسن بن مشارى بن سعود، وسعد بن ابراهيم بن دغيثر، وبرغش بن بدر الشيبى العتيبي، وهادى بن قرملة رئيس قحطان، ومانع بن كرم رئيس عبيدة .. وغيرهم ممن عدّد أسماءهم، وكانت هذه الموقعة في العشر الأواخر من ذى القعدة ١٢٢٦هـ^(٢) ولنقرأ بعضاً مما كتبه الجبرتي عن هذه الموقعة، نقلاً عن شاهدها وشاركوها فيها، ثم هربوا إلى مصر عقب الهزيمة:

(١) شارك في هذه الموقعة قوات مثلت معظم أقاليم الدولة السعودية، جنود كل أقليم تحت رئاسة أمير الإقليم، والجميع تحت قيادة الأمير عبد الله بن سعود، الذي جعل أخاه فيصل بن سعود، وحباب بن قحطان الطيرى قائدین لجناحي الفرسان، ووزع مهمة المشاة على القواد الآخرين.

(٢) ابن بشر، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٢-٣٢٦، ومما يؤيد رأى ابن بشر في أن عدد قتلى جنود طوسون يزيد عن أربعة آلاف رجل، أن الجبرتي في ج ٤، ص ١٣٨، ذكر أن طوسون أحصى جنده عقب المعركة، فوجدهم ثلاثة آلاف جندى فقط، من بين ثمانية آلاف قدم بهم، ولو قدرنا أن الفارين إلى مصر عقب المعركة يقرب من الألف، فيكون الأحياء أربعة آلاف، والمتى مثلهم. وهم مجموع جيشه الذى قدم به، وهذا يعطينا دليلاً على هول الهزيمة وفداحتها في تلك المعركة.

فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٢٦هـ (١٠ يناير ١٨١٢م) وصلت قافلة من السويس، بصحبتهم مكاتبات، وأخبروا أن جيش طوسون ارتحل من ينبع البر (النخل) فى ١٣ ذى القعدة، ووصلوا إلى منزله بالصفراء والجديدة، ثم نصبوا خيامهم بالقرب من الجبال، وارتقت بعض الجنود إلى قمم تلك الجبال، فوجدوا بها متاريس وأحجاراً (يبدو أن الأمير عبد الله كان قد سبق إلى المنطقة، ووضع عناصر استطلاعية متقدمة على قمم تلك الجبال) فحاربوا على أول متراس حتى أخذوه، ثم أخذوا متراساً آخر، حتى صعدوا إلى قمم الجبال فهلهم كثرة الجيش الذى بصحبة الأمير عبد الله، وقامت اشتباكات فى أعلى الجبال استمرت يوماً وليلة إلى ما بعد الظهر من يوم الأربعاء ٢٣ ذى القعدة، وسارت الخيالة فى مضيق من الجبال، ثم ماشع الجنود الذين بأسفل الوادى إلا والعساكر الذين فى أعلى الجبالى، هابطون منهزمون، فأنهزموا جميعاً، وولوا الأدبار، وتركوا خيامهم وأحمالهم واثقالهم، وطفق الجنود المنهزمون ينهبون ماخف عليهم من أمتعة رؤسائهم، والقوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف. ويأخذ دابته ليركبها، وربما قتله فى سبيل ذلك .. وسار بعضهم إلى ساحل الريكة، لأنهم كانوا قد أعلوا بها عدداً من المراكب من باب الاحتياط، ووقع الرعب فى قلوبهم، واعتقلوا أن القوم - أى القوات السعودية - فى اثرهم، والحال أنه لم يتبعهم أحد، لأنهم لا يذهبون خلف الدبر (أى المنهزم للنجاة، وهو مبدأ إسلامى معروف: لا ترفع السيف على مَنْ لا سيف له، ولا تتبع المنهزم) ويواصل الجيرتى وصفه فيقول: .. ولو تبعوهم لما أبقوا منهم شخصاً واحداً .. وحدث هرج وزرع عند ركوب السفن فى الريكة، حتى أنهم

كانوا يتقاتلون على الأسراع فى ركوبها، وبعضهم يخوض فى البحر إلى رقبته، وكأنما الغفارىت فى آثارهم تريد أن تتخطفهم. وكثير من العساكر والخدم، لما شاهدوا الازدحام فى البريكة على السفن، ذهبوا مشاة إلى ينبع البحر، وسار بعض الخيالة إلى المويلح راجعين لمصر، وعاد طوسون إلى ينبع البحر بعد أن تغيب يوماً عن معسكره، حتى أنهم ظنوه قد مات. ورجع ابن المحروقى وغيره من كبار الحملة ولم ينتظروا إذن الباشا (أى محمد على) فى رجوعهم إلى مصر، وبعضهم رجع عن طريق القصير.. ولما عادوا طفق بعضهم يتهم البعض الآخر فى أسباب الانهزام، ويكيلون التهم لبعضهم البعض، وقال لى بعض أكابرهم، من الذين على شئ من الصلاح والتورع: أين لنا النصر؟ وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين، ولا يتحلل مذهباً، وبصحبتنا صناديق المسكرات، ولا يسمع فى معسكرنا أذان، ولا تقام فيه فريضة، ولا يخطر فى بالهم شعائر الدين، أما القوم (السعوديون) فتقام فى معسكرهم الفريضة، فلماذا دخل الوقت أذن المؤذنون، وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد، بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائم، أذن المؤذن، وصلوا صلاة الخوف.. وعسكرنا يتعجبون من ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته^(١).

ولارىب أن الجيرتى أعطى وصفاً دقيقاً ومحايذاً عن معركة الصفراء، كما أعطى بعض اللمحات عن اتباع الدعوة الإصلاحية، والتزامهم بآداء

(١) محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٣٠-١٣٥، فيما نقله عن الجيرتى، ج ٤، ص ١٣٧، ١٣٨.

الفريضة التى شرعها الله، وعلى الوجه الذى يبين سبحانه وتعالى كيفية آدائها فيه، أثناء الحرب، فى القرآن الكريم^(١) أعطانا الجيرتى لحة يسيرة عن اتباع الدعوة، وأخرى عن خصومها "الذين خرجوا من ديارهم بطراً ورئاء الناس .."^(٢) وعقب تلك الهزيمة التى مُنِىَ بها طوسون سارع فى الكتابة إلى أبيه يصف له الموقف، ويطلب نجدة، فبعث له القائد أحمد بن نابرت الخازندار على رأس قوة ضخمة، مجهزة بالأسلحة والمعدات والتموينات، اتجهت إلى المنطقة عن طريق البر فى صفر ١٢٢٧هـ (١٨١٢م).

ويبدو أن الأمير عبد الله بن سعود، توقع عند انهزام قوات طوسون، وسرعة عودتها إلى الساحل فى ينبع والبريكة، أنها ربما تركب السفن وتوجه إلى جدة، ولو تتبعها لعرف الحقيقة، وأنها من أثر الفرع والرعب، وكان بمقدوره أن يقضى عليهم، ولا يبقى منهم شخصاً واحداً، كما يقول الجيرتى، لكن جنده انشغلوا بجمع الغنائم والأسلاب ولأن هذه المعركة كانت أواخر ذى القعدة، وكان من المقرر أن يذهب والده الإمام سعود إلى آداء الفريضة موسم عام ١٢٢٦هـ، فخشى الأمير عبد الله أن يركبوا السفن، وينطلقوا إلى جدة، ويذهبوا إلى مكة المكرمة وقت الحج، ووالده يقود الحجاج لهذا الموسم، لذا سارع بالتوجه إلى مكة، ومعه معظم القوات والقيادات، فأحوا الفريضة وبعدها عسكر بموضعه السابق — وادى فاطمة — لبعض الوقت فى انتظار المغيرين، لكن المغيرين لم يغيروا خططهم،

(١) فى سورة النساء، آية ١٠٢.

(٢) سورة الانفال، آية ٤٧.

من حيث الزحف نحو المدينة المنورة عندما وصلت إليهم الامدادات، ومحاصرة القوات التى كانت فيها، والتى دافعت عنها ببسالة قبل استسلامها فى ذى القعدة ١٢٢٧هـ^(١) فأقبل الأمير عبد الله بقواته إلى شرق المدينة المنورة، بغرض استدراج طوسون إلى هذه المنطقة، واستنزاف قواته فى صحرائها، ثم الاجهاز عليها، لكن قوات طوسون لم تتقدم شرق المدينة المنورة.

وعقب انسحاب قوات الأمير عبد الله من معسكره بواى فاطمة، كتب طوسون إلى الشريف غالب طالباً منه المساعدة فى استيلاء بعض قواته على مرفأ جدة، فاستجاب، فدخلت بعض القوات البحرية، والبرية جدة يوم ١٢ محرم ١٢٢٨هـ (١٥ يناير ١٨١٣م) وتيسر لها الزحف نحو مكة والاستيلاء عليها أواخر محرم^(٢). بمساعدة بعض قبائل البادية التى أغراها بريق المال، وترتب على ذلك أن قامت القيادة السعودية باجراء تعديل على خططها، تهدف إلى استدراج قوات طوسون إلى الداخل، حيث الصحارى والوديان، التى تعتبر جديدة عليهم، لم يتعودوا الحرب فيها، بالاضافة إلى إبعادهم عن مراكز عمليتهم وامداداتهم، ثم طول ووعورة خطوط مواصلاتهم، مما يسهل الايقاع بهم، والقضاء عليهم،

(١) وقبضوا على أمير المدينة المنورة من قبل الإمام سعود وهو الشيخ حسن قلعى، وعلى مسعود بن بلوى بن مضيان رئيس قبيلة حرب، أرسلوها إلى مصر ثم إلى استانبول، ابن بشر ج ١، ص ٣٢٩، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٥٠، ١٦٣.

(٢) د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٠، ٣١١.

وقاد الامام سعود القوة الرئيسية واتجه صوب الحناكية فى شهر ربيع ١٢٢٨هـ، لمهاجمة القوة التى تود التحرك نحو نجد، كما قاد ابنه الأمير فيصل جانباً آخر من القوات اتجه به إلى جنوب تربة، لوضع القوة الزاحفة بين شقى الرحى، لكن فيصل أسرع واشتبك مع القوة الزاحفة نحو نجد، وكانت تحت قيادة كل من مصطفى بك رئيس الفرسان والشريف راجح ابن مساعد، وأنزل بها هزيمة ساحقة، أما الامام سعود فلما وصل إلى الحناكية، كانت مجموعة من قوات طوسون بقيادة عثمان الكاشف قد استولت على حصنها، فحاصروهم الامام سعود حتى طلبوا الأمان، فأمنهم الامام سعود، وشرط عليهم أن يخرجوا ويسيروا نحو العراق حتى لا ينضموا مرة أخرى إلى طوسون، ثم عهد إلى محمد بن على أمير حائل أن يصحبهم حتى يبلغوا مأمنهم فى طريقهم إلى العراق، وواصل الامام سعود سيره نحو المدينة المنورة، وماحولها حتى الصفراء، وقام بتأديب بعض القبائل التى تعاونت مع طوسون، ثم عاد إلى المنطقة فيما بين مكة ونجد^(١) وقد ترتب على هزيمة قوات طوسون فى الجبهتين أن سارع بارسال خطاب إلى أبيه يخبره فيه بموقفه الصعب، والهزائم التى لحقت بقواته عند تربة، وأنه لا يعرف مصير الحامية التى كانت فى الحناكية بقيادة عثمان الكاشف، وأنه يخشى أن ينقلب العريان عليه، وطلب سرعة ارسال نجدة، وعلى إثر ذلك قرر محمد على الحضور بنفسه إلى الحجاز، وعهد بإدارة مصر إلى ولديه

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٢٢٢-٢٢٣.

ابراهيم واسماعيل فى ٢٨ شعبان ١٢٢٨هـ - (١٨١٣/٨/٢٥م)^(١) وكان طوسون عندما رأى أن موقفه صار مهدداً، فكر فى عقد صلح ينقذ به موقفه واعتبر نفسه أنه قد حقق نسبة كبيرة من مهمة الحملة - والمتمثلة فى إعادة نفوذ الدولة العثمانية على أرض الحرمين الشريفين - وكتب الأمير عبد الله بن سعود بهذا الشأن، لكن وصول أبيه إلى الحجاز جعله يعرض عن إتمام هذا المشروع^(٢) ثم عاد طوسون وطرحه بعد عامين تقريباً، وبالغ هو وأبوه فى وضع شروط الصلح، مما جعل الامام عبد الله - الذى كان قد آل إليه الأمر بعد وفات أبيه - يرفضه^(٣).

كان الإمام سعود الكبير مع علمه وورعه رجل حرب، متمرساً عليها منذ صغره، ولديه الموهبة لإدارة حرب الصحراء بكفاءة عالية، لذا وضع فى مخططة من البداية استدراج قوات طوسون إلى قلب الصحراء، لاستنزافها ومن ثم القضاء عليها، وعهد إلى ولديه عبد الله وفيصل بقيادة جناحي الجيش السعودى، عبد الله فى شرق المدينة المنورة فيما بينها وبين القصيم، وفيصل شرق مكة والطائف، ومع كل منهما بعض رجال آل سعود ومجموعة من القواد السعوديين يجنودهم من كافة البلدان والمناطق، وكان هو على رأس قوة لمساندة أحد الجناحين فيما لو احتاج إلى مدد، والقضاء على أى تقدم لقوات طوسون نحو نجد، ولذا فإنه سارع إلى

(١) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٢-٣١٣.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٣.

(٣) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣.

الحناكية عندما سقطت فى أيدى عثمان الكاشف، واستخلصها وبعث به
ويعن معه إلى جهة العراق، كما سبق أن ذكرنا.

وعقب معركة الصفراء التى حلت فيها هزيمة ساحقة بقوات
طوسون، وقتل فيها ضمن من قتل اثنان من أكبر قواد عسير: هادى بن
قرملة رئيس قحطان، ومانع بن كرم أحد رؤساء عبيدة^(١) ونظراً لتحول
معظم قوات طوسون إلى منطقة مكة المكرمة فإن قوات عسير وجازان
تحولت بالتالى للانضمام إلى الجناح السعودى الذى يقوده الأمير فيصل بن
سعود فى الطائف وتربة. وقاموا بدور كبير فى إلحاق الهزيمة بقوات
مصطفى بك والشريف راجح عند تربة فى شعبان ١٢٢٨هـ^(٢) بالتعاون
مع بقية إخوانهم تحت قيادة الأمير فيصل، مما صعب من مهمة طوسون
فبعث إلى أبيه مستنجداً. ويبدو أنه كان قد تشكلت فى هذا الجناح
السعودى، كتيبة من الفرسان سريعى الحركة، بقيادة عثمان المضايقى،
وطامى بن شعيب وحاولوا استرداد الطائف، ونجحوا فى الاستيلاء على
بعض نواحيها، ونزلوا قصر بسل^(٣) غير أن طوسون دفع بقوات كثيرة إلى
الطائف منعت تقدمهم، واضطرتهم إلى الانسحاب، وفى حال انسحابهم
قبضوا على القائد عثمان المضايقى فى ١٠ رمضان ١٢٢٨هـ وأرسل إلى

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٣٢٦، وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص ١٠٠.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٣٣٤.

(٣) قصر كان قد بناه الامام سعود فى وادى بسل شرقى الطائف.

مصر، ومن هناك إلى استانبول، فقتل هناك، وكان الامام سعود أرسل من يقتديه بالمال فرفضوا فداءه وفك أسره^(١).

ونتيجة لاستنجدات طوسون بأبيه، قرر محمد على الحضور إلى الميدان بنفسه لإدارة المعركة، لأنه أحس بأن خصمه ليس سهلاً، بالرغم من كثرة الرجال وضخامة المعدات التي دفع بها إلى المنطقة، فخرج من القاهرة إلى الحجاز عن طريق السويس في ١٤ شوال سنة ١٢٢٨هـ (١٠/١٠/١٨١٣م) وأخذ في وضع الخطط، لاستمالة شيوخ القبائل^(٢) وجعل مدينة جدة المستودع الرئيسى لعتاد الحملة، ورتب الوسائل الكفيلة ينقل هذا العتاد إلى الميدان، واستأجر عشرين سفينة لمدة عام من سلطان مسقط للعمل على نقل المعدات والتعويضات والرجال من مصر إلى المنطقة، وغير ذلك من ترتيبات، وفي ذى الحجة سنة ١٢٢٨هـ قبض على الشريف غالب حليفه بالأمس لخشيته من نوابه، وعلى والى جدة، وبعثهما إلى مصر، ثم إلى استانبول^(٣) وعيّن خلفاً له ابن أخيه الشريف

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٣٣٤-٣٣٦. وهامش تلك الصفحات ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٤٨-١٦٣، ١٥٠.

(٢) محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٤١، ١٤٢، ١٤٧، ويقول د. عبد الرحيم، ص ٣١٤، أنه وصل إلى جدة أول رمضان ١٢٢٨هـ.

(٣) وظل الشريف غالب مقيماً في سلاتيك، هو وأولاده إلى أن توفي بها عام ١٢٣٢هـ (١٨١٦م) د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٥، ٣١٦، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٥١-١٥٤، ١٥٧، وإسماعيل حقي، المصدر السابق، ص ١٥٥-١٥٧، ١٦٠، وفيه أن عزل الشريف غالب كان في ذى القعدة ١٢٢٨هـ، وأورد المعلق روايات عن وفاته: قيل عام ١٢٣٠هـ، وقيل: ١٢٣١هـ، وقيل: ١٢٣٢هـ، حسب الرواية--

يحيى بن سرور بن مساعد، لأنه رأى فيه الانقياد والإفادة له أكثر من أخيه عبد الله بن سرور ذى المطامح الواسعة، وأيضاً الشريف راجح الذى كانت مطامحه أكبر وأوسع، وكان من نتيجة هذا العزل والاختيار أن دخل الشك فى نفوس الأشراف من نوايا محمد على تجاههم، وبات معظمهم لا يأمّنه، لأنهم توقعوا أن يحدث لهم مثلما حدث للشريف غالب، فهرب يحيى بن مساعد إلى تهامة، ثم تمرد الشريف راجح ضده، وانضم إلى القوات السعودية، بأتباعه ورجاله، مما كان له الأثر السيئ على محمد على^(١) وزاد موقفه سوءاً عندما أراد أن يوسع منطقة نفوذه على الساحل جنوباً، بغرض تفتيت جهود الجبهة السعودية الصامدة أمامه، والتي تمنع تقدمه تجاه تربة، فبعث قوة بحرية عام ١٢٢٩هـ للاستيلاء على القنفذة، ومنها تتقدم جنوباً وشرقاً نحو حازان وعسير. فتصدت لها قوات من قبائل عسير وحازان تحت قيادة طامى بن شعيب، وألحقت بقواته هزيمة كبيرة، واستولت على أسلحتها ومويناتها التى كانت قد أنزلتها إلى البر فى

==عاليه، وإن الدولة العثمانية كانت قد فرضت محمد على فى اختيار وتعيين من يراه من الأشراف، فعين أخاه الشريف يحيى بن سرور بن مساعد، واستمر فى هذا المنصب إلى أن وقعت خصومه بينه وبين الشريف شنبر بن مبارك تصاعدت إلى أن دفع بعض خدمه لقتل الشريف شنبر عند الصفا، عقب صلاة العصر يوم ٢٨ شعبان ١٢٤٢هـ، فتم عزله من منصبه، وعين بدلاً منه الشريف محمد بن عون، وهو من فرع العبادلة، وذلك من ذوى زيد، واستمرت بعد ذلك فى العبادلة، الذين كان آخرهم الشريف على بن الحسين، الذى غادر الحجاز على يد الملك عبد العزيز.

(١) اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص ١٥٨، ١٥٩، وابن بشر، ج ١، ص ٣٣٨، ٣٣٩، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٦٠، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ١٥٠، ٣١٦، وفيه أن محمد على عين الشريف راجح بدلاً من الشريف غالب، وليس ذلك صحيحاً.

القنفذة، وهرب من بنحا منهم فى السفن عائداً إلى جدة^(١) مما حدا بمحمد على إلى إعادة النظر فى خططه، بالعمل على جذب أكبر عدد ممكن من قبائل الحجاز إلى جانبه، وعقد تحالفات مع بعضها، وبعث يطلب إمدادات ومؤناً من مصر ومن ثم التركيز بشكل أكبر على المنطقة الجنوبية^(٢) وفى تلك الأثناء تصدع جانب كبير من الجبهة السعودية، بوفاة القائد الفذ الإمام سعود الكبير، بعد مرض لازمه عدة أشهر، وذلك فى ١١ جمادى الأولى ١٢٢٩هـ (أبريل ١٨١٤م) الذى يعد أقوى قادة الدولة السعودية الأولى، وخلفه ولّى عهده، وأكبر أبنائه الإمام عبد الله^(٣) ولم تكن له خبرة أبيه الحربية أو الإدارية.

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٣٤٠، ٣٤١، ٣٦٧، ود. عبد الرحيم، ج ١، ص ٣١٦، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٦٢، ١٦٣.

(٢) د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٧، ٣١٨، ومحمد غالب، المصدر السابق، ص ١٥٨.

(٣) ولد الإمام سعود بن عبد العزيز فى الدرعية عام ١١٦٥هـ، وتولى بعد أبيه عام ١٢١٨هـ، وانجب من الأبناء اثنى عشر ولداً، أكبرهم عبد الله الذى تولى الحكم بعده، ثم فيصل، وإبراهيم، وتركى - ماتوا فى الدفاع عن الدرعية عام ١٢٣٣هـ - وناصر، مات فى حياة أبيه، ومشارى الذى فر من حراسه بالقرب من وادى الصفراء، وعاد إلى نجد عام ١٢٣٥هـ، وحكم الدرعية، لكن عبوش أغا القائد التركى قبض عليه، وسجنه فى عنبره حتى مات فى سجنه، ثم سعد، وفهد، وعمر، وعبد الرحمن، وحسن، وخالد، وهؤلاء نقلوا إلى مصر بأولادهم وماتوا بها، فيما عدا خالد الذى دفع به محمد على مع اسماعيل أغا من مصر، وعززهما بغورشيدي باشا، ليتولى فى نجد باسم محمد على، فرفضه أهل نجد، وتاروا عليه وعلى من معه عام ١٢٥٧هـ، فهرب إلى الأحساء، ثم إلى جدة فمات بها حوالى عام ١٢٦٥هـ. انظر: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، آل سعود، ص ١٦، ١٥، وليس صحيحاً ما ذكره أحمد عسة فى كتابه "معجزة فوق الرمال" ص ١٦ من أن الأمير عبد الله ابن محمد بن سعود، والد الإمام تركى، والذى يعتبر بمثابة جد الإمام عبد الله بن سعود لأنه عم أبيه سعود بن عبد العزيز، من أنه نازع الإمام عبد الله بن سعود فى الحكم عقب وفاة أبيه، ذلك لأن الحرب القائمة بينهم--

رأى محمد على أهمية المنطقة الجنوبية المحيطة بمكة المكرمة بالنسبة لموقفه الحربى فى منطقة مكة، لاحتمال أن تقوم القوات السعودية الموجودة فى تلك المنطقة بتطويق قواته فيما لو تقدمت شرقاً نحو نجد، فعمل على تطهير بلاد زهران وغامد من القوات التى تهدده. وبعث لهذا الغرض قوات يقودها عابدين بك إلى وادى زهران فى جمادى الآخرة ١٢٢٩هـ، استطاعت تطويق حصن "بحروش علاش"^(١) لكن القوات السعودية بقيادة طامى بن شعيب استطاعت فك الحصار، واتخذت موقف الهجوم وألحقت الهزيمة بقوات عابدين بك التى انسحبت عائدة إلى الطائف، تاركة خلفها الكثير من المعدات والذخائر، ثم طاردت قوات عابدين حتى الطائف، وسارعت فى عمل حصار حول الطائف، وكان بالطائف ذاك الوقت طوسون الذى أصبح محاصراً، ولما سمع والده بحصاره وهو فى جدة، أقبل مسرعاً، وفك الحصار بحيلة انطلقت على بعض القوات السعودية، ففكوا الحصار، وتراجعوا عن الطائف^(٢).

تأكد محمد على من أهمية المنطقة الجنوبية، وخطورتها على قواته بصفة عامة، لاسيما وأنه وصلتته أوامر من الباب العالى فى ٣ ربيع

=-يؤين محمد على باشا، لانتعله يفكر فى هذا الأمر، ولم يشر أحد من المؤرخين إلى هذا حتى أن مؤلف كتاب "لمع الشهاب" وهو كتاب مناولى للدعوة والدولة السعودية، وكان معاصراً لتلك الأحداث، يقول، ص ١٢٠: إن ولده الكبير عبد الله، ولى عهده، لم يكن حاضراً فى الدرعية وقت وفاة أبيه، ولما سمع حضر بعجلة، وقد استمر أمره فى الحكومة من غير مخالفة أحد له من أهل مملكته.

^(١) حصن كان يقع فى بلاد زهران أطلق عليه اسم شيخ قبيلة زهران.

^(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٨، وابن بشر، ج ١، ص ٣٦٨، ٣٦٩.

١٢٣٠هـ تحته على ما كان يفكر فيه من حيث تصفية تلك المنطقة من القوات السعودية، ليسهل عليه بعد ذلك التقدم لمهاجمة الدرعية، وهو مأمون الظهر، خشية أن تقوم القوات السعودية الموجودة بتلك المنطقة من تطويق قواته الزاحفة، والحيلولة بينها وبين اتخاذ خط الرجعة فيما لو تأزم موقفها، ومحاصرتها، ومنع الامدادات عنها، ومن ثم القضاء عليها^(١) ويبدو أن محمد على كان يفكر جدياً فى هذا الموضوع، لأن عقب انتهائه من موسم حج عام ١٢٢٩هـ^(٢) قام بتعديل خطته على هذا الأساس، وقرر أن يقود بنفسه هذه الجبهة بداية عام ١٢٣٠هـ، للاستحواذ على المنطقة الجنوبية بكاملها - جازان وعسير ونجران - فبعث ابنه طوسون فى ١٣ ذو الحجة ١٢٢٩هـ، ليتولى القيادة فى الجبهة الشمالية، ومقرها المدينة المنورة، لمواجهة القوات السعودية من أهل نجد والقصيم وحائل والمنطقة الشرقية، التى كان يقودها بنفسه الامام عبد الله^(٣) كما أرسل حسن باشا وأخاه عابدين بك كطلائع له، فى الجبهة الجنوبية، فتقدما وعسكرا فى "الكلخ" فيما بين الطائف وتربة، فى مواجهة الجبهة التى يقودها الأمير فيصل بن سعود أخو الامام عبد الله. ومعه بعض قبائل وبلدان نجد، وكافة قوات الجنوب التى يقودها طامى بن شعيب، وخلال هذه الفترة كان محمد على

(١) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٠، ومحمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٧١.

(٢) وفد هذا الموسم كما يقول ابن بشر ج ١، ص ٣٧٠ الحاج الشامى والمصرى، وكما يقول الجعوتى حجت هذا العام زوجة محمد على أم أبنائه، ووفد حجاج كثيرون من استانبول وبقية ولاياتها، بعد أن بلغهم عودة الحرمين إلى نفوذ الدولة العثمانية.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٣٦٩.

قد استطاع استمالة الشريف راجح، فانحاز إليه، فبعثه مع حسن باشا إلى الكلخ على أساس أن له دراية بمنافذ ومساالك المنطقة الجنوبية (عسير وجازان) وأيضاً الاستفادة منه فى العمل على كسب ولاء القبائل عن طريق بذل الأموال^(١).

تقدم محمد علي على رأس قواته من الطائف، واحتل وادى ومرتفعات "بسل" بالقرب من الطائف شرقاً^(٢) يوم ٢٦ محرم ١٢٣٠هـ (١٨ يناير ١٨١٥م) فى بداية زحفه إلى تربة، إلا أن الأمير فيصل بن سعود، القائد السعودى لتلك الجبهة، لم يمهل محمد على للمسير إلى تربة، فسارع والتقى به فى وادى بسل ودارت بينهما عدة معارك عنيفة، استمرت يومين، كانت نتيجةها النهائية تفوق قوات محمد على بما لديهم من أسلحة حديثة وبالحيل والمناورات، فأنهزمت القبائل أمام فاعلية تلك الأسلحة، وبدلاً من أن تراجع إلى معسكرها فى تربة، الذى كانت رابضة فيه قبل المعركة، إذا بها تنسحب إلى مواطنها، وعندما رجع الأمير فيصل بحسب ثبوت معه إلى مقره فى تربة، لم يجد بها إلا القليل من قواته، فانسحب إلى رنية ليتخذ منها خط دفاعه الأول، إلا أن معظم قواده رأوا انسحاب

(١) محمد أديب غالب، المصدر السابق، ص ١٦٩، ١٧١، ١٧٤، وفيه أنه تم القبض على الشريف راجح وأرسل إلى مصر فى ١٧ رمضان ١٢٣٠هـ. وأمين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ص ١١٦، ونفح العود، ص ٢٩٠، ٢٩١، وفيه: كُلاخ، بدل: كُلخ.

(٢) كان عثمان المضايقى - قبل القبض عليه - قد أقام حصناً على مرتفعات وادى بسل، ومنه كان يشن هجماته على قوات طوسون، عندما تقدمت واحتلت الطائف.

كل منهم إلى موطنه ليجمع قواته، متوقعين أن محمد على سيتوقف مكانه طالما أنه لا يجد أمامه قوات تحاربه، وبذلك خلا الطريق أمام محمد على، فأنتهزها فرصة وواصل زحفه إلى تربة فأحتلها بعد مقاومة يسيرة من أهلها، وقرر مواصلة زحفه إلى عسیر^(١) فاستولى فى طريقه على رنية وبلاد زهران وغامد، ثم بيشة، وتبالة، وبلاد شهران وغيرها من بلدان عسیر الشمالية - الشرقية منها والغربية - متغلباً على المقاومة التى واجهته وهى بحزاة ومفتة، حتى وصل إلى قلب عسیر فقابلته طامى بن شعيب. عن استطاع جمعهم من قبائل عسیر، مقسماً قواته إلى ثلاثة أقسام، قسم يقوده ابن عمه عوان المتحمى ويحيى بن شعيب ومقره قرية الطلحة ببلاد ربيعة رفيدة، وقسم يقوده محمد بن احمد الرفيدى، للدفاع عن حصون طبب، والقسم الثالث تولى هو قيادته ومعه كل من: سعيد بن مسلط، وعلى بن بجشل، ويحيى بن مرعى، ومحمد بن دهمان وغيرهم، وقد اتخذوا مواقعهم فى رؤوس الجبال، ومضايق الأودية، وعندما تقدمت قوات محمد على انزلوا بها هزائم متتالية، إلا أنها ماتلبث عقب كل هزيمة أن تستتر خلف أسلحتها التى كان لها الأثر الفعال فى الميدان، والصمود فى أغلب المعارك، وشارك محمد على جنوده النصب والتعب كى يبعث فيهم العزيمة والصمود، حتى استطاعوا فى النهاية أن يتغلبوا على الطلحة، ويستولوا على حصون طبب، ويوقعوا الهزيمة. عن نزل إليهم من رؤوس الجبال،

(١) لقد بعث محمد على رسالة إلى السلطان بتاريخ ٧ صفر ١٢٣٠هـ يصف له فيها معركة تربة، ويوضح له اعتزازه بالزحف إلى عسیر، وان ولده طوسون الموجود فى المدينة النورة، سيزحف إلى الحناكية، ثم القصيم وحيل شمر.

وعندها فرّ طامى بن شعيب إلى تهامة بقرية "مسلية" فى أعلى وادى بيش بجازان، وكان بها حصن له وبها بعض أتباعه، ثم قبض عليه بجيلة فى ربيع الأول ١٢٣٠هـ، وسُلم إلى محمد على، فبعث به إلى مصر ومنها إلى استانبول^(١) فتولى قيادة المقاومة بعده فى عسير ابن عمه محمد بن أحمد المتحمى، الذى هادن محمد على فترة إلى أن تمكن فقاد ثورة ضد حكمه^(٢).

وكان محمد على أثناء تحركه من تربة إلى عسير، قد بعث قوة بحرية استولت على القنفذة وما حولها، واصبحت الميناء الرئيسى الذى يمد قواته بالتموين والمعدات خلال حربه فى عسير، ومنه أركب طامى بن شعيب ليسافر بحراً إلى مصر^(٣) وبذلك هدأت المقاومة فى عسير والمُع، وكان الشريف حمود ونائبه الحسن بن خالد مازال يهيمن على معظم جازان من أبو عريش جنوباً حتى الحديدة وبيت الفقيه، ودخل فى عدة حروب مع

(١) انظر فيما سبق: ابن بشر، ج ١، ص ٣٧٠-٣٧٥، والجيرتى، ج ٤، ص ٢٣٢-٢٣٥، ود. أبو داهش، المصدر السابق، ص ٢٦، ٢٧، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٩، ٣٢٠، ونفح العود، ص ٢٩١، ٢٩٢، ود. منير العجلاني، تاريخ البلاد العربية السعودية، ص ٣٩-٤٩، والدكتور عبد المنعم ابراهيم الجميع، عسير خلال قرنين، ص ٥٨-٦١، وفى المصادر المحلية أن الذى قبض على طامى بن شعيب، بحيله هو الشيخ حسن بن خالد الحازمي، وسلمه لمحمد على، بينما يقول الجيرتى فيما نقله عنه محمد أدب غالب، ص ١٧٢، إن الشريف راجح هو الذى أوقع به، وسلمه إلى محمد على.

(٢) د. أبو داهش، المصدر السابق، ص ٢٧، ود. العجلاني، المصدر السابق، ص ٢٩-٥٢.

(٣) عبد الله بن مسفر، السراج المنير فى سيرة أمراء عسير، ص ٧٠، ٧١، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٠.

إمام صنعاء خلال هذه الفترة^(١) ولم يستطع إمام صنعاء استعادتها، ولما قدم محمد على إلى المنطقة بعث إليه حمود يهادنه ويظهر ولاءه للدولة العثمانية، لذا اعتبره محمد على موالياً للدولة العثمانية ولم يتقدم بجيوشه نحو أبو عريش أو غيرها مما ييسط عليها الشريف نفوذه جنوباً حتى الحديدة، ثم عين محمد على باشا أحد رجاله أميراً على عسير، وجعل مركزه مدينة "طبب" وسار بمعظم قواته إلى عقبة "تيه" قرب حدود عسير الجنوبية، ثم إلى القنفذة عائداً إلى جدة بالبحر، وعين حسن باشا أميراً على جدة، وقائداً للجبهة الجنوبية التي تقابل منطقة مكة، وكان ابنه طوسون قائداً للمنطقة الشمالية التي تقابل منطقة المدينة المنورة، ثم بلغ محمد على نبأ مؤامرة تحاك ضده في مصر للاستيلاء على الحكم، وقيل: بلغه خير هروب نابليون بونابرت من منفاه بجزيرة "ألبا" فنحشى أن تكون مصر هدفاً لحملة فرنسية جديدة يقوم بها نابليون، لذا أسرع بالعودة إلى مصر من طريق جدة في ٥ جمادى الأولى ١٢٣٠هـ (٢٠ مايو ١٨١٥م)^(٢).

وقيل إن محمد على قبل عودته إلى مصر أوصى ابنه طوسون، بأن يظل في الحناكية ولا يتقدم نحو نجد، إلا أن طوسون شعر بأن والده

(١) من بينها قرية غنخارة عام ١٢٢٩هـ، وهي قرية سبق أن بناها حمود بجهة بلاد بنى قيس، للإقامة فيها، نفع العود، ص ٢٨٢، ٢٨٣، وهامش ص ٢٩٣.

(٢) ابن بشر، ج ١، ص ٣٧٦، وعبد غالب، للمصدر السابق، ص ١٧٣، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢١، وابن مسفر، المصدر السابق، ص ٧١، وقد سافر محمد على من جدة إلى القصير، ثم منها إلى القاهرة فوصلها في ١٥ رجب ١٢٣٠هـ (٢٣ يونيو ١٨١٥م).

يشكك في قدرته العسكرية، فأراد أن يثبت كفاءته، فتقدم واحتل بلدتي "الرّس" و"الخيرا". بممالة من بعض أهلها وبعض القبائل المجاوره لهما^(١) فسارع الإمام عبد الله يقود جموعاً من أهل نجد والقصيم وحائل والحسا ووادى الدواسر وغيرهم، وقاتل طلائع طوسون والقبائل الموالية له، ووقعت بين الطرفين عدة معارك فيما حول الرّس، ويبدو أن طوسون أحس بصعوبة موقفه وبخطئه في تقدمه نحو نجد، فأخذ في مراسلة الإمام عبد الله لإمكانية عقد صلح، ودارت بينهما مفاوضات حول مشروع الصلح، وذهب وفد سعودى إلى مصر فى شوال ١٢٣٠هـ (سبتمبر ١٨١٥م) يضم كلاً من: عبد الله بن محمد بن بنيان، والقاضى عبد العزيز ابن حمد بن ابراهيم^(٢) ليتفاوض مع محمد على مباشرة، وتوقف القتال على الجبهات فى شعبان ١٢٣٠هـ، انتظاراً لنتيجة تلك المفاوضات، التى تعثرت بسبب تعنت محمد على فى شروط الصلح، وكان طوسون قد اضطر إلى سحب قواته من الرس وعاد إلى المدينة عند سفر الوفد إلى القاهرة، ومن المدينة كتب إلى والده يأذن له فى العودة إلى مصر لمرضه فأذن له^(٣) وتولى المهمة بعده أخوه ابراهيم باشا، ويبدو أن طوسون كانت

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٣٧٦، ود. العجلاني، المصدر السابق، ص ٥٤-٥٦.

(٢) ويذكر الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، محقق كتاب ابن بشر عند ذكر هذا الوفد (ص ٣٧٨-٣٧٩) أن الشيخ عبد العزيز بن حمد بن ابراهيم هو سبط الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أى ابن بنته، وهو من بنى عمومة الشيخ، توفي فى سوق الشيوخ بالعراق التى رحل إليها بعد تخريب الدرعية.

(٣) ابن بشر، ج ١، ص ٣٧٨، ٣٧٩، والجبرتي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٤٤، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣، ٣٢٤، د. العجلاني، المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨.

لديه الرغبة فى وضع حدّ لهذه الحروب، مكثياً بما حققه خلالها، ولذا انسحب من الرّس إلى المدينة المنورة، وغالب الظن أن الامام عبد الله كانت له أيضاً النية الصادقة فى إكمال هذا الصلح ووضع حدّ لهذه الحروب، لكن محمد على كانت له نوايا أخرى، اكتشفها ابنه طوسون بعد عودته إلى مصر، وكان الوفد السعودى مازال فيها^(١).

وعلى كل فإن مقتضيات منهج البحث لهذه الدراسة تلزمنا بتتبع الأحداث التى أعقبت وجود قوات محمد على باشا فى المنطقة المعنية بالدراسة لتتعرّف على مدى ثبات أو تغير الولاء فى المنطقة خلال هذا الوجود الأجنبى، بالرغم من أنه كان وجوداً اسمياً فى معظم الأحيان، وإن هناك مناطق فى عسير ظلت بمنأى عن نفوذ محمد على إبان هذا الوجود.

يبدو أن محمد على عندما قرر غزو عسير، بعث إلى الشريف حمود - الذى يتظاهر بالمودة لمحمد على إتقاءً لشربه - مندوباً اسمه "يوسف أغا" يطلب من حمود المؤازرة ضد العسيرين، والدولة السعودية بصفة عامة، فتعلل حمود بقلّة إمكاناته، فواصل المندوب سيره إلى صنعاء، فأحسن الإمام استقباله، لكنه اعتذر بلطف عن المشاركة فى محاربة نجد، أو عسير، وأمر بتوجيه بعض السفن الصغيرة التى كانت بحوزته، إلى محمد على

(١) ابن بشر، ج ١، ص ٣٨٣، ٣٨٤، ود. العجلاني، المصدر السابق، ص ٥٧-٦٨، ومحمد غالب، المصدر السابق، ص ١٧٤، ١٧٧، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٤-٣٢٦.

لتساعد فى نقل الجنود والمعدات فى البحر الأحمر^(١) ثم كانت واقعة تسليم طامى بن شبيب لمحمد على لإزالة أى شك فى نواياه من جهة حمود، وتأكيداً لطاعته للدولة العثمانية، وأردف ذلك بمكاتبات وهدايا إلى محمد على، من بينها مكاتبة يطلب منه أن يرد بعض المناطق والأراضى إلى نفوذه، منها جزيرة فرسان، ودرى بنى شعبة، ورجال ألمع، فبعث إليه محمد على يطمئنه، ويطلب منه عدم الاتصال برجال الدولة السعودية، وعدم الاستبداد فى الحكم^(٢).

وبذلك سلمت المنطقة الممتدة من أبو عريش وما يحوزتها ثم جنوباً حتى الحديدة، من دخول قوات محمد على باشا إليها، خلال هذه الفترة، على اعتبار أن حاكمها موالٍ للدولة العثمانية ولو إسمياً، واستمر الوضع كذلك حتى أوائل عام ١٢٣٣هـ، حين أعلن حمود تمرده على الدولة، ودخل معها فى حروب أصيب أثناءها بجروح، ثم توفى يوم ١٤/٣/١٢٣٣هـ (١٨١٨م)^(٣) فبعث وزيره الحسن بن خالد خطاباً إلى الامام عبد الله بن سعود، يفيد فيه بوفاته، وإن قبائل المنطقة بتهامة وعسير مازالت على ولائها وطاعتها للامام عبد الله، وإلى جانبه فى العسر واليسر، مؤكداً على استمرارية الولاء بالرسائل المتبادلة بينه وبين القيادة

(١) د. العجلانى، المصدر السابق، ص ٣٥. ويقال إن محمد على استأجر تلك السفن.

(٢) العقيلى، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٢، ٤٧٣.

(٣) العقيلى، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٦، ومحمد غالب، ص ١٨٤، وبعض الوثائق بدار الوثائق القومية بالقاهرة

بالمحفظة بر بحرا، منها الوثيقة رقم ١٣، ٦٣، ٦٦، ٨١، ١٢١، ١٤١.

فى الدرعية^(١) ومما يلاحظ أن هذه المكاتبة كانت قبيل حصار ابراهيم باشا للدرعية بحوالى شهرين. ومنه يستفاد بأن الولاء ظل مستمراً، وإن خفتت جذوته أحياناً بسبب الجفاء والخلاف الذى وقع بين حمود وبين بعض قادة عسير، والتى كانت تعتبر خلافات شخصية بدليل التفاضى عنها، والتجمع لمواجهة الغزو الخارجى، حين تاكلوا أنه يهدف إلى استئصالهم جميعاً.

تولى أحمد بن حمود الأمر بعد أبيه، وسار على نهجه فى معاداته للدولة العثمانية، فزحف إليه خليل باشا الذى قاد حملة إلى عسير فى صفر ١٣٣٤هـ (١٨١٨م) بعد فراغه من عسير، واستطاع انتزاع المنطقة التى يهيمن عليها أحمد بن حمود - وهى أبو عريش وما مجوزتها وجنوباً حتى الحديدية^(٢) - وكان يرافقه فى حملته الشريف على بن حيدر^(٣) فولاه على أبو عريش وما مجوزتها ثم جنوباً حتى الزيدية^(٤)، على أن يخضع لحاكم عام الحجاز، أما المنطقة جنوب الزيدية حتى الحديدية فقد فاوض بشأنها

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٧٨-٤٧٩، وقد اورد نص الخطاب الذى يعتبر وثيقة تاريخية هامة، حيث ذكر فيه اسماء كثير من البلدان والقبائل التى مازالت على عهدا وطاعتها بالرغم من الاضطهاد والدمار الذى لحقها على أيدي قوات محمد على.

(٢) أمير أحمد بن حمود أثناء هذه الحملة، وأرسل إلى مصر فمات فيها عام ١٢٣٥هـ (١٢٢٠م).

(٣) الشريف على بن حيدر الذى كان يتولى حكم المخلّاف قبل الشريف حمود، ابتداء من عام ١٢٠٥هـ ثم تنازل عنه لصالح عمه حمود عقب معركة الحجرين عام ١٢١٦هـ، ثم وقع خلاف بينهما، فأرقه على إثره على بن حيدر، ثم هادن محمد على حتى ولاه تلك المنطقة، وظل يحكمها حتى وفاته عام ١٢٥٤هـ، فتولاها ابنه من بعده.

(٤) الزيدية: ناحية النيرة من قراها بلدة المهجم الخريبة حالياً، والتى كان قتل فيها الصليحي حوالى عام ٤٧٣هـ، وهى تسقى من وادى سررد، وكانت فى بداية الاسلام تعتبر من توابع ولاية مكة المكرمة.

إمام صنعاء، بأن يسلمها إليه مقابل دفع جباية سنوية للباب العالي، فقبل الإمام ذلك، فسلمها إلى مندوبيه ليديرونها، ثم عاد خليل باشا إلى جدة فى ذى القعدة ١٣٣٤هـ (١٨١٩م)^(١) واستمر الوضع فى المنطقة هكذا حتى حركة " تركجة ييلمز"^(٢) التى استولى فيها على المنطقة التى سُلِّمت من قبل إلى إمام صنعاء - وهى من الزيدية إلى الحديدية بالإضافة إلى المخا - فأعيدت إلى إدارة على بن حيدر، الخاضع لحاكم عام الحجاز^(٣) واستمر يديرها ثم من بعده ابنه حسين بن على بن حيدر إلى عام ١٢٦٤هـ الذى ناوأ الدولة، ثم زهد فى الحكم بعد وقوع حروب بينه وبين إمام صنعاء، فزحف توفيق باشا ومعه الشريف محمد بن عون وتسلم تهامة اليمن^(٤) من الأمير حسين بن حيدر فى ذلك العام. ثم تسرب النفوذ العثماني بعد ذلك إلى أرض اليمن فى فترات متلاحقة.

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٠٤-٥٠٦، ود. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٥٥، ١٩٨، ١٩٩.

(٢) تركجة ييلمز، كان أحد رؤساء الجند غير النظاميين بقوات محمد على فى الحجاز وكانوا من الألبان، فأعلن تمرده على القيادة هو ومن معه - يقال بتحريرض من الانجليز - ثم استولى على بعض السفن من ميناء جدة واتجه بها إلى الحديدية فى ٣٠ ربيع الثانى عام ١٢٤٨هـ، واستولى عليها وعلى ماحولها شمالاً حتى حدود ولاية على ابن حيدر، ثم لما بعثت إليه الدولة حملة للقضاء عليه عليه استطاع الهرب باحدى السفن البريطانية من ميناء المخا.

(٣) د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٧١-١٨٦، ٢٠٥، والعقيلي، ج ١، ص ٤٨٢.

(٤) أى جنوب الزيدية حتى الحديدية.

أما عسير فقام زعمائها: محمد بن أحمد الرفيدى المتحمى^(١) وسعيد ابن مسلط^(٢) وعلي بن مجتل^(٣) وعائض بن مرعى^(٤) بالتوالى بقيادة ثورات متوالية ومتصلة الحلقات ضد قوات محمد على باشا، والتف حولهم زعماء قبائل وبلدان عسير، حتى صارت عسير مصدر قلق وازعاج لمحمد على منذ أن نزلت قواته إليها عام ١٢٣٠هـ، وظل يرسل إليها الحملات المتتابعة فى محاولة للقضاء على الثورات المتأججة ضده^(٥) واستعمال أساليب العنف والقسوة حيناً واللين أحياناً أخرى، حتى اضطر أحمد باشا يكن حاكم عام الحجاز إلى عقد صلح عام ١٢٥٦هـ، مع الأمير الذى آل إليه الأمر أخيراً فى عسير، وهو عائض بن مرعى، الذى عاصر قيام الدولة السعودية فى دورها الثانى^(٦) وذلك الصلح كان الطرف الآخر فيه هو

(١) محمد بن أحمد، هو ابن عم طامى بن شعيب، تولى القيادة فى عسير بعد القبض على طامى عام ١٢٣٠هـ، حتى أواخر عام ١٢٣٤هـ، حين قبض عليه وأرسل إلى مصر.

(٢) سعيد بن مسلط، تولى القيادة بعد محمد بن أحمد عام ١٢٣٤هـ، ثم شاركه فيها على بن مجتل، حتى وفاته الطبيعية فى صفر ١٢٤٢هـ.

(٣) على بن مجتل هو ابن عم سعيد بن مسلط، وأخوه لأمه، شارك سعيد فى قيادة الثورات فى عسير ضد قوات محمد على، واستطاع التوسع بالاستيلاء على تهامة اليمن حتى الحديدة عام ١٢٤٨هـ، توفى فى عزم، وقيل ١٢ شوال ١٢٤٩هـ (٢٢ فبراير ١٨٣٤م).

(٤) عائض بن مرعى المقيدى، من بنى عمومة على بن مجتل، تولى القيادة بعده بوصية منه عام ١٢٤٩هـ حتى وفاته الطبيعية عام ١٢٧٣هـ، وهو المؤسس الأول لإمارة آل عائض فى عسير.

(٥) عن هذه الثورات تفصيلاً انظر: د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٣.

(٦) توجد بدار الوثائق القومية بالقاهرة مجموعة كبيرة من الوثائق تناولت الفترة السابقة التى تمهلتها عنها، أورد بعضها الدكتور عبد الرحيم فى كتابه "محمد على وشبه الجزيرة العربية" ج ١، الذى رجعنا إليه.

الشریف محمد بن عون شریف مكة، حسب ماكانت تقتضيه الظروف الدولية وقتها.

والواضح من وقع الأحداث أن قيام أهل عسير برفض حكم محمد على باشا، واشعاعهم ثورات متوالية ضده، إنما يعود إلى عدة أسباب ياتي في مقدمتها تشبعهم بمبادئ الدعوة السلفية، ووفائهم وولائهم لأئمة آل سعود، والأنفة من الخضوع للأجنبي.

خلال هذه الفترة كانت الدولة السعودية في دورها الثاني قد عادت إلى سابق عهدها على يد تركي بن عبد الله (١٢٤٠هـ — ١٢٤٩هـ)^(١) فوصل زعماء عسير صلاتهم بالدرعية، وفاء منهم، وتأكيذاً لولاء غير معلن رسمياً، تجنباً لمزيد من الاستعداد والبطش من عدوهم بل إن ذلك الولاء المعلن إسمياً للدولة العثمانية ممثلة في شخص محمد علي، لم يكن في كل الأوقات، ولافي جميع المناطق المعنية بهذه الدراسة، ولاتلهج به ألسنة كافة المواطنين، وإنما الغالب هو السخط وعدم الرضا تجاهه.

(١) الامام تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود (الذي ينسب إليه آل سعود) ابن محمد بن مقرن بن مرخان المريدي، والامام تركي هو جد الأسرة السعودية الحاكمة حالياً، وهو مؤسس الدولة السعودية في دورها الثاني، تولى الحكم عام ١٢٣٩هـ حتى آخر عام ١٢٤٩هـ (١٨٢٤م - ١٨٣٤م) فتولى الحكم بعده ابنه الامام فيصل بن تركي جد الملك عبد العزيز.

الفصل الرابع

علاقة المناطق بالدولة السعودية الثانية

لقد عمت الفتن والاضطرابات بلدان نجد عقب الانهيار السياسى الذى لحق بالدريعية على يد ابراهيم باشا فى ٨ ذى القعدة ١٢٣٣هـ (٩ سبتمبر ١٨١٨م) ولم يقدر لهذا الانهيار أن يدوم طويلاً، لأن مقرمات نهوض الدولة مرة ثانية كانت متوفرة بصورة فعالة وواضحة، إذ أن الأسس التى بنيت عليها فى المرة الأولى مازالت فى معظمها قائمة، ويأتى فى مقدمتها الإيمان الراسخ بمبادئ الدعوة السلفية، التى غيرت المجتمع النجدى، إلى مجتمع متوحد ومتّحد، قلباً وقالباً، يُكنُّ الولاء ويحفظ الوفاء لحكامه من آل سعود الذين تبنا نشر تلك الدعوة، والجهاد فى سبيلها، ولمس الجميع من قبل نعمة الرخاء التى أفاءها الله عليهم، بسبب مناصرتهم لدين الله، والسير فى ركاب من يناصرونه، لذا لم يستجب معظمهم لاغراءات محمد على، ولم يخضعوا للعسف الذى مارسه جنوده، بل قاوموا وطالت أنفاسهم فى ميادين الجالدة والمقاومة، حتى حولوا الأرض إلى نار مستعرة، لا يقر لغزاتهم فيها قرار^(١) وتمكن تركى بن عبد

(١) كتب التاريخ مليئة بألوان من تلك المقاومة، مثل تاريخ ابن بشر، والجهوتى، ود. عبد الرحيم عبد الرحمن، وغيره، وكذا كثير من الوثائق العثمانية، بدار الوثائق القومية بالقاهرة، واستانبول.

الله من تملك زمام تلك المقاومة، حتى استطاع بعد جهاد طويل من إعادة الكيان السياسى للدولة السعودية فى دورها الثانى، متخذاً من الرياض عاصمة لها بدلاً من الدرعية، وبايعه أهلها بالإمامة عام ١٢٤٠هـ (١٨٢٤م)^(١) ودخلت بقية بلدان نجد بعد ذلك فى طاعته، وأعاد نفوذ الدولة السعودية إلى الأحساء، والبحرين، وساحل الخليج جنوباً حتى عُمان، وأعاد علاقته وصلته بزعماء وأمراء كل من منطقتى عسير وحازان، تلك العلاقة التى تنم عن الوفاء والولاء للدولة السعودية الثانية فى كافة أطوارها.

تلاحقت الحوادث والوقائع فى كل من عسير السراة وتهامة عسير خلال الفترة من عام ١٢٣٠هـ (١٨١٤م) الذى حلت فيه قوات محمد على بالمنطقة، حتى عام ١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) وهو العام الذى انسحبت فيه قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن التى أصدرتها الدول الأوربية، بشأن تحجيم قوة محمد على. وشهدت المنطقة ثورات متتابعة ضد قوات محمد على، كما شهدت صراعاً بين زعمائها فى بعض الأحيان، بغرض دعم مركز كل منهم، لكن الحقيقة المستخلصة من استقراء تلك الوقائع تشير إلى أن الولاء إن لم يكن يهدف

^(١) بدأ الامام تركى تزعم المقاومة لقوات محمد على، وأيضاً لبعض القوى المحلية، كمحمد بن مشارى بن معمر، عام ١٢٣٧هـ، كما يقول ابن بشر، ج ٢، ص ٢٤، حتى استطاع التغلب على خصومه، وبايعه الناس بالإمامة عام ١٢٤٠هـ، وتوجد تفاصيل عديدة فى كتب التاريخ لهذه الفترة حتى استشهاده يوم الجمعة آخر ذى الحجة عام ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م).

إلى الاستقلال الذاتى، فإنه كان يتجه فى معظمه صوب الرياض عاصمة الدولة السعودية الثانية، وهو وإن لم يكن معلناً فى بعض الأحيان مخافة المزيد من استعداء الخصوم، فإنه كان ولاء خفياً فى معظم الأحوال، لا يجهر به إلا عند اللزوم، أما ما كان يعطى من ولاء لمحمد على فى بعض الأحيان، فإنه كان من باب المدارة وسد الذرائع، أو لكسب منفعة مؤقتة اقتضتها الظروف.

فإمارة كل من: عبد الوهاب بن عامر المتحمى (١٢١٧هـ - ١٢٢٤هـ) وطامى بن شعيب (١٢٢٥هـ - ١٢٣٠هـ) ومحمد بن أحمد المتحمى (١٢٣٠هـ - ١٢٣٣هـ) على عسير كانت بتعليمات مباشرة من الدرعية، وإمارة سعيد بن مسلط (١٢٣٩هـ - ١٢٤٢هـ) وعلى بن مجثل (١٢٤٣هـ - ١٢٤٩هـ) كانت بالتزكية من ذوى الرأى، والتوصية من الأمير السابق، وقد أظهر كل منهما الموالاة لآل سعود، وإمارة عائض بن مرعى المغيدى (١٢٥٠هـ - ١٢٧٣هـ) كانت بعهد من سالفه الأمير على ابن مجثل. ثم رشح الأمير عائض للإمارة أحد رَحْلَيْن أحدهما ابنه محمد.

وإذا كان من مصداقية الدعوى إثبات البينة لدعم حجيتها، واستعراض الأدلة المؤيدة لصحتها، فى ساحة الادعاء أو المناظرة، فمن المناسب قياساً على هذا تصفح بعض الشواهد التاريخية والوثائقية التى تشير إلى هذا الولاء، بشكل مباشر أو غير مباشر. بغرض تنبيه الباحث فحسب إلى هذه الحقيقة.

فمن هذا القبيل فى عهد الدولة السعودية الثانية:

- وثيقة عثمانية^(١) عبارة عن رسالة بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٢٤٠هـ من أحمد باشا يكن - محافظة مكة المكرمة وحاكم عام الحجاز - إلى محمد على باشا، يصف فيها الوضع فى عسير، ويتهم فيها سعيد بن مسلط بأنه يرأسل تركى بن عبد الله، لتنسيق جهودهما، والتعاون فيما بينهما لإنزال الهزيمة بعدوهم المشترك (أى قوات محمد على) وأن كثيراً من قبائل عسير تؤازر سعيد ابن مسلط فى هذا. وأن تركى بن عبد الله أرسل من قبله شيخاً مرعى الجانِب للتفاهم مع سعيد حول وسائل التعاون بينهما.

- الأمير على بن مجثل عاصر معظم عهد الإمام تركى بن عبد الله، وتوفى فى عام واحد^(٢) وكان ابن مجثل مُشَبَّعاً بمبادئ الدعوة السلفية^(٣) واستمر على عهد سلفه فى الصلة بالإمام تركى من أجل التنسيق فى مواجهة العدو المشترك، واستطاع أن يمد نفوذه خارج حدود عسير فى بعض الأحيان، فاستولى على تهامة اليمن حتى الحديدة والمخا أوائل عام ١٢٤٩هـ، ونلاحظ أن المؤرخ النجدى ابن بشر يورد هذا الخبر بشئ من الاعتزاز

^(١) الوثيقة محفوظة بدار الوثائق القومية بالقاهرة، محفوظة (٩) بحر برا، برقم (٦٦) وتاريخ ٧ ربيع الأول ١٢٤٠هـ، ٣٠ أكتوبر ١٨٢٤م.

^(٢) توفى ابن مجثل فى ١٢ شوال ١٢٤٩هـ، والإمام تركى فى الجمعة الأخيرة من ذى الحجة نفس العام.

^(٣) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣٥.

والمباهاة، نظراً لانتصار اتباع ابن مجثل على الترك، ويعنى بهم قوات محمد على باشا^(١) كما يورد تاريخ وفاة ابن مجثل^(٢) على أنه من الأبطال والشخصيات المرموقة.

- الأمير عائض بن مرعى المغيدى، الذى عهد إليه سلفه على بن مجثل بالإمارة، استمر أيضاً على عهد سلفه فى الصلة بأئمة آل سعود. وعقب انتصاره فى إحدى المعارك على قوات محمد على باشا عام ١٢٥١هـ، بعث مندوبيه إلى الرياض، يحملون بشائر النصر والهدايا إلى الإمام فيصل بن تركى، كما بعث خمس الغنائم التى غنمها فى حروبه، ومعها قصيدة للشيخ على بن الحسين الحفظلى يذكر فيها مفاخر قومه، وما حققوه من انتصارات^(٣) وفعل ذلك أيضاً عندما انتصر على القوات العثمانية عام ١٢٦٩هـ^(٤) ثم صفاه الوضع فى عسير بانسحاب قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية عام

م. ع. محمد رشدي

(١) ابن بشر، ج ٢، ص ٩٢، ٩٣.

(٢) ابن بشر، ج ٢، ص ٩٥.

(٣) على عبد الله عسوى، المصدر السابق، ص ٨٥، ٨٦.

(٤) ابراهيم بن صالح بن عيسى، عقد الدرر، ص ١٠، وانظر أيضاً بدار الوثائق القومية بالقاهرة: محفظة (٢٥١) عابدين، وثيقة (١٣٣) بتاريخ ٢٥ صفر ١٢٥١هـ (٢٢ يونيه ١٨٣٥م) عبارة عن رسالة من ابراهيم توفيق باشا إلى محمد على.

١٢٥٦هـ (١٨٤٠م) تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن^(١) وعُقد صلح بينه وبين الشريف محمد بن عون أمير مكة، على إيقاف الحرب وإبقاء الوضع على ما هو عليه في عسير.

- تشير بعض الوثائق إلى أنه خلال حروب محمد علي في عسير، كان قد عيّن في إحدى الفترات الشريف محمد بن عون أميراً عليها عام ١٢٣٧هـ^(٢) فأساء التصرف في إدارته، فذهب البعض من أهل عسير ونجران يشكونه إلى محمد علي، ويطلبون منه عزله عنهم، وتعيين حسين المكرمي اليامي^(٣) بدلاً منه، وجاء في مبررات ترشيحهم له لتولى هذا الأمر: هو أنه غير خاضع ولا مطيع لإمام اليمن^(٤).

ولاريب أن هذا المطلب كان من بعض الزعماء الذين هادنوا محمد علي في بعض الأحيان، دون الذين استمروا في ممالأته ومعاداته، سواء في عسير أو نجران، لكنه يعطى في الوقت نفسه مؤشراً بعدم الموالاة في

^(١) وقعت معاهدة لندن في ١٥ جمادى الأولى عام ١٢٥٦هـ/١٥ يولييه ١٨٤٠م، من جانب كل من بريطانيا، روسيا، النمسا، وبروسيا والدولة العثمانية، ضد محمد علي.

^(٢) الشريف محمد بن عبد المعين بن عون، بعد أن عزله محمد عن إمارة عسير، استدعاه للإقامة في القاهرة، ثم استصدر مرسوماً من الباب العالي بتعيينه بإمارة مكة المكرمة في ذي القعدة ١٢٤٢هـ، وهو من فرع العبادل المنافسين للنوى زيد، واستمر حتى عام ١٢٦٧هـ ثم عين مرة أخرى عام ١٢٧٧هـ حتى وفاته عام ١٢٧٤هـ.

^(٣) حسين بن حسين بن علي المكرمي اليامي، أحد زعماء اليامين في ذلك الوقت توفي عام ١٢٤١هـ.

^(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، دفتر (١٠) معية تركي، وثيقة رقم (٨٠) بتاريخ غرة ربيع الثاني ١٢٣٧هـ/٢٦

ديسمبر ١٨٢١م. والوثيقة رقم (٣٦٨) بتاريخ ٢٣ ذي الحجة ١٢٣٧هـ/١٠ سبتمبر ١٨٢٢م.

المنطقتين لإمام صنعاء خلال هذه الفترة، وأنه عندما قامت الدولة السعودية فى دورها الثانى، وأستتب الأمر فيها، وخفت وطأة وسطوة محمد علي عن المنطقة، وبخاصة بعد عام ١٢٥٦هـ^(١) أقبلت وفود من أهل نجران إلى الامام فيصل بن تركى مطالبة إياه بتجديد عهد الامام سعود (الكبير) إليهم، وتأكيد له، معلنين طاعتهم وولاءهم، فحرر لهم عهداً هذا نصه^(٢):

بسم الله الرحمن الرحيم

من فيصل بن تركى إلى من يرى هذا الكتاب.

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد: ألفنا (أى قدم) علينا حسن بن أحمد بن منيف، وحسين بن مانع بن جابر، وبأيديهم خط (كتاب) من مانع بن على بن جابر، وعزان بن حسين بن بتيان، وانهم مفوضيهم عن أنفسهم، وعن رفاقهم أهل نجران، إلى حالهم، وطلبوا منا يكون الحال منا ومنهم واحد على طاعة الله ورسوله، وإن حنا (نحن) مانصافى لهم علّو، ومن بغى (اعتدى) عليهم، وطلبوا منا النفعة (المساعدة) مانذخرها عنهم بجنود المسلمين، وصار العدو واحد، والصديق واحد، وأعطيناهم على هذا عهد الله وأمانه، والله على ذلك كفيل، ولهم

^(١) وهو العام الذى انسحبت فيه قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية، تنفيذاً لقرارات مؤتمر لندن.

^(٢) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها، ج ٢، ص ٣٩٧. نقلنا نصه، وشرح المؤلف لبعض العبارات كما هى.

علينا إن شاء الله الإكرام والإعزاز، والقيام بواجبهم، ومن حاله حالهم،
وطوارفهم (توابعهم) أمانة فى بلدان المسلمين، لهم مالهم، وعليهم
مأولهم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

الخاتم: فيصل بن تركى

١٢ شعبان ١٢٧٩هـ.

ومن خلال استقراء الوثائق العثمانية^(١) أثناء فترة وجود قوات محمد
علي فى شبه الجزيرة العربية، وحتى فيما بعد ذلك، فإنها تؤكد أن الدولة
العثمانية - ممثلة فى شخص محمد علي - كانت تعتبر كلا من منطقة عسير
وجازان امتداداً طبيعياً وسياسياً لإمارة مكة المكرمة، وكانت تتعامل معهما
على هذا الأساس، وأن بجران كانت أحياناً تعتبر امتداداً لعسير عندما يصل
نفوذ الدولة إليها، مع أن امتداد ذلك النفوذ كان فى حالات نادرة.

وأن الامتداد الإدارى فى تهامة امتد إلى مهابو جنوب جازان،
فشمل الحديدية والمخابر وتغز والعدين فى معظم الأوقات التى وجدت فيها

^(١) الوثائق العثمانية للعهد الذى نتاوله بالدراسة، توجد فى كل دار الوثائق القومية بالقاهرة تحت مسمى "محافظة
الحجاز" وهى عديدة، وكذا بالارشيف العثمانى باستانبول، تحت مسمى أوراق يلدز، وهمايون (أى أرشيف
الباب العالى) وغيرها.

قوات محمد على فى المنطقة، وعند انسحابها^(١) سلمت البلاد التى كانت
بجوزتها من تهامة اليمن - أى جنوب الزيدية حتى الحديدية والمخا وتعز -
إلى أمير أبو عريش الشريف حسين بن على بن حيدر، الذى كان موالياً لها
فى البداية ثم انقلب عليها قبيل الانسحاب، لكنها لم تجد مفرأ من
تسليمها إليه بدلاً من إمام صنعاء، وأيدته استانبول وشرطت عليه أن يدفع
مبلغاً من المال سنوياً، وأن يقيم الخطبة للخليفة، ويرتبط بأمر مكه ووالى
جدة، كما سلمت ماكان بجوزتها من بلدان عسير إلى أمير مكة المكرمة
الشريف محمد بن عون، وقد وقع هذا صلحاً مع ابن عائض على وقف
الحرب بينهما، ويقر كل منهما الآخر على ماتحت يده^(٢).

ومن المؤشرات على ماغن بصده، مما وقع قبيل نهاية الدولة
السعودية الثانية، إبان الخلاف الذى حدث بين الامام عبد الله بن فيصل،
وأخيه الامام سعود بن فيصل، عندما خرج مغاضياً لأخيه، فذهب إلى
محمد بن عايض أمير عسير، يستعديه على أخيه الامام عبد الله، فلم
يستجب له، لأن آل عايض كانوا موالين لآل سعود ذاك الوقت^(٣)، ولذا
فإن ابن عايض وقف موقف الناصح الأمين، ونصح سعود بلزوم الجماعة،

(١) أصدر محمد على قرار انسحاب قواته من شبه الجزيرة العربية، ومن كافة أملاك الدولة العثمانية، تحت ضغط
الدول الأوروبية فى ١٣ ذى الحجة ١٣٥٥هـ/ ١٧ فبراير ١٨٤٠م، ولم يبدأ الانسحاب الفعلى إلا فى شهر صفر
١٢٥٦هـ نظراً لأهمية عمل الترتيبات والحماية اللازمة للقوات عند انسحابها.

(٢) د. عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٢١٨-٢٢٠، ود. أبانطة، الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م،

ص ٤٢، ٤٣.

(٣) أمين الريحانى، نجد وملحقاته، ص ٩٨.

وحته على عدم النزاع والشقاق. ولو لم يكن لديه وفاء وولاء لما وقف هذا الموقف.

ولما اشتدت حدة الصراع بين الآخرين، توزعت القبائل فى المنطقة بينهما، فكانت قبائل يام بنجران تكن الوفاء والطاعة للإمام عبد الرحمن ابن فيصل^(١).

وتفيد بعض الروايات أنه بعد احتلال الانجليز لعدن عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) خرج إلى اليمن أحد أشرف الحجاز ويدعى السيد اسماعيل، وكان من أنصار الدعوة السلفية، ومتأثر بها إلى درجة بعيدة، فاستنهض همم الناس فى عسير وماحولها، للجهاد فى سبيل الله، واستخلاص عدن من قبضة الانجليز، وانضم إليه كثير من أهالى الحج، ثم هجموا على الانجليز فى عدن، فقابلهم الانجليز باطلاق المدافع والبنادق حتى انهزموا وتفرقوا، وأن ذلك الرجل توجه بعد ذلك ومعه بعض أصحابه إلى أبين^(٢).

من جانب آخر كان إمام صنعاء قد خشي من تقدم قوات ابراهيم يكن باشا إلى صنعاء، بعد استيلائها على تعز والعُدين عام ١٢٥٣هـ، فبعث إلى أخيه أحمد يكن باشا حاكم عام الحجاز، يعرض عليه الصلح، ويعلن ولاءه، فلم يستجب له، وعند انسحابها عام ١٢٥٦هـ لم يطالب

^(١) راشد بن على الحبلى، مثير الوجد فى أنساب ملوك نجد، ص ٥٣.

^(٢) أباطة، المصدر السابق، ص ٤٠.

إلا بعودة كل من تعز والعُدين^(١) اللتين استولى عليهما مؤخراً إبراهيم باشا، أما الحديدية شمالاً إلى بداية إمارة أبو عريش، فقد كانت بعيدة عن سلطة ونفوذ الأئمة منذ عهد الدولة السعودية الأولى، ولذا لجأ الامام إلى بريطانيا - التي كان لها وجود من قبل في عدن - يطلب منها مساعدته في استرداد هاتين المنطقتين - تعز والعدين - من الشريف الحسين بن حيدر، فلم تساعده في ذلك^(٢) لأن من سياستها ذاك الوقت عدم اقحام نفسها في النزاعات المحلية بوسط شبه الجزيرة العربية.

وتشير بعض التقارير^(٣) حول حادث "المخا"^(٤) الذي استغلته بريطانيا للحصول على مزيد من النفوذ في المنطقة، حين حاصرت ميناء المخا، بأسطولها، وضربت المدينة بالمدافع عام ١٢٣٥هـ، (١٨١٩/١٢/٢٦م) وفازت إمام صنعاء لفرض شروطها عليه، فأجابهم الامام: بأن هذا الاقليم يقع تحت هيمنة سلطان آل عثمان، وانه والٍ معيّن عليه من قبل السلطان، وذلك منذ أن سلمه إليه خليل باشا عام ١٢٣٤هـ،

(١) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٢١٦-٢١٨.

(٢) د.عبد الرحيم، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٣) الأرشيف العثماني، بحث رقم ٣٩٥٢، أوراق يلدز، قسم ١٨، أوراق ١٤١-٥٥٣. ظرف ٣٤/٩٣ غير

مؤرخ. - (٥)

(٤) يتلخص حادث المخا، من أن شركة الهند الشرقية البريطانية كانت قد سعت إلى إقامة وكالة لها في بندر المخا، ليصرف على الأعمال التجارية الخاصة بها، وحدث في عام ١٢٣٣هـ (يوليو ١٨١٧م) أن رفض أحد التجار العرب المتعاملين مع الوكالة الخروج منها لحين الحصول على مستحقاته، فأبعده حراسها الهند التابعين لها، بالقوة من البنى، مما أثار ذلك بعض الأهالي فتجهروا وأهانوا ضباطها البريطانيين، ثم قام حاكم المخا العربي باستدعاء رئيسهم وأهانته، فاستغلت الحكومة البريطانية هذا الحادث بعد عامين من وقوعه.

لكنهم لم يسمعوا لقوله، وفرضوا عليه شروطهم، والتي من بينها تخفيض الرسوم الجمركية على البضائع البريطانية. وكانت بريطانيا قد أجرت قبل ذلك اتصالات بمحمد على تستأذنه، وتوضح له هدفها من حصار ميناء المخاء، وأنه ليس غرضها احتلال البلدة، وإنما اجبار الحاكم على تقديم ترضية مناسبة للضابط الذى أهين، وعلمت من محمد علي أن تلك المنطقة سلمت إلى الامام ليديرها مقابل كمية معينة من محصول البن كخراج يدفع سنوياً للباب العالى.

فى ثانيا تداعيات النزاع على منصب الإمامة فى صنعاء، حدث أن خرج محمد بن يحيى^(١) على الامام المنصور على بن المهدي^(٢) لكنه لم يفلح فهرب إلى مصر يستعدى حاكمها على الإمام المنصور، غير أنه لم يستجب له، فأقبل إلى الشريف الحسين بن على بن حيدر أمير أبو عريش، الذى كان نفوذه يمتد من أبو عريش وجنوباً حتى تعز وباجل، فأكرمه ووعدته بالوقوف معه، ثم ساعده فى الاستيلاء على صنعاء وتقلد منصب الإمامة عام ١٢٦١هـ، ثم مالبت العلاقات أن توترت بينهما، وتصاعدت حتى أدت إلى نشوب الحرب، حين زحف ابن يحيى إلى تهامة اليمن لاستخلاصها من ابن حيدر، ناقضاً الاتفاق الذى كان قد تم بينهما من قبل بأن يكفى ابن يحيى بالقسم الجبلى من اليمن، وتظل تهامة اليمن بيد

(١) هو: محمد بن يحيى ابن المنصور بالله على ابن المهدي عباس بن الحسين بن القاسم (١٢٦١هـ - ١٢٦٥هـ)

(٢) هو: المنصور على ابن المهدي عبد الله ابن المتوكل، تولى الإمامة أكثر من مرة إحداهما عام ١٢٥٩هـ حتى عام ١٢٦١هـ.

ابن حيدر، فنزل ابن يحيى واستولى على "باجل" بمساعدة على بن حميدة رئيس قبيلة القحرى والنقىا فى قرية "القُطَيْع" بالقرب من باجل فى ١١ محرم ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م) فى معركة ساخنة، كانت نتيجتها هزيمة ابن حيدر، ووقوعه فى الأسر، حيث وضعه ابن يحيى تحت الحراسة فى إحدى قرى زبيد (البشيشة) وتقدم فاستولى على بعض البلاد التهامية اليمنية التى كانت تحت نفوذ ابن حيدر، كالمخا، وبيت الفقيه، وزبيد، والضمى، والزيدية وحيس، وعاد إلى صنعاء لأنه علم أن خصمه على بن المهدي قد استولى على صنعاء، ثم استطاع محمد بن الحسين وابناء عمومته، من فك أسر أبيه الأمير الحسين بن على بن حيدر، بالاستعانة بقبائل يام فى ٨ جمادى الأولى ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م)^(١).

ولقد تناهى خير تلك الحروب وأسر الأمير الحسين إلى اسماع الإدارة فى مكة المكرمة، وهى تعتبر الأمير الحيدرى بما يحكمه من بلدان تابعاً لها، وأن إمام صنعاء تجاوز حدوده، وأنها لا يمكن أن تصمت أمام هذه التجاوزات، فرفعت الأمر إلى الباب العالى فى استانبول، فصدر أمر من السلطان فى ١٧ رجب ١٢٦٤هـ (١٨٤٨م)^(٢) إلى كل من: شريف مكة، ووالى جدة، وقاضى مكة، جاء فيه: لقد سبق أن فوضت إدارة إقليم (قضاء) المخا وتوابعه من تهامة إلى الشريف حسين بن على بن حيدر،

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٨-٣٦٠، ٥١٣-٥٢١، والواسعى، المصدر السابق، ص ٢٣٤-٢٣٨، الجرافى، ص ٢٦٧، ٢٦٨، د. فاروق عثمان أباطة، الحكم العثماني فى اليمن ١٨٧٢-١٩١٨م، ص ٤٣-٤٧. (٢) الأرشيف العثماني، دفتر نامه، هياون ١٢، صفحة ٥١٠٥٠، بحث ٣٩٠١، بتاريخ ١٧ رجب ١٢٦٤هـ.

أمير أبو عريش، وأنه سبق الانعام عليه برتبة ميرميران (أمير الأمراء = الباشوية) وأنه بلغ مسامع السلطان أن المتوكل محمد بن يحيى حاكم صنعاء، قد سوّلت له نفسه الاستيلاء على البلاد المذكورة، بالاتفاق مع شخص من عربان تلك المنطقة، يقال له: علي الحميدى (بن حميدة) واشتبكاً مع الشريف حسين حاكم المخا وتهامة، وتغلبا عليه، واخذاه أسيراً، وحيث أن البلاد المذكورة هى من ممالكنا الموروثة لسلطنتنا، وهما: الشريف، وحاكم صنعاء من رعايا دولتنا، وقد صاراً بما فعلاه سبباً لسلب راحة الأهالى، وسفك دماء البشر بلاموجب معتبر، لذا صار من الواجب اجراء تأديب ذلك الحاكم (أى حاكم صنعاء) وإعادة العيشة الرضية إلى تلك البلاد .. ثم يطلب من شريف مكة، ومن معاون إمارة مكة توفيق باشا، بذل الهمة واتخاذ التدابير اللازمة لاستعادة تلك الأراضى وفك أسر الشريف حسين الحيدرى، والعمل على تبديل حاكم (إمام) صنعاء بآخر.

كما أصدر السلطان أمراً (فرماناً) رفق هذا^(١) خالى الاسم ممن يتم اختياره حاكماً (إماماً) على صنعاء، جاء فيه: إن حسن سياسة إقليم صنعاء، الذى هو من جملة ممالكنا الموروثة، وراحة أهاليه، وقبائل العرب الذين فيه، مشمولين بحمايتنا ورعايتنا، لذا نبعث به إليك معلنين تنصيبك حاكماً على الإقليم المذكور معتمداً ما يبلغك إياه أمير مكة المكرمة.

(١) فرمان السلطاني بنفس الفقر السابق، ودون تاريخ.

وكما سبق فإن الشريف حسين بن علي بن حيدر كان قد تم فك أسره، قبل وصول حملة توفيق باشا والشريف محمد بن عون إلى تهامة اليمن، عن طريق ميناء اللحية عام ١٢٦٤هـ، وتسلم توفيق باشا تهامة اليمن من الشريف حسين الذي زهد في الحكم، ولما بلغ الامام محمد بن يحيى خبر وصول توفيق باشا إلى تهامة سارع إليه ودعاه للذهاب إلى صنعاء، هو وجيشه، ورافقه في دخولها عام ١٢٦٥هـ (١٨٤٩م) لكن أهل اليمن ثاروا عليه وعلى الجند المصاحيين له، وطردوهم من صنعاء، فعاد توفيق باشا إلى الحديدة واتخذها مركزاً لتوطيد نفوذه وهيئته على الساحل اليمني، كما ثار الأهالي على الامام ابن يحيى لاستقدامه الأتراك، وخلعوه وأعادوا الامام السابق على بن المهدي، وبايعوه بالامامة، ولم يعاود العثمانيون الكرة على صنعاء والمنطقة الجبلية عامة إلا في عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) وهم أكثر قوة، فاستطاعوا أن يقيموا فيها حكماً عثمانياً استمر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى^(١).

شهدت صنعاء، والمنطقة الجبلية عامة خلال الفترة من عام ١٢٦٧هـ (١٨٥٠م) حتى عام ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) اضطراباً وحروباً متواصلة، بسبب النزاع بين الأئمة على منصب الإمامة^(٢) فانفرط عقد

(١) د.أباظة، المصدر السابق، ص ٤٥-٤٦، والجغرافى، المصدر السابق، ص ٢٦٩، والواسع، المصدر السابق، ص ٢٣٩.

(٢) كان هناك أكثر من داع لنفسه بالامامة في الوقت نفسه، وتقلب كل منهم على بعض الجهات بالمنطقة الجبلية، وأعلن نفسه إماماً، وهم: على بن المهدي، الامام السابق الذى تولاهما خمس مرات، كان عدينية يريم، وغالب==

الأمن فى البلاد، وثارَت القبائل، وهاجمت صنعاء، وأحاطت بها من كل جانب، كما هاجمت بعض البلدان والمناطق الأخرى، وقاد المكرمى اليامين من نجران وانطلق من حراز التى كان يهيمن عليها من قبل، فاستولى على الحيمة عام ١٢٧٧هـ وعلى بلدة المناخة عام ١٢٦٨هـ بعد تغلبه على الإمام الهادى غالب بن محمد بن يحيى^(١) وسثم بعض الأئمة من كثرة الحروب^(٢) فاجتمعوا ومعهم بعض الأشراف، والعلماء، واستقر رأيهم على أن يرفعوا إلى السلطان العثمانى يطلبون تدخله بارسال بعض الجند لإعادة الاستقرار إلى المناطق الجبلية، وأوضحوا للسلطان "أن القبائل فيما حول صنعاء قد شقّوا عصا الطاعة، واستبدوا بالبلاد، بالعتو والفساد، فنرجوا أن تملونا ببعض العساكر لانقاذ اليمن من الفوضى والانهدار والاضطراب"^(٣) كما أبلغوه باستيلاء الباطنية (المكارمة) على بعض بلدان اليمن. لكى يحفزوه على ضرورة وسرعة الاستجابة.

ومع أنه كان هناك حاكم عثمانى فى الحديدة لإدارة المنطقة التهامية، التى تخضع مباشرة لحكم العثمانيين، فلم يكتبوا إليه، وإنما كتبوا

--ابن محمد بن يحيى، ابن الإمام الذى وقعت بينه وبين الشريف حسين الحيدرى حروب فى تهامة اليمن، وكان يجبل خفاش، وأحمد بن هاشم الذى كان إماماً فى صنعاء، والعباس بن عبد الرحمن، فى قرية ضلاع همدان، والعباس بن المتوكل أحمد فى ضوران، ثم محمد بن عبد الله بن الوزير، فى عام ١٢٧٠هـ.

^(١) الواسع، المصدر السابق، ص ٢٢٥، ٢٤٤-٢٥٠ وصفحات مجهولة من تاريخ اليمن، لؤلف مجهول، ص ١١٤، ص ١٢٤ وابن زبارة، أئمة اليمن، ص ٥٠.

^(٢) منهم على بن المهدي، وغالب بن محمد، والحسين بن المتوكل.

^(٣) الواسع، المصدر السابق، ص ٢٥٨، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ٨٩، ٨٨، ٦٧.

إلى السلطان مباشرة، لحثه على سرعة الاستجابة، وللإحياء بتبعيةهم وولائهم للدولة العثمانية.

وخلال ذلك كان أمير عسير محمد بن عائض يقوم بإحدى هجماته على القوات العثمانية فى تهامة، وزحف حتى حاصر الحديدة، ووقعت حروب بينه وبين الحاكم العثماني فيها على باشا الحلبي ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) وشعرت الدولة أن وجودها فى تهامة مهدد طالما بقى ابن عائض، فجندت حملة كبيرة وصلت إلى ميناء القنفذة من نفس العام بقيادة كل من رديف باشا، ونائبه مختار باشا، لتولى المهمتين، فى عسير وصنعاء، وبالفعل نجحت فى المهمتين، بقتلها ابن عائض غدرًا، واستيلائها على صنعاء وماحولها.

فيما عدا عسير ونجران اللتين ظلتا بمنأى عن النفوذ المباشر للعثمانيين خلال الفترة السابقة، إلى أن قام محمد بن عائض أمير عسير بقيادة حملة على القوات العثمانية لطردهم من تهامة بقسميها، فاستولى على أبو عريش وتوابعها، وزحف على بلدان تهامة اليمن حتى الحديدة، مركز العثمانيين فى المنطقة الجنوبية، وذلك عام ١٢٨٨هـ (١٨٧١م) فجردت الدولة عليه حملة بقيادة كل من محمد رديف باشا ونائبه أحمد مختار باشا - كما سبق أن ذكرنا - فتمكنوا بعد حروب قاسية من التغلب على ابن عائض، والقبض عليه بأمان من مختار باشا، لكن رديف باشا لم يف له

بعهد الأمان وقتله غدرأ فى صفر ١٢٨٩هـ (ابريل ١٨٧٢م)^(١) ودخلت
عسير هى الأخرى فى الحكم المباشر للعثمانيين، بمساعدة بعض الأمراء
المحليين على البلدان، والقبائل. واتخذت عسير وأبو عريش بعد ذلك صبغة
جديدة فى التنظيمات الادارية العثمانية التى شهدتها المنطقة.

^(١) العقيلي، المصدر السابق، ص ٥٤٦-٥٥٠، والجرفى، المصدر السابق، ص ٢٧٤، ويقول: إن السلطان العثماني
عبد العزيز لم يرتض قتل ابن عائض غدرأ، وعزل رديف باشا، ونقل القيادة إلى مختار باشا، الذى كان والياً
على صنعاء، فتولى عسير.

الباب الثاني

عودة النفوذ العثماني المباشر

- الفصل الأول: متصرفية عسير.
- الفصل الثاني: إمارة الادريسي.
- الفصل الثالث: إمارة آل عائض.

الفصل الأول

متصرفية عسير

الترتيبات الإدارية

على إثر امتداد نفوذ الدولة العثمانية فى عهد السلطان سليم الأول^(١) فقدت بعض الدول التى كانت مستقلة استقلالها^(٢) وصارت ولايات خاضعة سياسياً وإدارياً للدولة العثمانية، لكنها ظلت داخلياً على وضعها السابق، من حيث تقسيماتها الإدارية إلى أقاليم أو مناطق أو أفضية، دون أن تلحقها تعديلات تذكر. بالرغم من حرص الدولة على تحسين الإدارة فيها، إلا أن بعض الصعوبات حالت بين الإصلاح الإدارى المنشود، بسبب السلوكيات الشخصية للولاة والقادة، والحكم الاستبدادى المطلق لإدارة الولاية، حتى أصبحت جباية الأموال الأميرية تفوض إلى الأشخاص عن طريق المزايدة، ثم تعطى لمن يتعهد ويلتزم بتحصيل المبالغ

(١) حكم خلال الفترة من عام ٩١٨هـ حتى عام ٩٢٦هـ (١٥١٢م - ١٥٢٠م).

(٢) من بينها مصر، والعراق، والجزائر، وتونس.

المقررة، فى الوقت المحدد^(١) ونتيجة لتفشى ظاهرة الفساد فى أركان الدولة، فيما بعد السلطان مراد الثالث^(٢) فقد شرعت الدولة فى عمل ترتيبات إدارية، عرفت باسم "التنظيمات" لتشمل الدولة وولاياتها، بهدف إصلاح الوضع المتدنئ فى كافة شئون الدولة، وبدأ ذلك عام ١٢٥٥هـ (١٨٣٩م) فى بداية عهد السلطان عبد المجيد^(٣) وأطلق على الولايات مسمى "الإيالات" لكنها لم تأت بالثمرة المرجوة من النهوض بالدولة، والقضاء على الفساد، ووضع حد للحكم المطلق، سواء داخل الدولة نفسها، أو على مستوى الولايات، فأنشأت قانوناً ووضعت تنظيمات جديدة عرفت باسم "المشروطة"^(٤) وذلك على نسق ماكان معمولاً به فى الدول الأوروبية ذاك الوقت. ثم وضعت القانون الأساسى العثمانى عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) لضبط مختلف شئون الدولة من إدارية، ومالية،

(١) سموا "ملتزمين" لأن الواحد منهم كان متعهداً وملتزماً بدفع الجباية المحددة على الإقليم، أو البلدة، يجمعها بالأسلوب الذى يراه ويتاسبه. فيقومون بالسلط على السكان، واستعمال العنف ضدهم، وكثيراً مايصادرهم أملاكهم وأموالهم، وربما يقتلونهم فى سبيل الحصول على الأموال المطلوبة، وكان الملتزم يجمع أضعاف المبلغ المطلوب المقرر، ليضع الزيادة فى حوزته.

(٢) حكم خلال الفترة من عام ٩٨٢هـ حتى عام ١٠٠٣هـ (١٥٧٤م - ١٥٩٥م).

(٣) حكم خلال الفترة من عام ١٢٥٥هـ حتى عام ١٢٧٧هـ (١٨٣٩م - ١٨٦١م).

(٤) سميت بذلك لأنها حاولت أن تحد من أسلوب الحكم المطلق، لكافة للمستويات الإدارية، ابتداء من السلطان نفسه حتى أقل مسئول إدارى، وجعلت حكم السلطان مشروطاً بمراعاة القيود المقررة فى القانون الأساسى انظر فى ذلك، وفيما سبقه، ساطع الحصرى، البلاد العربية والدولة العثمانية، ص ٣٩-٦٢.

وقضائية وتعليمية وغيرها، بقصد جعل الدولة دولة عصرية، وبدأ ذلك فى عهد السلطان عبد الحميد الثانى^(١) باسم الاصلاح الدستورى^(٢).

كان من بين تلك التنظيمات والترتيبات الإدارية تقسيم كل إيالة (ولاية) إلى عدة سناجق^(٣)، أو متصرفيات، والسنجق يتكون من عدة أقضية حسب ظروف كل أقليم، أو إيالة من تلك الإيالات.

ظلت إمارة مكة المكرمة بتوابعها بعيدة إلى حد ما عن تلك الترتيبات، نظراً لظروفها ومكانتها الدينية، فلم تلحقها إلا ترتيبات يسيرة تتناسب مع المكانة الدينية التى تحتلها فى نفوس المسلمين فى شتى بقاع الأرض. كما ظلت اليمن — وبخاصة المنطقة الجبلية — بمنأى عن تلك الترتيبات، نظراً لصعوبة إختراق أرضها للهيمنة عليها، وظروفها القبلية والمذهبية، غير أنه إزاء صحوة الاصلاحات للنهوض بالدولة، رأت أن تعيد نفوذها بصورة فعالة على جميع إيالاتها، وبخاصة تلك التى فى الأطراف، وتتصدى للنفوذ الأجنبى المهدق بتلك الإيالات، وكان هذا النفوذ قد نشط

(١) حكم خلال الفترة من عام ١٢٩٣هـ حتى عام ١٣٢٧هـ (١٨٧٦م - ١٩٠٩م) الذى عطل الدستور، فقامت ضده ثورة عام ١٩٠٩م أطاحت به، وأتت بالسلطان محمد رشاد، ثم بعض السلاطين الضعاف حتى ثورة كمال أتاتورك، وإعلان الجمهورية عام ١٩٢٢م.

(٢) المحصرى، المصدر السابق ص ٧٨، ٦٣، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ٤٤٨.

(٣) السنجق: كلمة تركية معناها: العلم، أو اللواء، أو الراية، ثم أطلقت على المقاطعة، أو الاقليم، أو المديرية، أو المحافظة، كما كانت تطلق على حاكم ذلك الاقليم أيضاً، كرتبة ممسرة، تكسب حاملها أن تدق له الطبول والآلات الموسيقية عند قدومه للأماكن الرسمية.

بشكل ملحوظ عقب حملة نابليون على مصر، وقد حفزها إلى ذلك افتتاح قناة السويس عام ١٢٨٦هـ (١٨٦٩م) مما سهل مهمتها فى سرعة وصول قواتها بأعداد كبيرة مع ما تحتاجه من معدات وتموينات إلى جنوب البحر الأحمر فى زمن يسير، بالقياس لما كان عليه الوضع فى السابق، وربما كان هذا من أسباب نجاح الحملة التى قادها محمد رديف باشا ونائبه أحمد مختار باشا على كل من عسير واليمن، فقد أقبلت وهى مهيأة بكافة الإمكانيات بشكل جيد لتوطيد نفوذ الدولة فى المنطقة.

عندما شرعت الدولة العثمانية فى تطبيق قانون الولايات عام ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م)^(١) استبعدت ولاية مكة المكرمة وتوابعها من تطبيق هذا القانون عليها، نظراً لوضعها الخاص، مع ضبط توابعها إلى حد ما بما يتوافق مع قانون الولايات، وكان من توابعها عسير، وأبو عريش، وبادية الحجاز، فيما كان يطلق عليه عالية نجد. وعند انسحاب قوات محمد على من شبه الجزيرة العربية، كان الحسين بن على بن حيدر حاكماً على أبو عريش، فصدرت الأوامر إلى أحمد يكن باشا حاكم عام الحجاز، بتسليم المنطقة فيما هو جنوب حررض حتى الحديدية والمخا وبيت الفقيه إلى عهده، على أساس أن يحكمها باسم الدولة العثمانية، مقابل مبلغ يدفع كخراج سنوياً، ويكون خاضعاً لإدارة مكة المكرمة. وأطلق على كل من:

(١) كان قد أصدره السلطان عبد العزيز ابن السلطان محمود (١٨٦١-١٨٧٦م) وهو أخو السلطان عبد المجيد (١٨٣٩-١٨٦١م) الذى صدر فى عهده نظام "الشرطية" وكان قانون الولايات يقسم الولاية إلى عدة سناجق أو متصرفيات، وكل متصرفية إلى عدة أقضية، وكل قضاء إلى عدة بتادر أو بلدان.

أبو عريش، والمخاء، والحديدة "مسمى قضاء" كما مُنح الشريف حسين بن حيدر لقب "ميراميران" أى "باشا" وهو يعادل لقب حاكم المتصرفية^(١) وظل الأمر كذلك حتى عودة النفوذ العثماني إلى المنطقة على إثر حملة محمد رديف باشا، ومختار باشا عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١ م) فأقاموا فى الحديدة مركزاً لهم، وجعلوها لواء، ثم متصرفية، تتبعها عدة أفضية من تهامة اليمن، وأضيف إليها فى بعض الفترات قضاء أبو عريش، غير أنه فى معظم الفترات كان تابعاً لمتصرفية عسير.

أما عسير فكانت الدولة تعتبرها تابعة أيضاً لإمارة مكة المكرمة، مع أن حكمها المباشر كان بيد أبنائها فى الغالب، وبخاصة فى عهد الأمير محمد بن عائض الذى كان يحكم معظمها حكماً شبه مستقل، وبالنظر للظروف الحربية والثورات التى قادها ضد قوات الدولة فى عسير فإن سلطته كانت تتسع أو تضيق حسب تلك الحروب، وأحياناً كان يمتد نفوذ الإدارة فى مكة إلى بعض المناطق فى عسير فيحكمونها حكماً مباشراً، وكانوا أحياناً يخاطبون ابن عائض بـ "شيخ عربان" عسير، أو "قائمقام" عسير^(٢) وعند انسحاب قوات محمد على من عسير، صدرت إليها الأوامر بتسليم مافى حوزتها من مناطق عسير إلى أمير مكة، على أساس أن عسير

^(١) الوثائق العثمانية بالأرشفيف العثماني باستانبول تدل على ذلك، ومن ذلك الوثيقة رقم (٣٨٩٩) دفتر همايون ١٢، بتاريخ لوائح رجب ١٢٦٤ هـ، وأخرى برقم (٣٩٠١) بالدفتر نفسه بتاريخ ١٧ رجب ١٢٦٤ هـ، وثالثة برقم (٣٨٩٨) ونفس الدفتر، وتاريخ لوائح ربيع الأول ١٢٦٣ هـ.

^(٢) الوثيقة رقم ٢٥/٦/٢ بتاريخ محرم ١٢٨٢ هـ، ٢١/٦/٢، بتاريخ ربيع الثانى ١٢٨٢ هـ.

من توابعها، فسلمت إلى الشريف محمد بن عون، فسعى هذا لعقد صلح بينه وبين الأمير عايش بن مرعى، لابقاء الوضع على ما هو عليه، ثم نقضه ابن مرعى بعد عامين لتوسيع منطقة نفوذه، وعقب مقتل محمد بن عايش غدرًا على يد رديف باشا فى صفر ١٢٨٩هـ (ابريل ١٨٧٢م) أخذ رديف باشا فى العمل على إحكام قبضته على مختلف أنحاء عسير، لدعم سلطة الدولة عليها، وبدأ ينظم الإدارة فى جهاتها وبلدانها، وربطها بعضها ببعض، متخذاً مدينة "أبها" قاعدة لها، بدلاً من السقاء، أو طيب، لكنه لم يستمر فى ولايته سوى تسعة أشهر، فأبدل بأحمد مختار باشا، نائبه السابق^(١) الذى كان قد زحف نحو اليمن بعد الاستيلاء على عسير، واستولى على صنعاء تلبية لدعوة إمامها وبعض العلماء، التى رفعوها إلى الباب العالى، لنجدتهم من الفتن والاضطرابات التى حاقت بصنعاء، فأخضعها مختار باشا لنفوذ الدولة، واستمر حاكماً عليها إلى أن نقل إلى عسير، محاولاً دعم سلطة الدولة واستكمال الترتيبات والتنظيمات الإدارية فى كافة أنحاء عسير.

ثم تتابع الولاة على حكم متصرفية عسير على النحو التالى:

- أحمد مختار باشا ١٢٨٩هـ - ١٢٩١هـ (١٨٧٢ - ١٨٧٥م)

(١) العقيلي، المصدر السابق، ص ٥٦٣، ٥٦٤، والوثيقة رقم ١٨/٦/٢، دفتر همايون ١٢، بالارشيف العثماني. ورقم (٤٢٣٩) لإرادة داخلية برقم ٤٤٠٥٦، وتاريخ ٢٢ رجب ١٢٨٨هـ (١٨٧١م).

- عثمان بك ١٢٩١هـ - ١٢٩١هـ (١٨٧٥ - ١٨٧٥م) لأقل من عام.

- حيدر بك ١٢٩٢هـ - ١٢٩٤هـ (١٨٧٦ - ١٨٧٧م)

- أحمد فيضي باشا ١٢٩٤هـ - ١٢٩٧هـ (١٨٧٧ - ١٨٨٠م) في عهده جعلت عسير متصرفية مستقلة.

- تحسين باشا ١٢٩٨هـ - ١٣٠٠هـ (١٨٨١ - ١٨٨٣م)

- رفعت باشا ١٣٠٠هـ - ١٣٠٥هـ (١٨٨٣ - ١٨٨٨م)

- محمد أمين باشا ١٣٠٥هـ - ١٣١٠هـ (١٨٨٨ - ١٨٩٣م)

- يوسف باشا ١٣٠هـ - ١٣١٦هـ (١٨٩٣ - ١٨٩٨م)

- موسى كاظم باشا ١٣١٨هـ - ١٣١٩هـ (١٩٠٠ - ١٩٠١م)
يبدو أنه تسلمها بالنيابة لعامين قبل أن يتولاها رسمياً.

- اسماعيل باشا حقي ١٣١٩هـ - ١٣٢٤هـ (١٩٠١ - ١٩٠٦م)

- كاظم باشا ١٣٢٥هـ - ١٣٢٦هـ (١٩٠٧ - ١٩٠٨م)

- سليمان شفيق كمالى باشا ١٣٢٦هـ - ١٣٣٠هـ (١٩٠٨ - ١٩١٢م)^(١) وقد استمر أربع سنوات ونصف.

- حيدر بك ١٣٣٠هـ - ١٣٣٢هـ (١٩١٣ - ١٩١٤م)

- محي الدين باشا ١٣٣٢هـ - ١٣٣٦هـ (١٩١٤ - ١٩١٨م) وهو آخر متصرف عثمانى على عسير، وقد سلمها إلى وكيله الحسن بن عائض، عند رحيل العثمانيين عن بلاد العرب، عقب هزيمة دولتهم فى الحرب العالمية الأولى^(٢).

^(١) ورد قرار تعيينه فى الوثيقة رقم (٥٣٨٤) إرادة داخلية [أى قرار وزارة الداخلية] باستانبول برقم وتاريخ ٢٩ ربيع الثانى ١٣٢٧هـ/ ١٩ (الموافق ١٧/٥/١٩٠٩م) وهى تتعلق بتعيين "السيرلواء" سعادة شفيق كمالى باشا، قائد لواء المدفعية الثالثة، متصرفاً على لواء عسير، وهو تاريخ سابق مدة عامين عن التاريخ الذى أورده استاذنا العقيلى، وهو التاريخ العثمانى لسنوات الهجرة.

^(٢) العقيلى، المصدر السابق، ص ٥٦٣-٥٦٦، نقلنا الاسماء بتاريخ حكمهم، وبذلك يبلغ عددهم خمسة عشر والياً بما فيهم محمد رديف باشا، بينما يقول الاستاذ هاشم بن سعيد النعمى، عضو نادى أبها الأدبى، فى تقريره لكتاب "أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالى باشا" ليوסף العارف: إن عددهم واحد وعشرون والياً، تعاقبوا الحكم المباشر فى عسير على مدى ٤٧ عاماً (ماين ١٢٨٩هـ - ١٣٣٦هـ) وأورد ابن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٧ أسماء سبعة عشر والياً، ابتداء من احمد فيضى باشا، من بينهم من تولاه بالنيابة أو الوكالة، دون تحديد تواريخ الحكم كل منهم، لكن بعضهم ورد اسمه فى الوثائق العثمانية، مثل الفريق عمر باشا الذى عين متصرفاً على عسير بتاريخ ٣ صفر ١٣٠٥هـ، وسليمان بك الذى رفع إلى رتبة "ميراميران" باشا، وعين فى ٢٢ ذى الحجة ١٣٠٦هـ، وهو المكى بسليمان باشا أبو غنم، وعزل فى ١٦ صفر عام ١٣٠٨هـ، كما أنه وردت تعيينات لبعضهم لم يرد لهم ذكر فى القائمتين مثل تعيين آصف باشا متصرفاً بتاريخ ٤ ربيع الأول ١٣١٢هـ.

ومع أن معظم هؤلاء الولاة كان يتسم بالكبرياء والغطرسة، والقسوة والعنف، إلا أنهم كانوا يسعون إلى إيجاد نوع من الترتيبات تساعد على استقرار الأوضاع، وتوطيد نفوذ الدولة، وقد تمخضت هذه الترتيبات عن جعل عسير متصرفية مستقلة عن تدخل أشرف مكة المكرمة في إدارتها، وكذا تدخل الوالى العثمانى فى اليمن، سواء كان فى صنعاء، أو الحديدة، وتم ذلك فى بداية عهد الوالى أحمد فيضى باشا^(١) بينما كانت قبل ذلك مرتبطة بولاية مكة^(٢) وكانت هناك بعض المتصرفيات التى نُص عليها فى القانون الأساسى بأن تكون مستقلة وتابعة رأساً إلى الباب العالى، وهى: جبل لبنان، والقلس، ودير الزور، وبنغازى (ليبيا) أما عسير فلم يُنص عليها، لكن ولاتها سعوا حتى جعلوها مرتبطة رأساً بنظارة (وزارة) الداخلية بالأستانة، وكانوا يكتبون نظارة الداخلية أو الحربية رأساً، والنظارة ترد عليهم مباشرة، دون مرور تلك المكاتبات على الإدارة العثمانية فى مكة أو صنعاء.

ومذكرات الوالى العثمانى فى عسير، سليمان شفيق كمالى باشا، تعطينا صورة واضحة عن الأوضاع التى كانت تعيشها عسير، وسط التيارات المتصارعة لتسريب النفوذ إليها، من الشمال أو الجنوب، وكذا

(١) ابن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٢) اسماعيل حقى، المصدر السابق، ص ١٧٨، حيث قال: إن الشريف عبد الله بن محمد بن عون (١٢٧٤هـ - ١٢٩٤هـ) نجح فى ان يجعل من عسير سنجقاً مرتبطاً بالدولة بشكل جيد، عن طريق الإمارة بمكة المكرمة.

الثورة الإدريسية ضد الأتراك فى عسير، وما أحاط ذلك من مؤثرات على الساحة المحلية، أو الدولية، قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى.

فالمذكرات^(١) تؤكد أن عسير كانت متصرفية مستقلة، من خلال ماعرضه المتصرف سليمان كمالى باشا من وقائع وأحداث عايشها، وشارك فى صنعها، أو أحداث فرضت عليه، محليه أو دولية، ومن دلائل استقلاليتها فيما يرويه فى تلك المذكرات الآتى:

١- أن مكابته رأساً إلى كل من وزير الداخلية، والحريية فى الأستانة، دون وسيط، أو دون الرجوع إلى رئاسة عثمانية مباشرة له فى المنطقة، ثم مكاتباتهما إليه، دون وسيط أيضاً يؤكد أنه مستقل عن أية رئاسة فى المنطقة، والمتصرفية التى يديرها هى أيضاً مستقلة^(٢).

٢- انتقاداته للشريف حسين بن على، ملك الحجاز السابق فى محاولاته مد عينيه إلى عسير منذ عام ١٩٠٨م^(٣) والتدخل فى شئونها، وفى إحدى حواراتهما معاً قال له: تعلمون أننى هنا

^(١) اعتمدنا على نسخة مطبوعة من هذه المذكرات، بتعليق أستاذنا محمد بن أحمد العقيلي، طباعة نادى أبها الأدبى، عام ١٩٨٤هـ/١٩٨٤م.

^(٢) انظر المذكرات الصفحات: ٣٨، ٣٧، ٦٠، ١٠٨، ١٠٩، ١٣٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٩، وغيرها
^(٣) أى منذ تعيينه أميراً على مكة ١٣٢٦هـ، وكان فى السادسة والخمسين من عمره، وكان مقيماً فى الأستانة، عضو مجلس شورى الدولة، وهو حفيد الشريف محمد بن عون، وهو آخر من حكم من الأشراف فى الحجاز، فقد سعد عداوته مع الحكام العرب فى المنطقة، وبخاصة الملك عبد العزيز، توفى يوم ٤ يونيو عام ١٩٣١م.

أمثل الحكومة (يقصد الحكومة العثمانية) والقوة العسكرية على استقلال، وأنا المسئول عن كل خير أو شر يقع فى هذه البلاد. ثم كتب إلى كل من وزارة الداخلية والخريفة بأن يعملوا على كف يد الشريف حسين عن عسير^(١).

٣- كما يشير إلى أنه لم تكن له علاقة رئاسية مع قائد عام القوات العسكرية فى اليمن عزت باشا، وأن ظروف الثورة الإدريسية هى التى جعلته يتدخل إلى حد ما فى شئون عسير لقمع تلك الثورة بناء على تكليف من الرئاسة فى الاستانة، ومع ذلك فإن عزت باشا كان يتصرف دون إيجاد تنسيق مسبق مع المسئول عن عسير، ولذا هزمت حملته فى المرة الأولى، وكذلك لم يحدث تنسيق بين عزت باشا والشريف حسين، ويقول عقب هزيمة الحملة التى أرسلها عزت باشا إلى جيزان، كتبت "تلغرافاً" فى الحال شديد اللهجة إلى محمود شوكت باشا وزير الخريفة، ذكرت فيه الغلطات التى ارتكبت فى التحركات العسكرية التى أرسلها عزت باشا، ورجوته أن يأمر القيادة العامة العثمانية فى اليمن بأن تطلعنى على مثل ذلك فى المستقبل. ومع ذلك أرسل عزت باشا حملة أخرى من الحديد إلى جيزان دون أن يشعرنى بها مسبقاً، بصفة رسمية، فأدهشنى هذا الإهمال^(٢) ومنه يتضح

(١) انظر المذكرات: ص ٢٦، ٣١، ٣٢، ٥١، ٧٦، ٧٧، ٨٣، ٨٥.

(٢) انظر: ص ٩، ١٠، ١٢، ١٧.

أن العلاقة بينهما يعترئها الجفاء، ولم تكن علاقة رئيس بمروؤسيه
إن توهم أحد ذلك.

كما أن صاحب المذكرات انتقد صلح دعان الذى وقعه عزت باشا
مع إمام صنعاء عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) لأنها أعطت الامام سلطة لبسط
نفوذه على جميع الأراضى التى يقطنها زيديون، ولم تفرق بين أنصاره
والمناوئين له، الخارجين عن سلطته ذاك الوقت. كبنى جماعة اليمينين،
برئاسة السيد الحسن بن يحيى القاسمى المنافس للامام يحيى على منصب
الإمامة، وأقام إمارة صغيرة على أرض بنى جماعة بأرض باقم من القسم
الجبلى، فيما بين صعدة شمالاً والحرجة جنوباً، ولقب نفسه بالهادى لدين
الله، وكان يوالى العثمانيين^(١).

أقضية ونواح المتصرفية

كان من أثر الترتيبات الإدارية المتتالية، والتى كانت تهدف إلى ايجاد
نوع من الاستقرار، وتوطيد النفوذ، هو تقسيم المتصرفية إلى عدة أقضية،
أو نواح، وكل قضاء إلى عدة بلدان وبنادر، روعى فيها الأصول
العشائرية، والقبلية، والتوافق بين سكان كل ناحية، وقرب المواطن بعضها
من بعض، وغير ذلك من اعتبارات. وتكونت المتصرفية من الأقضية الآتية:

^(١) انظر المذكرات، ص ١٧٧.

١- قضاء القنفذة، يضم ماحولها من بلدان، وقاعدته: القنفذة.

٢- قضاء محايل، وبارق، وقنا، وقاعدته: محايل.

٣- قضاء رجال المع، وقاعدته: الشعيين.

٤- قضاء رجال الحجر، وقاعدته: النماص.

٥- قضاء غامد وزهران، وقاعدته، أولاً: الظفير، التى تقع جنوب شرقى الباحة بحوالى كيلو متر، وبعد فترة أخذت بلدة "رغدان" ثم أعيدت إلى الظفير فى ٢٨ ذو الحجة ١٣٠٦هـ.

٦- قضاء جازان، وصيبا، وأبو عريش، وقاعدته: صيبا^(١)، وبعض الوثائق أطلقت عليه "قضاء أبو عريش" فى بعض الفترات.

٧- ثم أنشئ قضاء فى بنى شهر، وضُمت له بيشة^(٢).

(١) للمسفر، للمصدر السابق، ص ١٠٦، وبعض الوثائق العثمانية.

(٢) للمذكرات، ص ١٧٩، ٥٢، ٥١، وذكرت الوثائق العثمانية أسماء بعض من عينوا حكماً على تلك الأقضية منهم من هو من أهل البلاد، ومنهم من هو من خارجها. وذلك عند تعيينهم عليها، وكان تعيينهم يصدر بقرار من وزارة الداخلية فى الأمثلة بناء على ترشيح وتركية متصرف عسير.

ومما يلاحظ أن ناحية ميدى، وقبائل بنى مروان الجنوب، ظلت تابعة إلى قضاء أبو عريش، ثم أضيفت إلى قضاء اللحية فى أول ذى الحجة عام ١٣٢٨هـ^(١).

ونظراً للاهتمام بالثغور الساحلية للمتصرفية، وإحكام السيطرة على الموانئ، فقد تم تأسيس دائرة جمركية فى ثغر "الوسم" القحمة فى ١٧ صفر ١٣٠٥هـ، لتحصيل الرسوم الجمركية على البضائع الواردة إليها، ومنع دخول المواد المنوع استيرادها^(٢) وذلك بالإضافة إلى الموانئ الأخرى للمتصرفية مثل القنفذة، والشقيق، واليرك، قوز الجعافرة، المضاي، تعث، القرنية، العربية، الموسم، وهى على الحدود الجنوبية مع اليمن، وكانت تعرف قديماً باسم "الشرجة" غير أن معظم هذه الموانئ لاتعمل، ولاتستقبل إلا السفن أو المراكب الصغيرة.

وكانت الحدود الجنوبية للمتصرفية قد تراجعت شمالاً فى بعض الأماكن، بالنسبة لما كان عليه الوضع فيما مضى، خلال عهد الدولة السعودية الأولى، وأيضاً خلال إدارة على بن حيدر، وابنه حسين^(٣) وربما

^(١) ورد ذلك فى وثيقة، تحمل أمراً من وزارة الداخلية بالأستانة برقم وتاريخ ١ ذى الحجة ١٣٢٨هـ/١، إرادة داخلية.

^(٢) وثيقة بالارشيف العثمانى، بالملف رقم (٤٦٦٢) إرادة مجلس شورى الدولة، رقم (٥٢٣٥) بتاريخ ١٧ صفر ١٣٠٥هـ، وأوردها الزركلى فى كتابه "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز" ج ٢، ص ٣٤٠ "الوسم" بالشين بدل السين.

^(٣) أوضحنا ذلك خلال السرد التاريخى للمنطقة.

يعود ذلك إلى الترتيبات الادارية للولاية العثمانية فى المنطقة، أثناء حكمهم المباشر لها، مما كان يستدعى أحياناً إضافة بلدان إلى إدارة معينة لإحكام السيطرة عليها، ولا أدلّ على ذلك من أن بلدان الواعظات، وميدى، وحرص ظلت عدة قرون مرتبطة بأبو عريش كناحية من نواحيها، ثم أضيفت عام ١٣٢٨هـ إلى قضاء اللحية، كما سبق أن ذكرنا. وكذا بعض المناطق الأخرى كوعار، وعقبة نهركة وغيرها، وكما يقول البركاتى فى الرحلة اليمنية عن عسير: يحده من جهة الجبل (أى السراة) جنوباً، حدود صعدة^(١) وفى عهد الادريسى امتدت الحدود جنوباً إلى الحديدة وغيرها، كما سنعرفه فيما بعد.

ومما يلاحظ أن المتصرف سليمان كمالى باشا أبدى وجهة نظره بالنسبة لسوء الإدارة فى الدولة العثمانية، سواء فى السلطة العليا للدولة، أو على مستوى الولاية عند إدارتهم للولايات والمتصرفيات، فيقول: إن العواقب الأليمة التى وصلت إليها الدولة العثمانية، كان سببها التمسك الشديد بطريقة الحكم المركزى، والإعراض عن طريقة الحكم اللامركزى، فلم تدرس الدولة يوماً ما شيئاً من أسباب وعوامل الثورات الداخلية (فى الولايات والمتصرفيات) ولا استعملت للداء دواء، وكانت تعتمد فى كل وقت إلى قمع كل حركة بالقوة القاهرة، وإذا حدث حادث فى إحدى الولايات، ووردت البلاغات به إلى العاصمة، كانت العاصمة تماطل الأمر

(١) نقله عنه الزركلى فى كتابه "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز" ج ٢، ص ٥٣٢.

باستعلامات لالزوم لها، وتعرض عن آراء الموظفين المحليين، وترسم من عندها الخطط المحكوم عليها بالعقم، والمؤدية إلى الخسران فى أكثر الأحوال^(١) ويقول: إن الدولة العثمانية التى احتلت عسير منذ أربعين عاماً، اكتفت بأن اتخذت لنفسها بضعة مراكز عسكرية، وكانت صلتها بالأهالى مقصورة على قيامها ببعض الحركات العسكرية، بين حين وآخر لجباية الزكاة، أما اختلافات الأهالى فيما بينهم فكانت الحكومة فى معزل عنها، وبالألسف! فكان الناس يرون أنهم لاحكومة لهم، وأنهم مسلوبو الراحة، والأمن العام، وهم ينتظرون الفرغ بظهور رجل مصلح يتولى فيهم أمر الحكم^(٢).

ويقول: إن الدولة لم تصنع فى بلاد عسير شيئاً غير تحصيل الزكاة من الأهالى، بين حين وآخر، ولم تفكر قط فى إيجاد أسباب العمران لإحياء هذه الجهات، ولم تتذرع بشئ من ورائه نفع للأهالى، وليس لها برنامج معين يسير عليه رجالها وموظفوها الذين يأتون إلى هذه البلاد، وهم لم يستطيعوا أن يفهموا الأمور التى يحتاج الشعب إليها، ولم يدرسوا أسباب ثورة الأهالى وتمردهم على الدولة، وهم لم يستطيعوا أن يقرروا

(١) المذكرات، ص ١٨٢، وهذه المذكرات كانت قد نشرتها جريدة الأهرام القاهرية، خلال الفترة من ربيع الثانى ١٣٤٣هـ حتى جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ (فبراير ١٩٢٤م/يناير ١٩٢٥م) ثم أعاد نشرها شيخنا حمد الجاسر فى مجلة العرب خلال الفترة من ربيع الأول ١٣٩١هـ حتى ربيع الثانى ١٣٩٣هـ (مايو ١٩٧١م/مايو ١٩٧٢م) ثم طبعها أخيراً نادى أبها الأدبى، بتعليق أستاذنا محمد بن أحمد العقيلى.

(٢) المذكرات، ص ٣٤.

الأمن، بل تركوا الناس وشأنهم يحارب بعضهم بعضاً، والحكومة واقفة تتفرج عليهم^(١).

ويبرر نجاح الإدريسي بأنه اكتشف حاجة الناس لمن يصلح فيما بينهم، فانتهاز هذه الفرصة، مرتدياً رداء الزهد والتقوى، ونجح في استمالة القبائل، واكتسب شهرة وتأيداً واسعاً من الأهالي، ونال ما كان ينشده من نفوذ سياسى، استغله في تكوين إمارة، على حساب النفوذ العثماني في المنطقة.

ولاريب أن هذا هو رأيه الشخصى فى الادريسي، وهو رأى مشوب بعدم الإنصاف والنزاهة، نظراً لما كان بينهما من تنافس وعداوة سياسية.

^(١) المذكرات، ص ١١٩.

الفصل الثانى

إمارة الأدارسة فى تهامة

نسب الأدارسة

يعود أدارسة تهامة فى نسبهم إلى جدهم أحمد بن إدريس، المولود عام ١١٧٣هـ (١٧٥٩م) ببلدة "العرائش" من أعمال فاس بالمغرب^(١) والذى يرتقى بنسبه إلى إدريس بن عبد الله (المحض) ابن الحسن بن الحسن ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم^(٢) وكان إدريس بن عبد الله

^(١) العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٢٠، وقال: "بلدة العرائش من أعمال القيروان". غير أن بلدة القيروان المشهورة تاريخياً، والتي بناها الصحابي عقبه بن نافع عام ٦٧٠م (٥٠هـ) تقع فى تونس، وليس فى المغرب، وقد اتخذها الفاطميون عاصمة لهم عام ٩٠٩م، قبل القاهرة، أما فاس فهى إحدى المدن الشهيرة بالمغرب، واتخذها بعض الأسر التي حكمت المغرب عاصمة لهم من القرن الثامن الميلادى حتى التاسع عشر، وبلغت أوج عظمتها فى عهد بنى مرين خلال القرن الثالث عشر والرابع عشر الميلادى، وبها جامعة القرويين التى تعد من أقدم الجامعات الاسلامية. وظلت فترة طويلة مقراً لأدارسة المغرب، ومنها توزعوا فى كثير من الأقطار. ويقول الزركلى "شبه الجزيرة فى عهد الملك عبد العزيز، ٥٢٩ إنه ولد بقرية "ميسور" بفاس.

^(٢) أرجع الزركلى، للمصدر السابق، ص٥٢٩ نسبه إلى عبد الله المحض، ثم قال: ... من نسل الحسين، والصواب أن عبد الله المحض من نسل الحسن بن على بن أبى طالب، انظر ابن حزم، الجمهرة، ص٤٥.

(المحض) قد فرّ إلى المغرب فى عهد أبى جعفر المنصور، وأقام بها وكثرت ذريته فيها، وأقاموا لهم حكماً بها.

درس أحمد بن إدريس على أيدى متصوفة المغرب، فتأثر بهم، ونهج منهجهم فى الصوفية^(١) ثم قدم إلى مكة المكرمة للحج عام ١٢١٤هـ فجاور بها^(٢) ثم جلس للوعظ والتدريس، فهو شافعى المذهب، ويدلو أنه كان بارعاً فى التأثير على سامعيه، فالتف حوله الكثيرون وكان ممن أعجبوا به عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، من علماء "زيد" والذى تولى القضاء فيها ثم فى الحديدة^(٣) فدعاه لزيارة زيد، فخرج من مكة المكرمة قاصداً زيد والحديدة، فركب من مرفأ "الليث" مسافراً عن طريق البحر، ثم عرّج على "جازان" ومنها واصل سيره إلى "زيد" فوصلها عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م) فتلقاه تلميذه عبد الرحمن الأهدل بالترحيب والاكرام، فأقام بها حوالى عامين، قضاهما فى التدريس والوعظ

(١) كان من بين مشايخه فى الصوفية: الشيخ عبد الوهاب التازى، والشيخ أحمد المجلدى، وغيرهما ممن كانوا على منهج الشاذلية، أما هو فسمى طريقته "الأحمدية" على اسمه، وهى على غلط الشاذلية، كما كان من تلاميذته فيما بعد الشيخ أحمد السنوسى من المغرب، وطريقته "السنوسية" والسيد على المرغنى من السودان.

(٢) لاحظ أن هناك ارتباكاً فى أقوال من ترجموا له، فالبعض قال: إنه خرج من وطنه إلى مكة المكرمة رأساً، والبعض قال: إنه ذهب إلى صعيد مصر فأقام فترة ثم قدم إلى مكة، وبالنسبة لمدة إقامته فى مكة المكرمة: البعض قال: أقام بها ثلاثين عاماً، ثم ذهب إلى مصر فأقام بها خمس سنين، ثم عاد إلى مكة فأقام بها اثني عشر عاماً، ثم توجه إلى زيد عام ١٢٤٣هـ (١٨٢٧م). وهو أمر غير صحيح حسابياً. فبين خروجه من وطنه، ووصوله إلى زيد هو ٢٩ عاماً، وهى مجموع الفترة الزمنية التى قضاهما فى مكة المكرمة، ومصر.

(٣) آل الأهدل من أعيان وعلماء زيد والحديدة وماحولهما، توفى عبد الرحمن الأهدل عام ١٢٥٠هـ، من مؤلفاته: النفس اليماني والروح الريحاني فى إجازة القضاء بنى الشوكاني.

والإرشاد، وكان يخرج إلى بوادى ونواحي زبيد، وإلى المخا، وموزع، وأقبل إليه الطلاب من الحديدة، وبيت الفقيه، وتعز، ووصاب. ثم زار الحديدة، ومراوغه، وباجل، ثم ارتحل إلى مدينة "صيا" فوصلها فى شهر رمضان عام ١٢٤٥هـ (١٨٢٩م) فأقام بها إلى أن توفى ليلة السبت ٢١ رجب ١٢٥٣هـ (١٨٣٧م) فقُبر بها. ويقول الريماني: شيع إلى قبره، ولم ييغ السيادة على أحد من الناس، ولم يكن على ما أظن يحلم. ثُلُكُ إدريسى فى البلاد العربية أو خارجها^(١).

هذا هو الجانب التاريخى من حياة جد الأدارسة، الذى قدم إلى المنطقة ليثبت فيها فكره، ويدع على أرضها ذريته، التى سطع نجمها فى سمائها، أما الجانب المنهجى فى فكره، المتمثل فى نزعه الصوفية فله موضع آخر لنناقشته كفكر عقائدى جنح بمريديه عن جوهر الدين الاسلامى الحق، الذى حُدِّد إطاره بين الأديان الأخرى بالوسطية، وانعدام الوساطة بين العبد وخالقه.

وأيّاً ماكان فإن وقع الأحداث كان سريعاً ومتلاحقاً، إبان الفترة التى قدم فيها الشيخ إلى مكة المكرمة لأداء الفريضة عام ١٢١٤هـ، فقد كان نفوذ الدولة السعودية الأولى قد امتد إلى الحجاز، مع ماصاحبه من

^(١) ملوك العرب، ص ٢٩٣-٣٠٣، وانظر فيما سبق، العقيلى، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٢٠-٦٢٤، والزركلى، المصدر السابق، ص ٥٢٩، والواسع، ص ١٢٤، ١٢٥، وقال: إنه توفى وعمره ينوف على ٧٠ عاماً، والصواب: ٨٠ عاماً. فقد ولد عام ١١٧٣، وتوفى عام ١٢٥٣هـ. وانظر أيضاً، د. أباطة، المصدر السابق، ص ١٩٣-١٩٥.

إنكار لما درج عليه الناس، من بدع وخرافات، والمناداة بالعودة لما كان عليه السلف، مما كان له مردود متباين فى العالم الاسلامى، بين مؤيد ورافض، وتوافق أن قدم القائد السعودى الكبير، سعود ابن الامام عبد العزيز، لآداء فريضة الحج موسم ذاك العام (١٢١٤هـ) وبرفته جمع غفير من أهل نجد والأحساء والبرادى وغيرهم، وكانت حفته حافلة بالشوكة^(١) وإظهار المنعة والعزة الإسلامية.

ولاشك أن الإدريسى قد شاهد بعينه - ذاك الموسم - هذه الشوكة، واطلع على ماخلف هذا المد الاشعاعى الجديد، وأنه حرب على الصوفية والمتصوفة، وكان حريّ به أن يدع مكة لأهلها ويعود إلى موطنه فى نهاية الموسم، لو كان يخشى على نفسه أو مبادئه، لكنه استمر فيها فترة طويلة، ويبدو أنه خفف من مبادئه، وشغل نفسه بعلوم التفسير والسيرة النبوية^(٢) وتجنب الانخراط فى التيارات الساسية، ولم يثبت عليه أنه أبدى رأياً، أو فتوى، أو شارك فى شئ معاد للدعوة السلفية، كبعض علماء مكة، أمثال ابن عبد الشكور، وأحمد زينى دحلان^(٣) بالرغم من أنه ظل بمكة المكرمة حتى شاهد قوات محمد على باشا وهى تحارب قوات الدولة السعودية الأولى. بل نراه عندما ذهب إلى تهامة، واستقر به المطاف فى "صيبا" وكانت يومئذ ضمن إمارة عسير، تحت رئاسة الأمير على بن مجثل، وهو

(١) ابن بشر، ج١، ص ٢٥٥.

(٢) العقيلى، المصادر السابق، ج٢، ص ٦٢، نقلاً عما كتبه تلميذ الإدريسى، الشيخ حسن بن أحمد بن عاكش.

(٣) وما ذكره الواسع، ص ١٢٥ فيبدو أنه مجرد تخمين، حيث لم يعط دليلاً على ذلك. ولاسنداً له.

موالٍ للسعوديين ومناصر للدعوة السلفية^(١) فقابله ابن مجثل بالترحيب، وأعطاه قدره من التكريم، وخصص له راتباً^(٢) إلى أن توفى بها بعد سبع سنين تقريباً. وهذا يدل على إعتداله، وتجنبه الانخراط فى السياسة.

ثم خلفه فى طريقته ابنه محمد، ولم يتسم بالنشاط والحيوية، فقد كان حاملاً، ذهب إلى الحديدة وأقام بها، ولم يعد إلى صيبا إلا قبل وفاته بثمانية أيام، حيث توفى بها يوم ٢٣ رجب ١٣٠٦هـ (١٨٧٧م) تاركاً ولدين: على وعبد المتعال^(٣).

فخلفه ابنه على بن محمد بن أحمد، الذى كان قليل الاختلاط بالناس، كثير العزلة، حتى توفى يوم ١٧ الحجة ١٣٢٤هـ (١٩٠٥م) تاركاً أربعة أبناء: محمد، الحسن، أحمد، الحسين. وقد توفى الأخيران فى أول حركة أخيهما^(٤).

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٣٥.

(٢) ابن مسفر، المصدر السابق، ص ١٠٩.

(٣) ذهب عبد المتعال بن محمد ابن الشيخ أحمد، إلى الزينة بالأحقر بمصر، فتزوج من أقربائه فيها، وأنجب عدة أولاد، سافر بعضهم إلى المغرب فتزوجوا من بيت السنوسى هناك، وأقاموا فى القيروان، وعاد بعضهم إلى عسیر فى عهد إمارة ابن عمهم محمد، منهم: مصطفى، والسيد السنوسى، والسيد العربى أبناء عبد المتعال. انظر: الریحاني، المصدر السابق، ص ٣١٤.

(٤) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٢٤، ٦٢٥.

الأمير محمد بن علي الإدريسي

الأمير محمد بن علي الإدريسي، هو أول من أسس إمارة للأدارة في تهامة، ولد في صبياء عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) ونشأ بها، وتلقى تعليمه الأولى فيها، وفي أبو عريش، ثم رغب في السفر إلى القاهرة ليستكمل دراسته في الأزهر فانتقل من صبياء إلى مصوع بأرتيريا، ومنها ركب البحر إلى جدة فأدى فريضة الحج عام ١٣١٣هـ (١٨٩٥م) وبعد الموسم واصل سفره إلى القاهرة، فدرس في الأزهر، وبعد ذلك رحل إلى بلدة "كفرة" بالمغرب فقرأ على السيد السنوسي، ومنها انتقل إلى السوان فأقام في "أرجو" بدقلة، وتزوج بابتة هارون الطويل، فأنجبت له ابنة علي، ولما عزم على العودة من رحلته العلمية إلى موطنه صبياء، مرّ بالقاهرة، والتقى فيها بمحمد علي علوي، المترجم بالسفارة الإيطالية، وكان يعرفه من قبل، فأغراه للقيام بدور سياسي في المنطقة ضد العثمانيين، لصالح إيطاليا، ولصالح نفسه أولاً وأخيراً، ويبدو أن هذا العرض قد وقع من نفسه الطموحة موقعاً جميلاً^(١).

(١) الريحاني، المصدر السابق، ص ٣١٥، ٣١٦، والعقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٢٦، ٦٢٧، والواسعي، المصدر السابق، ص ١٢٦، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ١٩٦، ١٩٧، ود. سالم، المصدر السابق، ص ١٧١، ١٧٢، منتقداً الرواية التي أوردها الواسعي عن كيفية اتصال الإدريسي بالإيطاليين، ومعبداً أن الاتصال تم عن طريق بعض التجار أو اتباع المخلصين لكلا الطرفين، وعلى كل فيحوز أن يكون أول اتصال قد تم بين الطرفين في القاهرة عن طريق محمد علي علوي المترجم، ثم سافر الإدريسي إلى صبياء ليقوم بدوره، على أن يتم الاتصال بصفة مستمرة بعد ذلك عن طريق بعض هؤلاء التجار.

كان ذلك الاتصال السياسى عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) والإدريسى فى طريقه إلى صيبا، بعد رحلة استغرقت حوالى أحد عشر عاماً، اكتسب خلالها علماً، وحنكة بأمور الحياة ومتطلباتها، ووسعت مداركه لاستيعاب القضايا والسياسة الدولية، ولذا استغل الفرص التى أتاحت له سياسياً أفضل استفلال، فوطد أقدامه.

كانت الدولة العثمانية قد بلغت أقصى تدهور لها، عقب الهزائم التى منيت بها فى شرق أوروبا، وأمام روسيا القيصرية، وفقدت أملاكها فى البلقان، بالإضافة إلى القلاقل الداخلية، خلال العهد الاستبدادى للسلطان عبد الحميد الثانى، والذى انتهى بأسقاطه عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) ويقرب أفول نجمها، وقد واكب ذلك قيام ثورات فى البلاد العربية ضد الحكم العثمانى، وخططت إيطاليا - التى كانت تحتل أثيوبيا فى ذاك الوقت - للاستيلاء على آخر أملاك الدولة العثمانية فى غرب أفريقيا، وهى "طرابلس الغرب" ليبيا حالياً.

وكان العثمانيون فى المنطقة يحكمون حيثما يستطيعون، ويستغفون رؤساء القبائل والعشائر بمشاهرات لا يدفعون منها غير اليسير، فيزيد ذلك ثائرة القبائل، وانقلب عليهم الطامعون عندما لمسوا عجزهم، وانتقل الصراع بين القبائل نفسها، وشاهد الإدريسى هؤلاء وأولئك فاستفاد

منهم جميعاً. واستعان بزعيم على الآخر حتى ساد أكثرهم، فأصبحوا
أنصاره^(١).

وبادئ ذي بدء ففى طريقه إلى موطنه صيبا نزل بالحديدة، ويقال إن
الحكومة العثمانية قد خامرها الشك حول اتصالاته بإيطاليا، فجعلت
ترصده، لكنه كان على جانب كبير من حصافة الرأى، وبُعد النظر بحيث
استطاع أن يضلل عيونها، ويبدد ماحوله من شكوك، فنزل فى مسجد
جده فى أطراف الحديدة، وانصرف لشئون العبادة حتى فتر حماسهم فى
ترصدهم لحركاته، وبعد أن اطمأن لعدم ترصده، وطمأنهم على حسن
مسلكه انطلق إلى صيبا، إلى أهله وذويه^(٢) ثم كانت الاتصالات بينه وبين
الحكومة الإيطالية بواسطة كل من: محمد سالم المصوعى، وطاهر
الشنيتى، التاجران الشهيران فى المنطقة^(٣) حيث تزدد تجارتها على موانئ
تهامة، وخاصة بين قوز الجعافرة ومصوع الأريتيرى، وكان لإيطاليا
أسطول بحرى جاثم فى مينائه، ولديهم دراية ومعرفة كاملة بأحوال المناطق
الساحلية فى بلاد العرب.

(١) الريحانى، المصدر السابق، ص ٣١٦.

(٢) كان قد ترك زوجته عند أبيها فى السودان، وعاد بمفرده، وبعد أن استقر به المقام فى صيبا بعث من أحضرها
هى وولده علي.

(٣) العقيلي، المصدر السابق، ص ٦٢٩، والراسعى، المصدر السابق، ١٢٦.

استقر به المقام فى صبيها بداية عام ١٣٢٥هـ (١٩٠٧م) وكانت المنطقة بما فيها اليمن تخرج بالفن والاضطرابات، لعوامل عدة يرتبط بعضها ببعض، منها الداخلى والحاجى، التى أشرنا إلى بعضها فيما سبق.

كان الوضع الإدارى والسياسى فى المنطقة حين قدوم الإدريسى على الوجه الآتى:

- متصرفية عسير، مستقلة إدارياً، يديرها والى عثمانى "متصرف" خاضع مباشرة لوزارة الداخلية فى الأستانة، وتضم كافة بلدان ومناطق عسير، وتهامة عسير، وقضاء أبو عريش بتوابعه، جنوباً حتى جنوب ميدى وحررض، وفى الجنوب الشرقى وُعار، وعقبة نهوقة، بما فيه جبال رازح، ومنبه والعرو، وبنى جماعة، وسحار وغيرها.

- تهامة اليمن وقسم من المنطقة الجبلية بما فيه صنعاء، تحت الحكم المباشر للدولة العثمانية، يديره والى عثمانى خاضع لوزارة الداخلية فى الأستانة، وأحياناً لوزارة الحربية، ويطلق عليه والى اليمن، وأحياناً أخرى كان يطلق عليه "حاكم عام اليمن" وكانت أرض اليمن مقسمة إلى عدة ألوية وأقضية، أقربها إلى منطقتنا المعنية بالدارسة قضاء اللحية، التابع للواء الحديدة، وكان لواء الحديدة يتميز بوضع خاص.

• - قسم من المنطقة الجبلية، فى الشمال والشرق، وبالأخص التى تقطنها غالبية زيدية، تخضع لنفوذ الإمام وإدارته المباشرة، وكثير من الأئمة كان يعترف رسمياً بسلطة الدولة الإسمية، دون قبول التدخل منها فى إدارة المناطق الخاضعة لنفوذه فى بعض الجبال، والمفاوضات التى كانت تدور بين الطرفين فى بعض الأحيان، ومنها اتفاق "دعان" عام ١٩١١م، كان يدور حول هذا المبدأ، وتحديد نفوذ كل طرف فى المنطقة الجبلية^(١).

كان متصرف عسير حين قدم الإدريسى إلى صبياء عام ١٣٢٥هـ، هو كاظم باشا الذى عُيِّن متصرفاً لعسير فى بداية العام نفسه بدلاً من تحسين باشا، ولما بدأ الإدريسى يتصل بالقبائل، ويعمل على الإصلاح فيما بينها، ويث من خلال ذلك نزع العدا للولة العثمانية، ويُعدّهم للقيام بالثورة عليها، والعمل على طردهم من بلاد العرب، أحست الدولة بخطرته، واتهمت كاظم باشا بالتهاون معه منذ البداية، وعزلته، وعينت سليمان كمالى باشا بدلاً منه، ويبدو أن كاظم باشا إستاء من قرار عزله واتهامه بالتقصير، فقرر ترك مقر عمله فى المتصرفية وغادرها قبل حضور

^(١) بعض الوثائق فى الأرشيف العثمانى تشير إلى هذه التنظيمات الادارية، وتوضيح حدود المتصرفيات والألوية، منها: إرادة داخلية، برقم ٦٤٥٥٣ بتاريخ ١٨ الحجة ١٢٩٦هـ، وإرادة مجلس شورى الدولة، رقم ٢٩٢٤ بتاريخ ٢٨ الحجة ١٢٩٧هـ، وإرادة داخلية برقم ٤٩١٥ بتاريخ ٢٩ شوال ١٣١١هـ، وإرادة داخلية رقم ٥٢٧٣ بتاريخ ١٣٢٣هـ، ورقم ٥٢٧٤ بتاريخ ٣ صفر ١٣٢٣هـ، ورقم ٥٤١٦ بتاريخ ٢٦ شعبان ١٣٢٨هـ وغيرها.

سليمان كمالي، ليقوم رسمياً بتسليمها إليه كما هو متبع. ويدلو أنه استشار أمير مكة قبل مغادرته مقر عمله، فأشار عليه الشريف حسين باصدار أمر داخلى منه بتعيين عبد الله بن عايش وكيلاً له، وتسليم الشؤون الادارية فى المتصرفية إليه والشؤون العسكرية لحيدر بك، وإخلاء مسئوليته بذلك، ووعده بالتدخل لدى الباب العالى، ووزارة الداخلية بالأستانة، لاستصدار الموافقة اللازمة على تعيين ابن عايش فى هذا المنصب .. ولذا نلاحظ أن المتصرف الجديد سليمان كمالي، كان قد سعى قبل حضوره فى إحداث هذا المنصب، وفتح فى ذلك الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) ووزير الداخلية وغيرهما، حتى وافقوا على إحداث هذا المنصب فى المتصرفية، فلما قدم فوجى بابن عايش يشغله، حتى قبل إحداثه، وتقرير راتب واعتمادات له، فسأل حتى عرف الحقيقة، فعجب من تدخل الشريف حسين فى شؤون عسير^(١).

إن الظروف التى كانت تمر بها المنطقة، والدولة العثمانية بصفة عامة، قد ساعدت الإداريسى على فرض شخصيته على المنطقة، والتفت حوله القبائل والبلدان على أمل أن يخلصها من قبضة الدولة العثمانية، وظلم ولائها، وسوء معاملتهم لأهل البلاد، ولم تكن الظروف وحدها هى التى خدمته، بل إنه هو الذى طوعها لخدمته، فقد كان ذكياً داهية،

(١) المذكرات، ص ٣١.

استعان على عدوه بكل ماحوله من خلافات، وزعامات، وصراعات دولية، ووظف كل ذلك لخدمة أهدافه^(١).

استمر مايقرب من عامين يمهّد لدوره حتى تمكن، فأعلن دعوته في ٣٠ ذو القعدة ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) فوفد إليه جمع غفير من رؤساء القبائل والبلدان في المخلاف لمبايعته، وإعلان الولاء له^(٢) فأصبح بذلك ذو سلطان شرعي.

وكان قد تمكن من تأمين خط موصلات إمداده بالمون والعتاد الحربى من حليفته ايطاليا عن طريق مينائى "مصروع" على الساحل الأترى و "قوز الجعافرة" على ساحل حازان، ثم إلى صيبا لتوزيعه على أتباعه بشكل دقيق، ورأى أن السهل الساحلى لتهامة عسير وحازان سهل الاكتساح من قبل القوات العثمانية، فيما لو نشبت الحرب بينهما، فعمل على إيجاد خط دفاعات له فى الجبال الشمالية الشرقية التى يصعب على القوات العثمانية اقتحامها بسهولة، لذا بث دعائه إلى تلك المناطق، فأقبل إليه أهل الجبال الجنوبية الشرقية، فدخلوا فى طاعته عام ١٣٢٧هـ (١٩٠٩م) وقدموا له الرهائن كما هى عادة القسم الجبلى فى اليمن، ودفعوا له الزكاة^(٣).

(١) الريحاني، المصدر السابق، ص ٣١٧.

(٢) العقيلي، المصدر السابق، ص ٦٤٢-٦٤٥، وسليمان كمالى، المصدر السابق، ص ٤٣.

(٣) العقيلي، المصدر السابق، ص ٦٥٨، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ٢٠٦، ٢٠٥.

ولما أدركت الدولة مقدار خطورته على مصالحها فى المنطقة، بدأت تبحث له الوفود للوقوف على مقاصده بالإضافة إلى ما كان يبذله متصرف عسير فى هذا المجال، للحد من نفوذ الادريسي بالتفاهم والوسائل السلمية. وكان من بينها وفد قدم من الأستانة برئاسة سعيد باشا، وبرفقته توفيق الأرنؤوطى، شيخ الطريقة الأحمدية بالأستانة، فوصل إلى جازان فى بداية عام ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) وتمكن الادريسي بلباقته من اقناع الوفد بحسن نواياه، وانتهت المفاوضات التى جرت بالحفاثر قرب جازان. بإبرام عهد واتفاق نص على الآتى:

١- أن يعترف الإدريسي بالتبعية العثمانية، وشرعيتها على المخلاف السليماني.

٢- أن يُمنح رتبة "قائمقام" ويقوم كموظف عثماني بشئون صبياء، وما يتبعها (أى من صامطه والموسم جنوباً إلى حليّ بن يعقوب شمالاً).

٣- يتعهد بتسهيل إجراءات مدّ سلك البرق "التلغراف" عبر المخلاف السليماني، لربط اليمن بالحجاز برقياً.

٤- أن يسمح للدولة باقامة مراكز جمركية فى موانئ المخلاف، وبعث مأمورين لها من قبلها.

٥- تتعهد الدولة بالغاء الضرائب، وتكفى بما تحصله من زكاة شرعية على الحاصلات الزراعية، والمواشى، وأن ينوب

الإدريسى عنها فى تحصيل الزكاة المقررة شرعاً، مقابل حصوله على ثلث مايقوم بتحصيله، لتغطية نفقاته، ونفقات إقامة جيش وطنى من أهل البلاد، لإقرار الأمن والأوضاع فى البلاد التى أصبح مسئولاً رسمياً عنها^(١).

وهى اتفاقية فى صالح الإدريسى بكل المعايير، فقد اعترفت به الدولة كشخصية قيادية فى المنطقة، وخرولته السلطات، وأكدت شرعية سلطته فى المنطقة، ومنحته رتبة "فائ مقام" اعترافاً منها بشخصيته وفوضته باقامة جيش وطنى من أهل البلاد. كما فوضته بتحصيل الزكاة، وأضافت إلى نفوذه قضاء رجال ألع، وكان قبل ذلك تابعاً لمتصرفية عسير أما من جهته فقد اعتبرها مكسباً ومغنماً، والخطوة الأولى على طريق تحقيق الطموحات. فقد سارع بإسالة نوابه على الجهات والبلاد التى تخضع لنفوذه بموجب هذه الاتفاقية. ولم يمكن الدولة من الإشراف على الجمارك بموائى المخلاف. وكان قد مدّ نفوذه قبلها إلى الحبال الجنوبية الشرقية، من بنى مالك حتى الظاهر، كما ذكرنا ذلك. وبعد هذا الاتفاق مدّ نفوذه إلى الجبال الشرقية أيضاً، بنى جماعة وسحار، وشذا، والعرو، والنظير. متغلغلاً إلى "هجرة فلة" كما امتدّ نفوذه إلى رازح من خولان السافلة، وأقبل إليه أهل هذه المواطن يعلنون له الولاء والطاعة دون إراقة نقطة دماء. وقام بزيارة معظم تلك المناطق فى شهر جمادى الأولى ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص٦٦٤-٦٦٧، ود. أباطة، المصدر السابق، ص٢٠٧، ٢٠٨، وسليمان كمال، المصدر السابق، ص٣٨.

وبذلك بلغ نفوذ الادريسي شرقاً إلى حدود "فللة عذر" وجنوباً إلى الظاهر، والشمال الشرقي إلى بلاد سحار.

كانت هذه المناطق تعتبر خاضعة اسمياً لنفوذ الدولة العثمانية، فيما عدا "هجرة فللة" التي كان يعتبرها إمام صنعاء خاضعة لنفوذه، لقربها من صعدة مركز الأئمة الزيدية، لذا عمل على استعادتها، بقوات تحت قيادة محمد أبو نيب، وكنل بالذين أعطوا الولاء للإدريسي. وعمل ترتيبات لايقاف زحف الادريسي إلى تلك الجهات.

واستمر نفوذ الادريسي في تلك الجهات شاملاً جبال ومناطق: منبه، والعرو، فيفا، بنى مالك، رازح السفلى. وفي عام ١٣٣٢هـ (١٩١٣م) حاولت قوات الإمام احتلال جبل "حُرم" كخطوة أولى للتقدم إلى رازح، غير أن قوات الادريسي ردتها على أعقابها، واستمر الوضع هكذا حتى عام ١٣٤١هـ (١٩٢٢م) حين تمكن الجيش المتوكل من احتلال جبل "القطير" ولم يفلح الادريسي في استعادته^(١).

أما في الجبهة الأخرى العثمانية، فبعد اتفاقية الحفاير مع سعيد باشا، ظلت الدولة تتحين الفرص للإيقاع به، لاسيما وأنه قام بتحريض قبائل المخلاف وعسير للقيام بثورة ضد القوات العثمانية في المتصرفية، ثم أصدر أوامره إليها أواخر شهر ذى القعدة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) بالتحرك لحصار

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٥٨-٦٦٢.

"أبها" قاعدة المتصرفية واستمر الحصار أكثر من سبعة أشهر، وقاد الشريف حسين حملة بتكليف من الدولة شاركت فى فك حصار أبها، وكان الثوار قد حاصروا أيضاً الحامية العثمانية التى كانت تقيم فى "عقبة شعار" واضطرتها إلى الاستسلام، واستحوذت على ما كان لديها من مؤن وذخائر^(١)، وأثناء ذلك تمكن أحمد شريف الخواجى، أكبر وأخطر معارضى الإدريسى^(٢) من الهرب من صيدا إلى الأستانة، وعرض قضيته على رجال الدولة، وما أصابه نتيجة إخلاصه لها، مما أثار عاطفتهم لمؤازرته، وصدرت أوامر الدولة بطلب حضور الإدريسى إلى العاصمة العثمانية بصفته أحد موظفيها للتحقيق معه، لكن الإدريسى امتنع عن السفر، لأنه يعرف الهدف من ورائها، فاعتبرته الدولة متمرداً رسمياً على تنفيذ أوامرها، وجردت عليه حملة بقيادة محمد راغب بك، لاحتلال صيدا والقبض على الإدريسى، وكانت هذه أول مصادمة عسكرية حقيقية بينه وبين الدولة، وقد علم الإدريسى بأمر هذه الحملة قبل تحركها، فأعد للأمر عدته، وانزل بها هزيمة مروعة يوم ١٠ جمادى الأولى ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

(١) د. أباطة، المصدر السابق، ص ٢١٣.

(٢) كان أحمد شريف الخواجى، من الخواجين أمراء المخلاف السابقين، وكان من أبرز شخصيات صيدا قبل عودة الإدريسى إليها من رحلته العلمية، وقد وقع عليه اختيار الدولة العثمانية ليمثل صيدا فى مجلس المبعوثان ضمن ثلاثة اشخاص كانوا يمثلون المخلاف. ومكث فى الأستانة حوالى عام إلى أنفضاض المجلس، فى بداية العهد الدستورى، فلما قدم الإدريسى كان من أشد المعارضين له، حتى ارتكب ما جعله يقع تحت طائلة المhakمة، فحكم عليه تعزيراً بقطع يديه، والبعض يقول إنه لم يرتكب ما يوجب قطع اليد، وحتى لو استوجب ذلك، فإن حكم الشرع واضح فى شأن المفسدين فى الأرض، بأن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، بنص القرآن الكريم فى الآية رقم ٣٣ من سورة المائدة، لذا استحوذت قضيته على عطف من علم بها وقتذاك.

عند "الحفاير" بالقرب من جازان، التى كانت لهم بها قبل ذلك بعض القوات، فانسحبوا جميعهم إلى القنفذة، وأخلوا جازان فاستولى عليها الإدريسى ودخلت ضمن نفوذه، ومن دلائل التنسيق الحربى بين الإدريسى وإيطاليا، أن الأسطول الإيطالى فى البحر الأحمر قدم إلى جازان للاشتباك مع القطع الحربية العثمانية التى تساعد القوات المهاجمة برأ، ولما قدم عرف برحيل جميع القوات العثمانية إلى القنفذة، فأنطلق إليها وضربها وحطم ثلاثة طرادات تركية^(١).

أما علاقة الإدريسى بالامام يحيى إمام اليمن فقد اتسمت فى البداية بعدم الثقة، بالرغم من أن كلاً منهما تظاهرا بمد يده للآخر للوقوف أمام العدو المشترك، المتمثل فى الدولة العثمانية، بينما الغاية المستترة لكل منهما هى بسط نفوذه على أكبر مساحة مما هو فى حوزة النفوذ العثماني، بالوسيلة التى يراها كل منهما ملائمة له. ثم مالبت أن تحول عدم الثقة إلى تنافس وعداء مستحكم بينهما، وبخاصة بعد اتفاقية "دعان".

وبالنسبة للدولة العثمانية، وتغيير السلطة فيها، فقد استبشر العرب خيراً بإعلان الدستور الجديد، وإنهاء عهد الاستبداد الحميدى عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) وكان أمل العرب كبيراً فى أن تشهد بلادهم شيئاً من الإصلاح والعمران فى مختلف المجالات، وكان الاتجاه السائد فى

(١) د. أباطة، المصدر السابق، ص ٢١٠-٢١٢، والعقيلي، ج ٢، ص ٦٧٠-٦٧٤، وسليمان كمالي، المصدر السابق،

الأوساط الحكومية الرسمية بالاستئانة، أن تعمل على الوصول إلى حل لقضية اليمن، المتمثلة فى إيجاد نوع من الاستقرار بها، بعد الثورات السابقة التى كانت شبه مستمرة، وبالفعل تشكلت لجنة من مجلس المبعوثان واجتمعت باليمن عدة اجتماعات مع مندوبى الإمام يحيى، وفى يوم ٢١ رجب (٧ أغسطس ١٩٠٩م) أقرت مشروعاً للاصلاحيات من ست مواد، تضمنت تقسيم اليمن إلى ولايتين: ساحلية وجبلية، يتم تفويض إدارة الولاية الجبلية إلى الإمام يحيى، والولاية الساحلية إلى قوى الكفاية والاعتدار، وخولت الإمام بعض السلطات والصلاحيات. ووافق الإمام على هذا المشروع، ورفع إلى الأستانة، فعرض على مجلس المبعوثان فوافق عليه، وأثناء ذلك آلت السلطة إلى حكومة الاتحاديين، التى تبنت إحياء النزعة الطورانية، وتمييز العرقية التركية، وإهمال ماعداها من عرقيات، بل العمل على ادماجها فى التركية إلى غير ذلك من قرارات أصابت العالم العربى بالدهشة والذهول، وكان من بين ذلك سحب المشروع الذى ووفق عليه من قبل بشأن الاصلاحات فى اليمن، وتبنوا فكرة أخذ اليمنيين بالشدة مخافة أن تنتقل عدوى الثورة إلى البلدان المجاورة وبخاصة الحجاز، وارسلوا لهذا الغرض محمد على باشا والياً على اليمن فوصل صنعاء يوم ١٢ جمادى الأولى ١٣٢٨هـ (١٩١٠م) وحدثت ثورات فى سوريا، ولبنان والباينا، وتبعثها ثورة فى اليمن حاصروا خلالها الوالى المذكور فى صنعاء^(١) وقبيل هذه الثورة اليمنية راسل الإمام يحيى، زميله

(١) د.أباظة، المصدر السابق، ص ١٨٠، ٢٢٠، ٢٢٢، ٢٥٦-٢٥٨، والواسع، المصدر السابق، ص ٣١٤-٣١٧، --

الإدريسى كى يثور هو الآخر على الأتراك، فكان الإدريسى أسبق فى حصاره لأبها، فى ذى القعدة ١٣٢٨هـ (١٩١٠م)^(١) وكانت الدولة العثمانية - تحت ضغط الثورة العارمة فى اليمن وعسير - قد قامت بسحب بعض قواتها الموجودة فى طرابلس الغرب لمواجهة الثورة فى اليمن وعسير، مما أضعف حاميتها التى استمرت فيها، وهذا ما كانت تخطط له إيطاليا، فبدأت فى تنفيذ خطتها للاستيلاء على طرابلس الغرب، فضربتها بالقنابل من البحر مساء آخر يوم من شهر سبتمبر ١٩١١م (٧ شوال ١٣٢٩هـ) ونزل جنودها إلى الشاطئ صباح أول أكتوبر ١٩١١م (٨ شوال) ولم يجدوا مقاومة تذكر^(٢) وكان ذلك إعلاناً رسمياً للحرب بين الدولتين، فنشط أسطولها فى البحر الأحمر، فى ضرب قطع الأسطول العثماني، ومراكز التحصينات والتجمعات للقوات العثمانية على ساحل تهامة اليمن، مما حفز الإدريسى وسهل له مهمته فى الزحف جنوباً للاستيلاء على بعض البلدان والمناطق الجنوبية من تهامة اليمن، واستخلاصها من أيدي العثمانيين.

-- د. سيد سالم، المصدر السابق، ص ٩٦-١٠٠.

^(١) سليمان كمالي، المذكرات، ص ٦٧، حيث يقول: دامت المحاصرة سبعة أشهر وبضعة أيام، وفى طول تلك المدة لم يأتى خبر من الأستانة مباشرة، غير أن قائمقام القنفذة أرسل إلى يخبرنى بأن الامام يحي أيضاً ثار على الدولة فى اليمن. ويقول ابن مسفر، المصدر السابق، ص ١١١ إن الحصار استمر تسعة أشهر.

^(٢) د. سيد سالم، المصدر السابق، ص ١٣٣، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ٢٧٨، وكانت طرابلس الغرب (ليبيا) آخر ولاية عثمانية بشمال أفريقيا، محصورة بين مصر المحتلة من الإنجليز، وتونس المحتلة من الفرنسيين.

وقبيل نشوب الحرب فى طرابلس الغرب، أرادت الدولة أن تحل قضية الثورة فى اليمن وعسير، لتوفر على نفسها عبء المواجهة فى تلك الجبهة، وتتفرغ لمواجهة إيطاليا فى طرابلس الغرب، لاسيما وأن قواها الحربية أصبحت ضعيفة للغاية أواخر عهدها. مقتنعة بأن أسلوب العنف والشدة غير مجدٍ، ومن الأفضل لها أن تلتقى مع رغبات اليمنيين فى تهدئة الأوضاع وعقد صلح برضى الطرفين، فبعثت لهذا الغرض أحمد عزت باشا، والياً وقائداً عاماً للقوات العثمانية فى اليمن^(١) وما أن وصل الوالى الجديد إلى صنعاء فى شهر ربيع الأول ١٣٢٩هـ (أوائل مايو ١٩١١م) حتى بادر بالكتابة إلى الامام يحيى، وكان مقيماً "بشهاره" يعرض عليه رغبته فى عقد صلح يريح به الجانبين من الفتن والحروب. ويطلب الاجتماع فى أى مكان يراه. فجاءه الرد بالموافقة وعلى أن يكون الاجتماع فى "دعان" وهى قرية غربى مدينة عمران. وانتهت المفاوضات

(١) قالت عنه جريدة للمؤيد المصرية: إن عزت باشا كان من أعلى بيوت الجهد والشرف فى ألبانيا، وتربى تربية عسكرية عالية فى ألمانيا، حتى أن الامبراطور غليوم، امبراطور ألمانيا، كان يفتخر بأن المدارس الألمانية انجبت مثل عزت باشا من العثمانيين، وكان السلطان عبد الحميد قد نفاه إلى سوريا فى أثناء حكمه لمدة طويلة، لأنه كان يخشى من الشخصيات القوية ذات النفوذ، ولما زار غليوم امبراطور ألمانيا، سوريا، وعرف بوجود عزت باشا بها، قال لوالى بيروت: إذا كان الجيش العثمانى مستغنيا عن عزت باشا، فإن الجيش الألمانى فى حاجة إليه، ونقل هذا الحوار إلى السلطان عبد الحميد، فأعاده إلى الخدمة مضطراً، ومنحه رتبة عالية، ثم بعثه بعد فترة قائداً لاحدى الفرق المتجة إلى الحديدة، فأقام بها فترة أحبه الناس، واشتهر بسمعته الطيبة، ولما أعلنت الدولة الدستور، عين رئيساً عاماً لأركان الجيش العثمانى، بالإجماع، كما اشتهر بكرم الأخلاق والحنكة والفصاحة التى استمال بها إمام صنعاء، ووقع معه اتفاق دعان. انظر د. أباطة، المصدر السابق، ص ٢٥٩، والواسع، المصدر السابق، ص ٣١٧-٣٢٠.

بعقد اتفاقية "دعان" الموقعة فى أول شهر ذى القعدة ١٣٢٩هـ (١٩١١م) والتي تكونت من عشرين بنداً، تتضمن تخويل الامام الاشراف على شعون القضاء، والاقواف، وأن تكون جبايات الأموال بالطريقة الشرعية، وأن يكون من حق الامام تنصيب الحكام على المناطق الزيدية، والدولة من حقها التنصيب على مناطق الشافعية والحنفية، وله إدارة بعض المناطق الجبلية، وللدولة بعض المناطق الأخرى، بالإضافة إلى تهامة اليمن، وغير ذلك من تفصيلات، مضمونها اعتراف العثمانيين للامام ببعض النفوذ الدينى والادارى، مقابل اعترافه بالسلطة العثمانية^(١) وكان مما عجل بتوقيعها إندلاع الحرب فى طرابلس الغرب.

عقب توقيع اتفاقية "دعان" شعر الإدريسى بأنه أصبح فى الميدان وحده لمواجهة العثمانيين، وأن حليف الأمس تخلى عنه، ووضع يده فى يد العدو الذى طالما حثّ مواطنيه على قتاله، ومن هنا أشعل حماس الناس ضد الأتراك والامام يحي معاً. وبادر أتباع الإدريسى بقطع أسلاك البرق (التلغراف) لكى يعزلوا صنعاء عن الاتصال بالعالم الخارجى. وشدد الحصار على أبيها، وانسلخت بعض القبائل كقبيلة حاشد، عن طاعة الإمام، وأعلنت ولاعها للإدريسى^(٢) وحاول عزت باشا احتواء الإدريسى

^(١) الراسمى، ص ٣٢٠-٣٨٢، ود. أحمد حسين شرف الدين، اليمن عبر التاريخ، ص ٢٦٣-٢٦٦، ود. سيد سالم، المصدر السابق، ١٣٦-١٥٢، ٤٩٥، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ٢٦٩، ٢٨١-٢٨٤، والريحانى، المصدر السابق، ص ١٤٧.

^(٢) د. سالم، المصدر السابق، ص ١٤٤، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٢٢-٣٢٦.

سليماً فلم يفلح، فطلب من الإمام أن يكتب إلى الإدريسي ينصحه بعدم معاداة الدولة، فكتب له الامام للدخول فى الصلح، فلم يستجب الادريسي^(١) لذا تعاون الخليفان: عزت باشا مثلاً للدولة، والامام يحيى فى القضاء على الإدريسي، حتى أضحى موقفه صعباً، خاصة بعد أن انضم إليهما الشريف حسين من الشمال. فلم يجد الادريسي مفرأ من الاعتماد بشكل أساسى على إيطاليا، بالرغم مما كان يشاع حوله من كونه وضع يده فى يد غير المسلمين ضد المسلمين^(٢) وعندما يئس عزت باشا من استجابة الادريسي جهز عليه حملة قادها محمد على باشا الوالى السابق لليمن، والذى استمر قائداً للقوات العثمانية فى اليمن، وحملت قواته ومعداته بحراً من ميناء الحديدة، ونزلت ميناء جازان، وبدأوا فى ترتيب أمر زحفهم إلى الداخل آواخر عام ١٣٢٩هـ (١٩١١م) ثم علم أن الأسطول الإيطالى فى طريقه إلى جازان، فحمل ماخف حملة من المعدات وانتقل إلى القنفذة، وترك كثيراً من معداته بعد أن أشعل فى بعضها النار، واستولى اتباع الادريسي على مابقى سليماً منها، وبذلك فشلت أيضاً هذه الحملة^(٣).

وعاودت الدولة إتصالها بالادريسي بشأن إجراء مفاوضات لعقد صلح وحسم الخلافات بينه وبين الدولة، وذلك فى عهد الوالى محمود

(١) د. أباطة، المصدر السابق، ص ٣٠٣-٣٠٥، ٣٢٠، وسليمان كمالي، المصدر السابق، ص ١٣٧.

(٢) د. أباطة، المصدر السابق، ص ٣١٠-٣١٤، العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٠٣-٧٠٦.

(٣) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٠٦، ٧٠٧، د. أباطة، المصدر السابق، ص ٣٢١.

نديم بك^(١) فقد سعى قائمقام اللحية ابراهيم بك خليل بالاتصال بالادريسي بتاريخ ٤ ربيع الأول ١٣٣١هـ (١٠ مارس ١٩١٣م) ومهد لهذا اللقاء، حيث طلب من الوالي العثماني الحضور من صنعاء الى اللحية، كما طلب من الادريسي أن يأتي إلى مدينة "ميدي" ليكون على مقربة. وكانت ميدي ذاك الوقت خاضعة للإدريسي. وطرحت بعض النقاط للتفاوض غير أن الادريسي رفضها، فقد أصبح في مركز قوة، وصاحب نفوذ في منطقة فقدت الدولة نفوذها عليها، وانفرد هو بذلك النفوذ وكانت هذه آخر مفاوضات تجرى بينهما لعقد صلح، بينما استمرت المناوشات والحروب بين الإدريسي من جهة، والأتراك يساندهم الامام من جهة أخرى، فقد اصطدم رجال الادريسي بأتباع الامام يحي في بلاد "حجور" و"خولان الشام" و"رازح" وغيرها^(٢). وكانت كفة الإدريسي هي الراجحة، حيث استولى على جميع جبال رازح حتى قرب مدينة صعدة اليمنية، وظلت تحت حكم الإدريسي حتى توفي، فاغتتم الامام يحي الفرصة وأخذ في الزحف التدريجي على جبال رازح، الجبل تلو الجبل، وأخيراً تمكن من الاستيلاء على قاعدة تلك الجبال "جبل النظير" وفي عام ١٣٤٤هـ استولى على جبل "شدا"^(٣).

^(١) تولى ولاية اليمن في جمادى الأولى ١٣٣٠هـ (مايو ١٩١٢م) وكانت الدولة العثمانية على وشك الدخول في

الحرب البلقانية (١٩١٢م/١٩١٣م).

^(٢) د.أباطة، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

^(٣) انظر المخلاف السليماني، للعقيلي، ج ٢، ص ٧٤٩، ٨٩٣ وما بعدها.

وكان من نتيجة التنسيق مع إيطاليا أن قام الأسطول الإيطالي بضرب ميناء "ميدي" التي كان قد استعادها العثمانيون من الإديريسي ف تقدم الإديريسي وحاصر الحامية التركية الموجودة بها حتى استسلمت، فاستولى على المدينة، ثم تقدم واحتل "حرص" وبعث بعض قواته تحت قيادة محمد طاهر رضوان، يساعده ابراهيم بن فتح الدين، فاستوليا على "جزيرة فرسان" وطردها الحامية التركية منها. ثم تقدمت قواته واحتلت جزءاً من بلاد عبس، إلا أن الأتراك استطاعوا إيقاف تقدم قواته جنوباً، فظل كل فريق محتفظاً بمواقعه من منتصف عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م) حتى عام ١٣٣٤هـ (١٩١٥م) تقريباً^(١) وخلال ذلك كانت إيطاليا قد استنفذت أغراضها من الإديريسي فتخلت عنه، لكن انشغال الدولة العثمانية بحروب البلقان (١٩١٢-١٩١٣م)^(٢) اضطرها إلى توزيع قواها الحربية، فأبقت الوضع على ما هو عليه في بلاد العرب، إلى أن بدأت الحرب العالمية الأولى^(٣) وسعت بريطانيا لكسب الزعماء العرب إلى

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٢٥-٧٢٧.

(٢) أعقبت حرب طرابلس الغرب، حين تعاقبت كل من صربيا وبلغاريا عام ١٩١٢م، على زيادة أراضيها على حساب الدولة العثمانية، ثم انضمت إليهما اليونان، والجبل الأسود، وأرادوا في بعض المراحل الاستيلاء على جزء من أرض ألبانيا، فتصدت لهم النمسا، والمجر، وإيطاليا، وامتلات الأجواء العالية بنذر حرب عالمية، وبدأت بريطانيا تعمل حساباتها مسبقاً، لتوطيد نفوذها على حساب الدولة العثمانية، وكان هذا من مصلحة الإديريسي.

(٣) بدأت في ظل الأجواء المعتمة التي خلفتها الحرب البلقانية. باغتيال "فرديناند" ولي عهد النمسا في سرايفو، بأيدي الصربيين، وهددت النمسا باحتلال قسم من صربيا يوم ٢٨ يونيو ١٩١٤م، وبدأت المناوشات من جانب النمسا وانضمت لها المجر، ضد صربيا، وسلوفيا، والجبل الأسود، ثم تطور الوضع في نهاية صيف ١٩١٤م، --

جانبها، فكان الادريسي أول من لبي نداءها، ف عقدت معه معاهدة بتاريخ ١٥ جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ (٣٠ ابريل ١٩١٥م) تكونت من ثمان مواد، وتضمنت الوقوف معاً ضد الدولة العثمانية، وشن الحرب عليها، وأن يعمل الادريسي على محاولة طرد الأتراك من قواعدهم في اليمن، ومن ثم يوسع رقعة إمارته على حساب الأتراك، ولا يمس مايشير الخصومة والعداء مع الامام يحيى. وتلتزم بريطانيا بحماية إمارة الادريسي ضد أى هجوم بحرى، وضمنان استقلاله بإمارته وأن تُمده بالمال والمعدات الحربية والعون اللازم طيلة مدة الحرب، وتمنحه الحرية الكاملة فى الملاحة البحرية.

ومما يلاحظ على هذه المعاهدة: فمع كونها تعتبر بمثابة معاهدة حماية، إلا أنها اعترفت باستقلال إمارة الادريسي، وضمنت استقلالها وقت الحرب، وأباحته له العمل على توسعتها على حساب الدولة العثمانية، أى من الأراضى الخاضعة لنفوذ الدولة العثمانية، وشرطت عليه ألا يثير أى عداء أو خصومة مع الامام يحيى، بأن يمد نفوذه إلى الأراضى الخاضعة لنفوذ الامام يحيى. وهى التى يقطنها الزيدون بمقتضى ما حددته معاهدة "دعان" وذلك خشية أن يدفع ذلك الامام إلى التحالف مع العثمانيين، ولهذا نلاحظ أن الإدريسي حاول فعلاً أن يمد نفوذه جنوباً فى

== فانضمت ألمانيا إلى النمسا والمجر، ثم تبعتها الامبراطورية العثمانية فى ١١ نوفمبر ١٩١٤م (٢٢ ذو الحجة ١٣٣٢هـ) وسمو دول الائتلاف وكانت إنجلترا وفرنسا وروسيا، قد انضموا إلى جانب صربيا، وأطلقوا على أنفسهم دول الوفاق ثم الحلفاء. وانضمت اليهم كثير من دول العالم، واشتعلت نار الحرب العالمية الأولى، ولم تنهد إلا فى ١١ نوفمبر ١٩١٨ بتوقيع الهدنة، والاستسلام وانتصار الحلفاء.

تهامة اليمن، وكانت وقتها خاضعة لنفوذ الدولة العثمانية، ولم يتجه نحو المناطق الجبلية التي تخضع لنفوذ الامام، بالرغم من أن الامام لم يكن محايداً تماماً فى الحرب العالمية الأولى، فقد كان يتعاون مع العثمانيين بوسائل مختلفة. وكان يأمل أن يتمكن العثمانيون من القضاء على الادريسى، ويخلو له الجوفى المنطقة، وبالإضافة لما سبق فإن المعاهدة ضمنت للادريسى أن تظل موانيه مفتوحة للتجارة، فى الوقت الذى حوصرت فيه بقية موانئ الساحل، ولذا استفاد كثيراً، وأصبح هو المحتكر فى المنطقة لمعظم أنواع التجارة. والمتحكم فى أسعارها^(١).

ونتيجة لهذه الاتفاقية فقد تقدمت قوات الادريسى فى شهر جمادى الآخرة ١٣٣٣هـ (مايو ١٩١٥م) واستولت على مدينة "اللحية" من أيدي العثمانيين وذلك بمساعدة الأسطول البريطانى الذى قام بقصفها من البحر أكثر من مرة، ويبدو أن قذائف الأسطول كانت مؤثرة، وضاع بسببها الكثير من أرواح سكانها العرب، مما حزّ فى نفس الادريسى فكتب إلى القيادة الانجليزية فى عدن يعبر عن أسفه لما ألم بالسكان من جراء هذا

^(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣٣، ٧٣٤، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ٣٦١-٣٦٤، ود. سيد سالم، المصدر السابق، ص ٢١١-٢١٤، وجون بولدرى، العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن، إبان الحكم التركى، ١٩١٤-١٩١٩م، ترجمة وتقديم، د. سيد سالم، ص ٣٣.

القصف، ويطلب تلافى ذلك مستقبلاً، وأن يكون التركيز على القوات العثمانية فى نقاط تمركزها على الساحل^(١).

وبالتنسيق مع الخطة العامة للحلفاء، أثناء زحفهم على فلسطين والشام والعراق، قام الأسطول البريطانى فى البحر الأحمر بضرب الموانئ والمدن الساحلية التى تمركزت فيها قوات عثمانية، كالحديدة، والمخا، والصليف، واللحية التى كانت قد استعادت القوات العثمانية من الادريسى. وفى نفس الوقت طلبت القيادة البريطانية فى عدن من الادريسى أن يتقدم بقواته براً لاحتلال تلك الموانئ. لكن قواته كانت بطيئة فى زحفها خلال عام ١٩١٨م، فلم تتمكن من الاستيلاء إلا على اللحية وبعض المناطق الأخرى جنوبها، أما الحديدة فقد كان فيها بريطانيون مدينون قبل الحرب، وعند إعلانها قام الحاكم العثماني للحديدة بالقبض عليهم واعتبرهم أسرى حرب، ووضعهم فى معسكر خاص بهم خارج مدينة الحديدة، ولذا وضعت القيادة البريطانية فى عدن خطة لاحتلال الحديدة أثناء قصفها، ومن ثم تخلص هؤلاء الرعايا البريطانيين من الأسر، كما أسهمت القوات البريطانية فى احتلال الصليف وسلمتها للإدريسى فى ١٤ نوفمبر ١٩٢١/١٤ ربيع الأول ١٣٤٠هـ، وبقيت الحديدة التى سلمتها من الأتراك عقب الهدنة تحت يدها تستعملها فى الضغط على الامام فى مفاوضاتها معه بعد الحرب بشأن الحميات ثم

(١) العقبلى، المصدر السابق، ص ٧٢٨، ٧٢٩، ود. سيد سالم، المصدر السابق، ص ٢١٥، ٢١٦، ود. اباطة، المصدر السابق، ص ٣٦٤.

قامت بريطانيا بتسليمها إلى الإدريسي فى ٢٠ جمادى الأولى ١٣٣٩هـ/ ٢٩ يناير ١٩٢١م، بعد أن قامت باستفتاء أهلها بإبداء رغبتهم فى الحكم الذى يرونه، فأبدى بعضهم الاستقلال وإنشاء إمارة مستقلة تنضم إليها بعض البلدان والنواحي المجاورة فى تهامة اليمن، فرفض الانجليز هذه الفكرة، فأبدى البعض التمسك ببقاء الحكم العثماني، أو الانضمام إلى الحكم المصرى. فرفض الانجليز ذلك، ثم أوعزوا إلى القوات الإدريسية بالتقدم لدخول المدينة وتسلمها، وضمها إلى الإمارة الإدريسية^(١).

وكانت بريطانيا قد عقدت معاهدة ثانية مع الإدريسي فى ٢٨ ربيع الأول ١٣٣٥هـ/ ٢٢ يناير ١٩١٧م، تعتبر مكملية للمعاهدة الأولى، وتضمنت ست مواد، اعترفت فيها بتبعية جزر فرسان للإمارة الإدريسية، وامتداد مفعول المعاهدة إلى ذريته من بعده، بعد أن كانت الأولى محددة بعشر سنين فقط^(٢).

انهارت جيوش دول الائتلاف (الدولة العثمانية، ألمانيا، النمسا، المجر) أمام ضربات الحلفاء (الإنجلترا، فرنسا، إيطاليا، وغيرها من الدول التى انضمت إلى الحلفاء) ورضخت الدولة العثمانية لشروط الصلح، التى

(١) جون بولدرى، المصدر السابق، ص ١٣١-١٣٤، ود. سيد سالم، المصدر السابق، ص ٢٤٨-٢٦٣، ود. أباطة، المصدر السابق، ص ٤٠٨، ٤١١، والريحاني، المصدر السابق، ص ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) جون بولدرى، المصدر السابق، ص ٣٤٠، ٣٤٣، زد. عصام ضياء الدين السيد، عسير فى العلاقات السياسية السعودية اليمنية، ص ٢١-٢٣، وايضاً الوثائق الانجليزية - وثائق وزارة الخارجية - ملف ١١٢ (f.o.112) 371/3060 بتاريخ ٢٠ أكتوبر ١٩١٧م، وتاريخ ١ مايو ١٩١٨م.

سلبت منها أملاكها، ووقعها مرغمة فى ٧ صفر ١٣٣٧هـ (١١ نوفمبر ١٩١٨م) وكان هذا إيذاناً بغروب شمس الامبراطورية التى حققت أروع الانتصارات وانتهت بأقسى الانهزامات فى العصر الحديث.

كان من بين شروط الهدنة (مادة ١٦)، أن يقوم قادة وجنود القوات العثمانية فى بلاد العرب (اليمن والمدينة المنورة، وعسير) بتسليم أنفسهم، مع معداتهم وأسلحتهم، للقادة البريطانيين الذين يتم تحديدهم فى تلك المناطق، أو من ينوبون عنهم، وان يتم تسليم البلاد إلى أهلها الأصليين، وعهدت بريطانيا إلى الادريسى مهمة ابلاغ أمر التسليم إلى القائد العثماني فى متصرفية عسير، محي الدين باشا، آخر الولاة العثمانيين على عسير، الذى قام فى ربيع الأول ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م) بتسليم أمور المتصرفية إلى وكيله الحسن بن على بن عايض، وهو حفيد محمد بن عايض الذى قتله غدرًا رديف باشا فى صفر ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م) كما سبق أن علمنا. بينما كان الادريسى ينتظر أن يقوم المتصرف العثماني بتسليمها إليه مستفيداً من تفويض الانجليز له بالتبليغ ومن ثم التسليم، ومن هنا اعتبر أن ابن عايض استولى على مالىس له ونشأت بينهما حساسية، ومفاوضات.

أما الامام يحيى فقد قام الوالى العثماني فى صنعاء، محمود نديم بك، بتسليم صنعاء إليه، كما قام قائد القوات العثمانية فى اليمن أحمد توفيق باشا بتسليم المعدات والأسلحة إليه، وطلب سعيد باشا الذى كان قد استولى على لحج، من الامام أن يبعث إليه من يتسلم محمية لحج وغيرها مما

استولى عليه أثناء الحرب، لكن الامام أو الوالى العثمانى فى صنعاء، لم يرسلإليه أحداً، فتركها للانجليز، وسلم نفسه وجنده اليهم فى عدن^(١).

بانسحاب العثمانيين من اليمن، اشتدت حدة الصراع بين الامام يحيى والادريسى، وقد فرغ الميدان لهما، فالإمام مهيمن على المنطقة الجبلية فى الوقت الذى يهيمن الادريسى على معظم تهامة وموائها^(٢)، وبالأخص "الحديدة" ولايمكن أن يستمر هذا الوضع فى نظر الإمام، لاسيما وأن الادريسى لم يستحوذ على الحديدة من أيدي العثمانيين، وإنما الانجليز هم الذين سلموها له، مع أنهم يعلمون أنها الميناء الطبيعى المهم لصنعاء، ومن ناحية أخرى فإن تهامة اليمن بما فيها "الحديدة" يعتبرها الادريسى إمتداداً طبيعياً وحيوياً بالنسبة لإمارته^(٣) ودخلت المنطقة فى دوامة من الصراعات، لم يظهر لها فى الأفق القريب إنقشاع.

نظر الإدريسى فوجد إمارته محاطه بخصوم يتربصون بها، فالإمام يحيى فى الجنوب يتهيأ فعلاً للاستيلاء على "الحديدة" ومن المؤكد أن أطماعه لن تقف عندها، وفى الشمال الملك حسين المزهو بخمرة الانتصار

(١) د.أباطة، المصدر السابق، ص ٤٠٩، ود.سيد سالم، المصدر السابق، ص ٢٢٢-٢٢٨.

(٢) كانت الحدود الجنوبية الشرقية، للإمارة الإدريسية ذاك الوقت، تمتد فى القسم الأعلى الجنوبى الشرقى من جبل كحلان ومايساميه جنوباً إلى جبل ريمة، وجبال عبال، وجبال بنى سعد المجاورة لجبل صفهان، انظر العقيلي، المخلاف السليماني، ج ٢، ص ٨١٩.

(٣) د.سيد سالم، المصدر السابق، ص ٢٦٤، ٢٦٥.

على العثمانيين، والتي ساعدته الظروف على اقتناصها^(١) وفى الشرق آل عايض الذين يحرضهم الشريف ويقف خلفهم، فهو الذى حرضهم على التنصل من اتفاقهم مع الإدريسي، مما اضطره إلى إرسال قوة من جنده لتأديبهم واحتلال عسير، لكنها هزمت عند سطح جبل "تهلل" فراجع إلى مركزه فى الشيعين، عندها شعر الإدريسي بالقوة المحركة والمساندة لهم^(٢) وإذا فلا بد له أيضاً من عضد يساعده فى دفع غائلة هؤلاء، لاسيما وأنهم بدأوا يوجهون الدعايات ضده بأنه دخيل وغريب عن المنطقة^٣، فأجال النظر فيمن حوله، فلم يجد غير عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود سلطان نجد وملحقاتها، الذى يمكن الركون إليه، فهو على صلة ود

(١) ولد الشريف الحسين بن على عام ١٢٧٠هـ (١٨٥٣م) وعين أميراً على مكة المكرمة عام ١٣٢٦هـ (١٩٠٨م) وهو فى السادسة والخمسين من العمر. عقب وفاة الشريف عبد الله بن محمد بن عون، وقد استجاب لآغراءات بريطانيا فى الوقوف معهم ضد الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى، وجرت بينه وبين المنلوب السامى البريطانى فى مصر "السرو هنرى مكماهون" رسائل سرية فى ١٣٣٤هـ، ١٣٣٥هـ (١٩١٥/ ١٩١٦) وعده فيها البريطانيون بتحقيق حلمه فى انشاء دولة عربية موحدة فى الحجاز والعراق والشام وفلسطين عقب انتهاء الحرب، وإن تكون تحت رئاسته، لذا أعلن الثورة ضد الدولة العثمانية فى ١٠ يونيو ١٩١٦م، وبعد انتهاء الحرب تبحرت أحلامه، وتقلصت طموحاته، فأتجه إلى جيرانه يوسع سلطته على حسابهم. توفى فى عمان ليلة ٤ يونيو ١٩٣١م.

(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ص ٧٥٧.

(٣) أسهم الامام يحيى بلور كبير فى بث تلك الدعاية، أولاً: لأنه زاحم نفوذه الروحى، ولأنه سنى العقيدة لازيدي، وثانياً: لأنه أول أمير عربى عقد معاهدة حلف وصداقة مع سلطان نجد، فى ذلك التاريخ، وثالثاً: لأنه أوصى عبد العزيز على إمارته وأسرته من بعده، والعربى عربى أينما حلّ حلّ فى وطنه الكبير وأمتة العربية، والإمام يحيى إذا ما طبقنا هذه القاعدة التى ينبذ بها الإدريسي، لوجدناه هو نفسه، قد وفد جده الأول يحيى بن الحسين من بلدة الرّس فى نجد إلى اليمن، فيطبق عليه ماينبذ به الآخرين.

ومجاملة معه منذ زمن بعيد، لكنه يريد أن يوطد الصداقة بينهما، ويرتبط معه بمواثيق للتعاون فى درء الأخطار، وقد سعد الإدريسى وهناً ابن سعود بنتيجة معركة تربة التى ألحق فيها هزيمة مروعة بجيش الشريف، فى ٢٥ شعبان ١٣٣٧هـ (٢٥ يونيو ١٩١٩م) وهو فى عنفوان زهوه ونشوته^(١).

اتجه الادريسى بنظره الشاقب صوب الرياض، وكتب رسالة إلى السلطان عبد العزيز يقول له فيها:

".. إنى أجَلْتُ النظر فى أنحاء أرجاء الجزيرة، فلم أجد أهلاً للثقة، ورعاية عهد الاخوان سواكم، وأعلموا أن ابن آدم رهن المنون، فإذا توفانى الله فأنتم المقلدين بالوصاية على عائلتى وأهل بيتى .. الخ" وتاريخ هذه الرسالة ١٣٣٨هـ (١٩١٩م)^(٢) وهو تاريخ يتوافق مع الفترة التى بدأ كل من خصميه فى الشمال والجنوب يكشر فيها عن أنيابه، بحثاً عن غنيمة يسط عليها نفوذه، عقب خلو المنطقة من العثمانيين.

ومما يلاحظ أن السلطان عبد العزيز كان هو الآخر يكنّ للإدريسى الوُدَّ والإخلاص، وليس أدل على ذلك من أن الدولة العثمانية قد كتبت له فى بداية الحرب العالمية الأولى تطلب منه الوقوف معها ضد أعدائها – الانجليز والادريسى الذى انحاز إليهم – وطلبوا منه محاربة الإدريسى، فكتب

(١) كانت معركة تربة عقب قيام القوات العثمانية بتسليم المدينة المنورة لقوات الشريف حسين بحوالى خمسة أشهر، وكانت تعتبر آخر قوات غادرت الحجاز فى ١١/٤/١٣٣٧هـ (١٥ يناير ١٩١٩م).

(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج٢، ٧٥٧.

إلى الأستانة يقول: .. إنه عربى ولا يحارب العرب من أجل الدولة، وأنه هو والادريسى على ولاء .. ثم عاد والى البصرة العثمانى، يسأله رأييه فى أمراء العرب، وفى انشقاقهم، وخروج بعضهم على الدولة، فكتب له ابن سعود:

"إنكم لمسئولون عما فى العرب من انشقاق، فقد اكتفيتم بأن تحكموا، وما تمكنتم حتى من ذلك، قد فاتكم أن الراعى مسئول عن رعيته، وفاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والاحسان، وفاتكم أن العرب لا ينامون على الضيم، ولا يبالون إذا خسروا كل مالديهم وسلمت كرامتهم، أردتم أن تحكموا العرب فتقضوا إربكم منهم، فلم تُوفّقوا إلى شئ من هذا أو ذاك. لم تنفعوهم ولا نفعتم أنفسكم .. الخ"^(١)

المهم أنه انتهى هذا التقارب بين السلطان عبد العزيز والادريسى بعقد أول معاهدة بينهما وقعت فى ١٠ صفر ١٣٣٩هـ (٢٣ أكتوبر ١٩٢٠م) بعد اجراء مفاوضات، أعقبها إعلان بيان سعودى/إدريسى بتاريخ ١٦ ذو الحجة ١٣٣٨هـ (٣٠ أغسطس ١٩٢٠م) وتضمنت المعاهدة تحديد الحدود بين عسير والامارة الإدريسية، والقبائل التابعة لكل منها^(٢) وكان ذلك عقب امتداد نفوذ الملك عبد العزيز على عسير، وتلاقى الحدود بينهما. ثم كانت وفاة محمد بن على الإدريسى، فى

^(١) الريحاني، نجد وملحقاته، ص ٢٠٢.

^(٢) امين سعيد، تاريخ الدولة السعودية، ج ٢، ص ٩٧، ٩٨.

٣ شعبان ١٣٤١ هـ (٢٠ مارس ١٩٢٣ م) بداية إنهيار الادارسة، فقد خلفه ابنه على وعمره تسعة عشر عاماً، وكان ينقصه الكثير من سمات القيادة، وخواصها، فوقع التنازع والشقاق فى البيت الإدريسى، واستغل الإمام يحي ذلك واستولى على ماكان بحوزتهم من مدن تهامة الجنوبية، وهددهم فى جازان، مما جعلهم يلجأون إلى الملك عبد العزيز طالبين الحماية، مما سنوضحه فيما بعد نظراً لتشابك وقع الأحداث فى كل من عسير وجازان خلال هذه الفترة.

الفصل الثالث

إمارة آل عايض

عرفنا فيما سبق أن عسير ظلت فى عزلة عما يجرى حولها من أحداث، سياسية فيما مضى وكانت مجهولة نوعاً ما بالنسبة للرحالة والمؤرخين العرب والأجانب على حدّ سواء^(١) ولم تنشأ بها سلطة استطاعت توحيد قبائلها ومناطقها إلا فى ظل الدولة السعودية الأولى بداية القرن الثالث عشر الهجرى.

حيث لم تقم فيها قبيل الدعوة السلفية سلطة مركزية، أتيح لها الهيمنة على جميع قبائلها، لتكوين إمارة موحدة، بل كان الحكم فيها عشائرياً، يقوم على التحالفات القبلية.

(١) جاكين بيرين، المصدر السابق، ص ٢٥٢، ٢٥٣، حيث تقول: إن على بك (الذى صحب جيوش محمد على باشا فى حملتها على البلاد) كان يجهل إمارة لى نقطة، وكان بوركهات - الذى عرف اسم عسير - يظن أنها مدينة، أما نيور فقد جهل حتى اسمها، ولم يكن الجغرافيون العرب أحسن إطلاعا من هؤلاء، فلا مؤلف "جيهان تامة" جومار الفارسى، ولا أبا الفداء، ولاغيرهما كالبغدادى، وابن بطوطة، والمسعودى، ذكر شيئاً عنها، ولم يأت على ذكرها إلا الادريسى، وقد ترك الجغرافى الألمانى هنرى برغوس، موقعها أبيض على الخارطة الآسيوية التى وضعها عام ١٨٣٥م.

ففى ظل الدولة السعودية الأولى توحدت أجزاؤها وقبائلها تحت قيادات محلية تستمد سلطتها الشرعية، وتوجيهاتها من أئمة الدرعية، وعندئذ بدأ التاريخ يسجل مايقع فيها من وقائع وأحداث بشكل تفصيلى، ونشط المؤرخون من أبناء المنطقة وغيرهم فى تسجيل تلك الوقائع ضمن وقائع وأحداث الدولة السعودية. وشارك أبناؤها وأيضاً أبناء المخلاف السليماني (جازان) متضامنين مع أبناء المناطق الأخرى، فى الحروب باسم الدولة السعودية. وقام علماؤها بدور ملحوظ فى نشر مبادئ الدعوة الإصلاحية فى المناطق المجاورة من أرض اليمن، وبخاصة تهامة اليمن، التى تسكنها غالبية من أهل السنة، حتى بذلوا الطاعة للدولة السعودية دون إراقة دماء^(١).

وتوالى الأمراء من أبناء المنطقة على حكمها، ابتداء من محمد بن عامر الرقيدى (أبو نقطة) وأخيه عبد الوهاب، حتى عايض بن مرعى^(٢) وذلك باسم الدولة السعودية، ودخلتها جيوش محمد على محاربة، على أنها جزء من الدولة السعودية، وأبناؤها رعايا للدولة السعودية، ومن بعده استمرت الحملات العثمانية تحارب أبناءها على أساس أنهم (وهايون)^(٣)

(١) انظر ص ١٠٧-١٠٩ من هذا البحث.

(٢) من بنى مفيد، من آل يزيد، ويصلون نسبهم إلى يزيد بن معاوية، وبعض المؤرخين يشكون فى تسلسل هذا النسب.

(٣) حسبما كانت الوثائق العثمانية يحلو لها أن تطلق عليهم هذا المسمى، وهو فى الوقت نفسه دليل على التبعية، والطاعة، والولاء، حتى فى أحلك الظروف السياسية التى مرت بها المنطقة.

يرفضون الإذعان للدولة، ويكون الولاء لآل سعود، حتى بعد الفترة
اليسيرة التي تلاشى فيها النفوذ السياسى للدرعية عام ١٢٣٣هـ.

ونظراً للحروب المتواصلة التي كان يقودها أمراء عسير، والتي طالما
كانت تعرض حياتهم للاستشهاد فى ميادينها، وبالتالى شغور القيادة،
والحاجة الماسة لمن يتولى الأمر فى أحلك الظروف الميدانية، لحين إبلاغ
القيادة العامة فى الدرعية بما حدث، فقد دأبوا على أن يجتمع أولو الرأى
لترشيح من يتوسم فيه الصلاح والكفاءة، ثم يرفعون الأمر إلى الدرعية
لابدء الرأى، ومن ثم إصدار العهد إليه بالامارة على عسير، والأمر إلى
كافة الرؤساء والقادة والمواطنين فى عسير بالانقياد له، وعدم مخالفته.

وعندما حالت الظروف السياسية عن الاتصال المباشر بالدرعية عام
١٢٣٣هـ، ومابعده فى نهاية الدولة السعودية الأولى، وكان ذلك فى
إمارة كل من: محمد بن أحمد المتحمى (١٢٣٠-١٢٣٣هـ) وسعيد بن
مسلط المغيدى (١٢٣٩هـ - ١٢٤٢هـ) أعطيت القيادة فى عسير التفويض
بأن تعمل ماتراه مناسباً، فأصبحت شبيهة بقائد فى الميدان حالت ظروف
الحرب بينه وبين الاتصال بمقر قيادته. فعليه أن يتصرف بما يراه مناسباً دون
الرجوع لرئاسته، يشمل ذلك القتال حتى الرmq الأخير، والاستسلام
للعdu أسيراً، دون التنصل من ولائه لرئاسته، وبلده تحت أيّ ضغط كان،
لذا ظل هذان الأميران ومن جاء بعدهما يقاتلون القوات العثمانية عن
عقيدة آمنوا بها، ولم يقاتلوهم كمحتلين فحسب، لأنهم يضمرون الولاء
والوفاء لآل سعود أصحاب هذه الدعوة، ثم عاد الاتصال بينهم وبين قادة

وحكام الدولة السعودية الثانية فى عهد كل من الامام تركى، وابنه الامام فيصل^(١) بأسلوب آخر لعدم إثارة العدو للظروف التى تقتضى ذلك.

عهد محمد بن أحمد المتحمى إلى سعيد بن مسلط بالقيادة بعده، كما عهد ابن مسلط بها لابن عمه على بن مجثل، وابن مجثل عهد بها إلى عايض بن مرعى. وليس من المستبعد أن يكون قد تم ذلك كله بما رآه ذوو الرأى والمشورة، فهو منهج قد ساروا عليه منذ البداية، لاختيار الأكفأ والأجدر من قادة أبناء المنطقة.

ونلاحظ أن عايض بن مرعى عند وفاته يوم ٢٣ شعبان ١٢٧٣هـ، لم يوص بها لأحد بعده، فاجتمعت عشيرته وأقرباؤه وبائعوا ابنه محمد بن عايض^(٢) وقيل: إن الأمير عايض كان قد أصيب بمرض قبيل وفاته، وفى الوقت نفسه أصيب ابنه محمد بمرض، فقال عايض: إن عوفى محمد تسلم الأمر، وإلا قام به ابن مفرح^(٣) حتى يجتمع أهل الحل والعقد على رجل منهم^(٤) ثم توفى، ومن هذا نستنتج أن الأمير عايض ملتزم بالمنهج الذى سار عليه سابقوه فى تولية الأكفأ والأجدر، وربما يكون قد رأى فى ابنه محمد أكفأ من يتولاها بعده مؤقتاً، فرشحه لها، وترك أمر الفصل النهائى فى ولايتها بيد أهل الحل والعقد، لتولية من يرونها، ولم يقصد أن تكون

(١) انظر ص ١٦٢-١٦٥ من هذا البحث.

(٢) العقيلي، ج ١، ص ٥٧٠.

(٣) محمد بن مفرح أحد قواده المشهورين.

(٤) للسفر، المصدر السابق، ص ٩٢.

وراثية فى ذريته من بعده، ولذا رشح ابن مفرح بديلاً لابنه محمد فى حال وفاة محمد، ولم يجعل البديل أحداً من أولاده الآخرين، وكان عنده ثمانية أبناء^(١) ولعل هذا هو رأى المقبول لمن أمعن النظر فى سير الحوادث ذاك الوقت، لاسيما وأن موضوع توريث الحكم، أو الإمارة فى منطقة عسير بالذات، لم تكن قد ترسخت فى الأذهان عند أمراء وقواد عسير، مثلما ترسخت من قبل فى منطقة جازان، فتوريث الحكم إنما كان على رئاسة القبيلة، أو البلدة، أو على عدة قبائل متحالفة، أما أن تخضع جميع قبائل عسير، أو بلدانها تحت رئاسة مركزية فلم يكن معروفاً فى عسير قبل انضوائها للدولة السعودية الأولى، ويؤكد هذا عدم ظهور إمارات سابقة بسطت نفوذها على كافة مناطق عسير، كما كان الشأن فى جازان من قديم، وربما يعلل هذا بطبيعة أرضها، وأنفة قبائلها من الخضوع لغير رئاستها، ولذا ظلت فى عزلة عما يدور حولها من أحداث. فلما توحدت قبائلها وبلدانها فى عهد الدولة السعودية كان الأنسب لها اختيار الأكفأ من بين أبنائها، بموافقة وإقرار القيادة فى الدرعية.

كان عائض بن مرعى من أنبل واشجع رجال عسير، وله مواقف بطولية مع الحملات العثمانية التى أرسلت إلى عسير، وبخاصة حملة خليل باشا عام ١٢٤٩هـ (١٨٣٤م) فى عهد عمه على بن مجثل، ولذا أوصى له

(١) المسفر، المصدر السابق، ص ٧٨ أورد شجرة نسب لآل عايض، يبدو أنه سقط منها بعض الاسماء، التى ورد لها ذكر فى الوثائق العثمانية. وأورد للمسفر فيها ثمانية أولاد لعايض بن مرعى، بينما أوردهم فواد حمزة، فى بلاد عسير، ص ١٠٢: خمسة أبناء فقط.

بالامارة بعده^(١) ثم توفي ابن مجثل فى شوال ١٢٤٩هـ، فتولاها عايض، واستمر يحارب العثمانيين، وحليفهم ابن حيدر إلى أن توفي يوم ٢٣ شعبان ١٢٧٣هـ (١٨٥٧م) فتولاها ابنه محمد، وواصل الحرب مع العثمانيين، وبلغت الإمارة أوجها فى عهده، فقد بسط نفوذه على سائر عسير السراة، وقسم من تهامة عسير، وتهامة اليمن حتى المخا، وحاول الاستيلاء على الحديدة، وحاصرها فترة لكن الحامية العثمانية استطاعت أن تصده عنها، وفى طريق عودته إلى عسير خرب بعض المدن، وارتكب جنده أعمالاً لاتليق مع الأهالى، مما دفع القيادة العثمانية فى الحجاز إلى تجريد حملة إليه قادها كل من رديف باشا وأحمد مختار باشا، تصدى لها فى البداية بشجاعة، لكنها فى النهاية ختمت حياته بمأساة، إذ غدر به رديف باشا، بعد أن أعطى الأمان من قبل مختار باشا. وقتله مع ٣٥ من رجاله غدرًا فى صفر ١٢٨٩هـ (١٨٧٢م)^(٢).

(١) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٤٧، وقال: كان صاحب إبل، ونقل قول كل من الريحاني وحافظ وهبه، بأنه كان راضى إبل، وعلق هو على ذلك قائلاً: بأن هذا لايتفق مع إمارة عمه، ثم توليته الامارة من بعده.

(٢) العتيلى، المصدر السابق، ج ١، ص ٥٤٦-٥٥٠، والزركلى، المصدر السابق، ص ٢٤٨، وفواد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٦٠-٣٦٢، الذى نقل رواية أخرى عن خير مقتل محمد بن عايض، خلاصتها: أن الشريف محمد ابن عون توسط لدى الدولة على أن يسلم ماتحت يده من بلدان للدولة، مقابل أن تحفظ له الدولة أمواله، وخيوله وقصوره، وكافة أملاكه الشخصية، وأن تعين له ولعائلته ولبعض الرؤساء من اتباعه مرتبات ومشاهرات. وأن الباب العالى وافق على هذا، وأصدر به فرماناً، لكن رديف باشا تجاهل فرمان، وقتل ابن عايض. وفى إحدى الوثائق العثمانية تشير إلى أن الذين قتلوا مع ابن عايض كان عددهم خمسين رجلاً، وأن الاستانة عزلت رديف باشا بسبب هذه الفعلة، واستدعته للتحقيق معه لتجاهله فرمان.

وبعد مقتل محمد تفرق بعض آل عايض فى أطراف عسير السراة^(١) وظلوا مطاردين من قبل الولاة الذين تولوا متصرفية عسير، حيث تحولت إلى متصرفية، ونظمت لها ترتيبات إدارية بغرض إحكام القبضة عليها، وأصبحت خاضعة للإدارة المباشرة من قبل الدولة العثمانية، وإلى هنا ويتضح الموقف بأنه لم تكن هناك إمارة وراثية لآل عايض فى عسير، فلا الأمير عايض تقلدها وراثية، ولا ابنه محمد آلت إليه بالوراثة! ثم ظلت عسير حوالى ثلاثين عاماً (١٢٨٩-١٣١٩هـ) متصرفية تحت الحكم المباشر للدولة العثمانية، حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.

وبتصفح الوثائق العثمانية لهذه الفترة، تتضح بعض الحقائق منها:

أنه كان قد تم القبض على بعض الزعماء من أهل عسير، أثناء حملة رديف باشا، ورحلوا مع من تم القبض عليهم من آل عايض، وتم نفيهم إلى "روم إيلى" وبعد فترة تم العفو عنهم واعدوا إلى عسير عام ١٢٩٤هـ نظراً لاستقامتهم وإعلان طاعتهم للدولة العلية.

وكان من بينهم عبد الرحمن بن عايض، وأخوه سعيد، وهما شقيقا الأمير محمد الذى قتله رديف باشا غدر^(٢) واستمرا فى خدمة الدولة وطاعتها حتى أنعم عليهما — مع بعض زعماء عسير — بنياشين عام

(١) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٤٨.

(٢) الأرشيف العثماني، وثيقة رقم ٤٣٧٨، إرادة داخلية، رقم ٦٠٧٠٨ وتاريخ ٢١ ربيع الأول ١٣٩٤هـ، ووثيقة رقم ٤٣٨٢، إرادة داخلية بتاريخ ٢١ ذوالحجة ١٢٩٤هـ.

١٣٠٢هـ نظراً لاخلاصهما^(١) وكان سعيد بن عايض قد عُيِّن "قائمقام" على قضاء غامد وزهران، ويبدو أنه بعد فترة رغب فى أن يقضى بقية حياته فى هدوء وتعب، واختار الإقامة بمكة المكرمة مجاوراً لبيت الله الحرام، ورفع بذلك إلى المتصرف، الذى قام بدوره بالرفع إلى وزارة الداخلية بالأستانة، فصدرت الموافقة فى ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ، تتضمن تخصيص معاش شهرى له ثم منح نيشان من الرتبة الرابعة لخدماته، وحسن قيامه بأعباء وظيفته^(٢) وعند وفاة أخيهما ناصر بن عايض، قامت الدولة العثمانية بتخصيص مرتبات شهرية لأبنائه فى ٤ ربيع الثانى ١٣٠٢هـ^(٣) وبالنسبة لعلى بن محمد بن عايض، فقد ظل هارباً، وبذل محاولات فى تأليب القبائل على الولاة العثمانيين فى المتصرفية، ثم لما يئس من عدم نجاح محاولاته، قدم للمتصرف وعرض طاعته، وانقياده للدولة، وبالتالي رفع المتصرف الأمر إلى الأستانة، فصدر فى ٧ جمادى الأولى ١٣٠١هـ، أمر بالعفو عنه، وإعطائه الأمان، وتخصيص راتب له^(٤).

(١) وثيقة رقم ٤٥٣٦، إرادة داخلية، رقم ٧٥٤٦٢ بتاريخ ٢١ رمضان ١٣٠٢هـ.

(٢) وثيقة رقم ٤٧٩٤، إرادة داخلية، رقم ٩٤٨٩٧، وتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٠٨هـ ورقم ٤٨٥٢ إرادة داخلية رقم ٩٩٤٦٧ بتاريخ ٨ شعبان ١٣٠٩هـ، وجاء فى وثيقة تالية لذلك تعيين حمدي بك بدلاً منه فى قضاء غامد وزهران.

(٣) وثيقة رقم ٤٥٥٦، إرادة مجلس شورى الدولة، رقم ٤٢٥٢ وتاريخ ٤ ربيع الثانى ١٣٠٢هـ وجاء فى الوثيقة ذكر اسماء ابناء المتوفى وهم: محمد، سعيد، عايض، عبد الرحمن، ولم يورد ابن مسفر اسم الابن الرابع "عبد الرحمن" ضمن الشجرة التى صممها آل عايض. وأورد سعد بدل سعيد، وكذا فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص ١٠٢.

(٤) وثيقة رقم ٤٤٨٠، إرادة داخلية، رقم ٧٢٢٣٧ وتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٣٠١هـ.

وقال سليمان شفيق كمالى باشا، فى مذكراته: كنت قبل سفرى من الأستانة استأذنت الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) فى استمالة من أجدهم أهلاً للعمل من آل عايض، لاستخدامه فى خدمات الحكومة، ونجحت فى نيل موافقة الصدر الأعظم على ذلك^(١) وعند وصولى إلى عسیر وجدت فى كرسيّ وكالة المتصرفية: عبد الله بن محمد بن عايض - ابن الأمير المقتول غدرًا - ولم أعلم كيف تولى هذا المنصب، فأخذت أحقق فى كيفية تعيينه، والوقت الذى تولى فيه هذا العمل، فعرفت أن أمير مكة له دخل فى ذلك^(٢) لكنه لم يرد إحداث شقاق وخلافات فى بداية تسلمه عمله فى المتصرفية، فرفع إلى وزارة الداخلية طالباً تعيين عبد الله بن عايض، فصدرت الموافقة على تعيينه رسمياً فى ١١ ذوالقعدة ١٣٢٦هـ^(٣) ويبدو أنه لم يستمر كثيراً، فقد شك المتصرف فى مدى ولائه فعزل وعيّن بدلاً منه ابن أخيه الحسن بن على بن محمد بن عايض عام ١٣٣٠هـ (١٩١٢م)، الذى كان موجوداً فى هذا المنصب عند رحيل العثمانيين عن عسیر.

^(١) وتصدّقاً لقوله فهناك وثيقة بالأرشيّف العثمانى، رقم ٥٣٨٥، إرادة داخلية بتاريخ ١٦ جمادى الأولى ١٣٢٧هـ/ ١٣ [وهى تحمل التاريخ العثمانى] أى ١٣٢٦هـ التاريخ الهجرى. تتعلق بإحداث منصب مساعد متصرف عسیر، وتخصيص مبلغ ١٥٠٠ قرش معاشاً شهرياً، لمن يشغل هذا المنصب، وجاء فى مورات اصدار هذا القرار: بناء على اقتراح الحكومة، وموافقة مجلس الأعيان، ذلك لأن المتصرف لم يكن قد باشر عمله حينذاك. مع أنه كان قد عين فى ٢٩ ربيع الثانى ١٣٢٦هـ.

^(٢) انظر المذكرات ص ٣١ فقد علما المتصرف ضمن ماأخذه على تدخل الشريف فى شئون عسیر.

^(٣) وثيقة رقم ٥٣٩٩، إرادة داخلية، بتاريخ ١١ ذوالقعدة ١٣٢٦هـ، بناء على إشعار من متصرف عسیر.

لأنقصد بهذا الاستطراد أن نقول إنهم كانوا موالين للدولة، وبمثابة
موظفين عاديين فى خدمتها، بغرض الإقلال من شأنهم أو قدرهم، فهم
بلا شك من وجهاء وأعيان وزعماء عسير، ولهم دور فى قيادتها فى
أصعب الفترات، فلا يمكن بأى حال إنكار دور كل من الأمير عايض وابنه
محمد فى تاريخ عسير، كما أن كثيراً منهم كان على مستوى المسؤولية فى
خدمة بلاده، وأنسم بعضهم بالزهد والتقوى، لكن العيب تجسم فى
الحسن بن على بن محمد بن عايض، الذى وصلت إلى يده السلطة اعتباراً
عند رحيل العثمانيين، فتقلدها بحكم منصبه الذى كان يشغله "مساعداً
متصرفاً"^(١) ولو كان هناك أحد من مواطنى عسير يشغله خلاف الحسن
ابن عايض، فغالب الظن أنه كان سيتسلمها بحكم منصبه هذا.

انتشرت فى العالم العربى أنباء هزيمة الدولة العثمانية أمام الحلفاء،
الذين أملوا عليها شروط هدنة "مندريوس" فى ٢٥ محرم ١٣٣٧هـ
(١٣ أكتوبر ١٩١٨م) والتى من بينها توقف القتال فى كافة الميادين
الحربية، واستسلام حامياتها فى الحجاز، وعسير، واليمن، وسوريا،
والعراق، وتسليم الموائى فى تلك المناطق، وفى شمال أفريقيا إلى أقرب قائد
من قادة الحلفاء (مادة ١٦) وسارعت بريطانيا فى إشاعة هذا النبأ،
وابلاغه رسمياً لقياداتها فى تلك البلاد، ولأصدقائها أيضاً. وظلت معظم
القيادات العثمانية فى تلك البلاد فى حالة قلق واضطراب لعدم وصول

(١) كان هذا هو مسمى الوظيفة التى سعى سليمان كمالى باشا لإحداثها، وذكرت فى قرار وزارة الداخلية
بالاستانة عند أحداث الوظيفة.

أنباء مؤكدة إليهم من مرجعهم الأصلي فى الأستانة. بالرغم من أن القيادات البريطانية حاولت إبلاغهم ذلك وامدادهم بصور من هدنة "مندريوس" لكنهم ظلوا عدة أشهر فى انتظار تعليمات من حكومتهم، توضح لهم كيفية الاستسلام والتسليم، فقد كان الحلفاء يجرون مباحثات أخرى بين تركيا وحلفائها فى لوزان لاقرار تسوية نهائية، بشأن أملاك وحدود الدولة العثمانية، عرفت بمعاهدة لوزان، والتى جاء فى المادة السادسة عشرة منها "تتنازل تركيا عن جميع حقوقها فى الأراضى الواقعة خارج حدودها المحددة فى المعاهدة (بالمادة الستين) وكانت البلاد العربية بكاملها خارج نطاق هذه الحدود^(١) وعندئذ جاءت تعليمات من الأستانة إلى قياداتها بتسليم ماتحت أيديهم من البلاد إلى أهلها باشراف بريطانيا، ونقلهم بواسطتها إلى الأستانة، وكان ذلك فى شهر ربيع الثانى ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م).

نظر متصرف عسير، محي الدين باشا، فىمن حوله، فرأى الإدريسى عدوه اللدود، وعدو دولته، الذى فوضه الانجليز بابلاغ أمر الاستسلام وما يتعلق به، من إخلاء عسير والرحيل بحراً هو وحاميته التى كانت تتكون من ثلاثة آلاف جندى، على السفن البريطانية التى أعدت لهذا الغرض فى ميناء الشقيق، وأرسل الإدريسى أمر الاستسلام مع مندوبين من قبله إلى المتصرف فى أبها، وأحس المتصرف بأن فى هذا إيعازاً بتسليمها

(١) د. أباطة، المصدر السابق، ص ٤٠٩، ٤١٤.

للإدريسى، وبذلك تتحقق الأمنية التى طالما سعى لها الإدريسى منذ زمن بعيد^(١) فأراد ألا يحقق له هذه الأمنية، ثم رأى الشريف حسين فى الشمال وكانت له أيضاً أطماع فى عسير، لكنه اتخذ أخيراً موقفاً معادياً للدولة، باغراء من بريطانيا التى منته بالأماني العراض، فأراد ألا يحقق له أطماعه، أما إمام اليمن فى الجنوب، فمع كونه وقف بجانب الدولة ولو بصورة شكلية، فليس له أدنى حق فى عسير، ولم يبد أية رغبة فى ذلك من قبل، وكانت كل آماله تتركز فى بسط نفوذه على المناطق الجبلية من أرض اليمن، والتى كانت بحوزة العثمانيين خلال الحرب وقبلها، بما فيها صنعاء، ألا ترى أنه لم يستجب لنداء وصرخات القائد العثمانى سعيد باشا بإرسال من يتسلم منه محمية لحج، قبل أن يضطر لتسليمها إلى الانجليز عند الاستسلام والرحيل^(٢) ولم يطالب بالحديدة إلا بعد أن سلمها الانجليز للإدريسى^(٣) لذا أبعد هذه الفكرة عن ذهنه تماماً، مخافة ثورة أهل عسير فيما لو علموا بتردد هذه الفكرة حتى فى خاطره، ولما مكنه الإدريسى من تنفيذها، وحال بينه وبين العودة إلى بلاده معافاً. وإذا فلم يبق أمامه إلا أسهل الطرق وأمنها، وهو تسليمها إلى مساعدته، مثلما كان يفعل بعض المتصرفين المعزولين، أو المنقولين إلى جهة أخرى، ولا ينتظرون قلوب

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣٦.

(٢) د. أباطة، المصدر السابق، ص ٤٠٠-٤٠٤، وأمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٤٢٩-٤٣٢، ود. سالم، المصدر

السابق، ص ٢٢٣، ٢٢٢.

(٣) د. أباطة، المصدر السابق، ص ٤١٠، ٤١١، دخلت قوات الإدريسى الحديدة وتسلمتها من القوات البريطانية فى

٢٢ جمادى الأولى ١٣٣٩ هـ (٣١ يناير ١٩٢١ م)

المتصرف الجديد لتسليمها إليه .. فقام بتسليمها إلى مساعده الحسن بن عايض.

ومن هذا نعرف أنها لم تصل إليه لاعن طريق عهد وراثى، ولا بمبايعة أهل الحل والعقد مثلما كان يحدث فى السابق، فربما لو اجتمع أهل الحل والعقد لكان لهم رأى آخر. وإنما آلت إليه بحكم وظيفته.

اجتمع آل عايض حول الحسن يشدون من أزره، ويديرون أوجه الرأى حول المستقبل المجهول، وهم يرون المطامع تحوم حولهم، فاستقر رأيهم على مهادنة أخطر جهتين تهددانهما ذاك الوقت، وهما الادريسى، والشرىف حسين، واتفقوا على:

- أن يتوجه محمد بن عبد الرحمن بن عايض إلى الشرىف حسين للتفاوض حول عقد اتفاقية تتضمن ربط عسير بمعاهدة حماية معه، كى يطمئنوه بأن عسير من توابع الحجاز، ولذا فقد أتوه قبل أن يأتى إليهم.

- أن يستمر الأمير الحسن بن على بن عايض فى الاتصال بالادريسى بنوع من المودة انتظاراً لما تسفر عنه مباحثات وفدهم فى مكة المكرمة.

وعرف الادريسى بسفر محمد بن عبد الرحمن، فاهتم باستمالة الحسن إليه، وتحت تأثير المغريات ذهب الحسن إلى صبيبا للتفاهم مع الادريسى، دون انتظار عودة ابن عمه من مكة. وعقد اتفاقية مع

الادريسي دخل بمقتضاها تحت نفوذه، وقبل بموجبها أن يحكم عسير نائباً عن الإمارة الإدريسية، مقابل الحصول على خمسة آلاف جنيه شهرياً. وأن يكون بجانبه مندوب للادريسي، للاستيلاء على مخلفات العثمانيين من العتاد والسلاح، واستلام الزكوات المقررة، وعاد الحسن إلى مقره في أبها، وبرفقته مندوب الادريسي ابراهيم الشوكاني، الذي بادر بالعمل على انجاز المهام المنوطة به من جمع السلاح والزكوات، وأحس بأن ابن عايش أخذ يتبرم وبدأت مؤشرات التنصل من الاتفاق تظهر، وبخاصة عندما عاد ابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عايش من الحجاز، يحمل اتفاقاً آخر مع الشريف حسين^(١) فبعث الحسن وفداً إلى الإدريسي يشير بعض المشاكل لتكون ذريعة لالغاء الاتفاق. فأدرك الإدريسي نوايا الحسن فاحتجز الوفد لديه، وقام بقطع المواصلات مع عسير، لمنع البضائع عنها، ظناً منه أنه سيضيق عليهم الخناق، فيعودون إلى صوابهم، لكن هذه الخطوة لم تؤثر فيهم فلديهم منافذ أخرى، كالقنفذة أتت إليهم البضائع منها، فضلاً عن زيادة اتصالاتهم بالحجاز، التي تدفق عليهم منها المال والسلاح، كما سعوا في إثارة القبائل الخاضعة لنفوذ الادريسي، بالثورة عليه، فبعضهم استجاب وبعضهم رفض، عندئذ قرر الادريسي إخضاعهم بالقوة فبعث جيشاً يقوده حمود سرداب تحرك من "الشعيين" عن طريق وادي "العوص" والعقبة "الصماء" مرتقياً سطح جبل "تهلل" ففوجئ بالقوات العسيرية في انتظاره على أهبة الاستعداد، فألحقت به هزيمة ارتد على إثرها إلى مركزه

(١) انظر فيما سبق العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣٧، ٧٣٨

فى "الشعبين"^(١) ومن هنا ارتدى الحسن ثوب الغرور والكبرياء، والغرور يعمى صاحبه عن سلوك الطريق القويم، ومن ثمَّ يقوده إلى الهاوية!

ومن هنا أيضاً تتابعت الأحداث وتفاعلت بصورة جذبت الملك عبد العزيز إلى تيارها، وقد كان فى شغل شاغل، أما وقد استدعته، وأثارت مشاعر النخوة المتأججة أصلاً فيه، فلا بأس .. ونعمًا هي!

وأياً ماكان فإنه مما تجدر الإشارة إليه أن منطقة عسير - منذ عودة النفوذ العثماني المباشر إليها عام ١٢٨٨هـ (١٨٧٢م) حتى رحيلهم عنها عام ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) - كانت قد بدأت فى شكلها الاستقلالى الإدارى، حين صارت "صنحقا" مستقلاً عام ١٢٧٨هـ، ثم متصرفية متميزة ترتبط مباشرة بالسلطة العليا فى الأستانة، وقام المتصرفون الذين تقلدوا منصب المتصرفية على التوالى بدور أساسى فى مجال استقلالها، حتى أن حكام الأفضية فيها، كانوا يعينون هم أيضاً من قبل نظارة (وزارة) الداخلية بالأستانة، وبعضهم كان يتم اختياره من بين مواطنيها، حسبما تشير إلى ذلك الوثائق العثمانية.

كما كان لها أعضاء يمثلونها فى مجلس المبعوثان (البرلمان) بالأستانة، بلغ عددهم فى بعض الأوقات إلى ستة أعضاء، عضو عن كل قضاء من أفضية المتصرفية الست، وكان هذا يعتبر أكبر تمثيل فى مجلس المبعوثان عن

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣٩، ٧٤٠.

أية متصرفية أو إيالة من الإيالات العثمانية، وهذا دليل على اهتمام الدولة بها، والعمل على تحسين وإحكام الإدارة فيها، وهو دليل أيضاً على نمو الوعي الدينى والثقافى والفكرى، الذى يدفعهم لرفض أسلوب ابن عايش فى ظلمه لهم.

الباب الثالث

الملك عبد العزيز وانضمام عسير وجازان إلى كيان المملكة العربية
السعودية، وثقاس الحدود السعودية اليمنية.

- الفصل الأول: مراحل عودة النفوذ السعودي إلى كل من عسير وجازان حتى انضمامهما.
- الفصل الثاني: مؤتمر أبها، اندلاع الحرب، الوساطة العربية، معاهدة الطائف، ودراسة لبعض محتوياتها.
- الملاحق.

الفصل الأول

مراحل عودة النفوذ السعودي إلى كل من عسير وجازان حتى انضمامهما

ليس من نافلة القول بل من متطلباته أن نعرض للوضع السياسى الذى كانت تعيشه وسط شبه الجزيرة العربية قبيل عودة النفوذ السعودى إلى عسير، ومن ثم إلى جازان.

فمنذ عزم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود^(١) على استرداد ملك آبائه، ووضع يده على مدينة الرياض صباح ٥ شوال ١٣١٩هـ (١٤ يناير ١٩٠٢م) ودائرة نفوذه تتدرج فى الاتساع شيئاً فشيئاً نحو الاكمال، لاحتواء البلدان والمناطق التى كانت تتكون منها دولة آبائه، رافعاً هذا الشعار فى وجه القوى المحلية والأجنبية على حد سواء، وعرفت عنه بريطانيا أنه مطالب عنيد لا يعرف اليأس، ولا يبالى بالمخاطر، لكنه صادق فى تعامله، وكانت تربطها ببعض القوى المحلية اتفاقيات حماية لهم، ولما تحت أيديهم، بينما مايجوزتهم، وما تحت أيديهم كله أو جزء منه

^(١) عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود، الذى تنسب له الأسرة الحاكمة السعودية، والامام محمد بن سعود هو مؤسس الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ، التى تناولنا طرفاً من تاريخها خلال السرد التاريخى لهذا البحث، أما الملك عبد العزيز فهو أشهر من أن يعرف، ولد ليلة ١٩ ذى الحجة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) وتوفى يوم ٢ ربيع الأول ١٣٧٣هـ (٩ نوفمبر ١٩٥٣م) وسبق أن أوردنا نسب آل سعود، انظر هامش (١) ص ٢٦.

من مطالبات عبد العزيز، وهو يسعى للاستحواز عليه، إن عاجلاً أو آجلاً، حسبما تسنح الظروف، فكانت معادلة صعبة فى حسابات الإنجليز، أن يبقوا على صداقته، وفى الوقت نفسه هم مطالبون بحماية حلفائهم من طموحاته، وبالأحرى من مطالباته، ولذا فطالما وضعوا العراقيل أمام طموحاته، لاستمرارية المعادلة الصعبة، خشية الاخفاق، وتداعى التوازنات.

استرعى انتباه العالم بعد أن وُحِدَ نجداً، وانتزع الأحساء من العثمانيين فى ٥ جمادى الأولى ١٣٣١هـ (١٠ مايو ١٩١٣م) أى قبل نشوب الحرب العالمية الأولى بحوالى عام. ولم يكن أمام العثمانيين مفر من التسليم بالأمر الواقع، واعترفوا به حاكماً على نجد والأحساء، ولقبوه بـ "صاحب الدولة".

ثم نشبت الحرب العالمية الأولى، وكان نفوذ عبد العزيز قد امتد وقتها من جنوب الكويت إلى شمال قطر على الخليج العربى، ومن قطر جنوباً فشمل وادى اللواسر، والربع الخالى، وغرباً إلى أطراف الحجاز، ثم جنوباً بمحاذاة الحدود الشرقية لعسير (المتصرفية) ونجران الموالية^(١) ونذكر ذلك لأن عبد العزيز، الذى كان مستقلاً بإمارته ذاك الوقت، لم يستفد من الحرب العالمية، ولا من رحيل العثمانيين عن بلاد العرب، مثلما استفاد غيره، من الأمراء المحليين، فقد ظل حيادياً، صادقاً فى تعهدهاته لكلا

(١) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢١٥.

الأطراف المتصارعة، ولم يستغل المواقف مثل غيره، وكان بمقدوره أن يفعل الأعاجيب، لو كان نهائياً للفرص، مستجيباً للنوعى الإغراء التى طرحت أمامه.

خشى عبد العزيز أن يصل لهيب الحرب العالمية إلى بلاد العرب، فتحترق بنار غيرها، حين يزج أمراؤها أنفسهم فى أتونها، فكتب إلى جيرانه الأقربين الثلاثة - على الرغم من العداء أو التنافس - ابن رشيد، الشريف حسين، مبارك الصباح، مقترحاً عليهم الاجتماع لاتخاذ موقف موحد يضمن تجنب العرب أهوال تلك الحرب، لكن دعوته لم تجد لها آذانا صاغية، لأن كلاً منهم قد رتب أموره على الاستفادة بأقصى ما يستطيع، فكان ابن رشيد مع الدولة العثمانية، والشريف حسين مع بريطانيا، ومبارك معها أيضاً، فقرر هو أن يظل حيادياً^(١).

بادر الانجليز بتقديم الاغراءات له على أن يهاجم ابن رشيد الموالى للدولة العثمانية^(٢)، أو أن يبعث قوات تحاربهم فى المدينة المنورة، أو الطائف، أو عسير. وبعث له الدولة العثمانية وفدين، أحدهما عن طريق البصرة برئاسة طالب النقيب، والثانى عن طريق المدينة المنورة كان من

(١) الزركلى، المصدر السابق، ص ١١٥، ١١٦.

(٢) كانت لهم قوات فى المدينة المنورة يقودها صبرى باشا، ثم عمر فخر الدين باشا، وكانت لهم حامية فى جدة، وفى قلعة أحياد بحكمة المكرومة، تحت قيادة الوالى العثمانى غالب باشا، وعند إعلان الشريف حسين الثورة على الأتراك، قاوموا فترة ثم انسحبوا إلى الطائف بعيداً عن الأماكن المقدسة، وعن مرمى الاسطول البريطانى. كما كانت قواتهم فى عسير تحت قيادة عمي الدين باشا، كما مر بنا.

أعضائه المؤرخ العراقي محمود شكرى الألوسى، المناصر للسلفيين، فلم يستجب لهؤلاء، ولا لولئك^(١) وكتب له فيصل بن الحسين فى ١٢ محرم ١٣٣٥هـ (١٠ نوفمبر ١٩١٦) يشكو من استمرار التجارة بين القصيم والمدينة المنورة لتزويد القوات العثمانية بما تحتاجه، وكتب له الشريف حسين فى ٤ جمادى الآخرة ١٣٣٥هـ (٢٧ مارس ١٩١٧م) يطلب منه إرسال حملة على ابن الرشيد فى حائل، كما بعث له فخر الدين باشا من المدينة المنورة فى شوال ١٣٣٦هـ (يوليو ١٩١٨م) يعرض عليه تزويده ببعض الأسلحة لمحاربة حسين بن عون، (هكذا) وإزاحته عن الحجاز، وفتح طريق الحج للمسلمين^(٢) كما بعث إليه الوالى العثماني غالب باشا، قائد حامية الحجاز، طالباً إمداده ببعض القوات والعتاد لتخليص البلاد من الشريف حسين وتسليمها له، وفى الوقت نفسه أرسل الشريف حسين ثلاث صرر (أكياس) من الذهب على فترات كى يغريه بالانضمام إلى صفوف المحاربين للدولة العثمانية فى بلاد العرب^(٣) لكنه ظل على حياده، صادقاً فيه، طوال الحرب العالمية الأولى، وتفرغ لتوطيد الأمن داخل بلاده، ولم يحارب آياً من خصومه فيما عدا ابن رشيد، عندما استفزه إلى ذلك، فى ٧ ربيع الأول ١٣٣٣هـ (١/٢٤/١٩١٥م) فى موقعة جراب، التى قتل

^(١) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢١٥-٢٢٠، وأمين سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٢، ٧٣.

^(٢) مشيراً بذلك إلى أن الشريف كان قد منع حجاج نجد، وحجاج الولايات التابعة للدولة العثمانية من أداء الفريضة، وانظر فيما سبق، الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٤٣-٢٤٦. وقد أتى بنصوص تلك المكاتبات.

^(٣) الزركلى، المصدر السابق، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

فيها الكابتن شكسبير، المندوب البريطاني الذي قدم إلى الرياض للتفاوض، عند الزحف لهذه المعركة، وأصر على المشاركة فيها^(١).

هذا موقف واحد من أعمال عديدة اتسمت بالحكمة والتزوى وبُعد النظر، لرجل ملك السيف والعقل معاً، وعرف كيف يستعمل كلا منهما في موضعه، وحقيقة لو لم يكن عبقرياً لما كان بمقدوره أن يصل في النهاية إلى هذا البنيان الشامخ.

واستكمالاً للموقف السابق، ففي المرحلة الأخيرة لنهاية الحرب العالمية، وبالأحرى عقب انتهاء الحرب بين الشريف حسين والعثمانيين في المدينة المنورة، وكان قد لقب نفسه بملك العرب، انتابه نوع من الزهو والغرور، فصوب وجهه نحو نجد، وبدأ ابنه الأمير عبد الله في إرسال مكاتبات إلى سلطان نجد تحمل شيئاً من الاستفزاز والتحرش^(٢) ثم زحف عبد الله بن الحسين بجيش مجهز بالمعدات الحربية الحديثة التي استولوا عليها من العثمانيين، ومن مستودعاتهم، وكان يرافقه مجموعة كبيرة من الضباط والجنود النظاميين وبعض البدو وبلغ عددهم سبعة آلاف، وعلم سلطان نجد بزحفهم، فأعلن النفير العام، وعند مسير الأمير عبد الله بقواته أعلن

(١) جون فيلي، تاريخ نجد، ص ٤٢٥، أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ص ٢٢٠-٢٢٢، الزركلي، المصدر السابق، ص ٢٢١، ٢٢٢، أمين سعيد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٠.

(٢) عن موقعة تربة والمراسلات التي سبقتها، انظر: أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٤٤-٢٥٧، وحافظ وهبة، جزيرة العرب في القرن العشرين، ص ٢١٤، والزركلي، المصدر السابق، ص ٣١٦-٣٢٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص ٨١-٩٣، حيث أوردتها بتفاصيل وافية.

أنه ذاهب لتأديب العصاة ممن خرجوا عن طوعهم، فى تربة والخزرة، واجتمع به والده فى "عشيرة" وبحثوا فى خطة الزحف للاستيلاء على تربة والخزرة، ثم السير إلى نجد، بعدها تقدم عبد الله واستولى على تربة بسهولة ٢٤ شعبان ١٣٣٧هـ (مايو ١٩١٩م) لأن طلائع قوات الملك عبد العزيز كانت تعسكر بالقرب من الخزرة، وعزم عبد الله على أن يتحرك فى اليوم التالى بقواته للاستيلاء على الخزرة، فإذا بطلائع قوات عبد العزيز لاثمله إلى شروق شمس اليوم التالى، وتباغته ليلاً، وتقضى فى عدة ساعات على جميع قواته، ولم ينج إلا شارد أو هارب، وكان الأمير عبد الله نفسه من بين من هربوا بأعجوبة. وغنم سلطان نجد الأسلحة والمعدات التى كانوا يتباهون بها، وخسروا جيشهم، وكانت نكبة أخرجتهم من حالة الزهو والنشوة التى كانوا يعيشون فيها، وظنوا أن سلطان نجد سيواصل زحفه إلى الطائف ومكة، فأجروا اتصالاً ببريطانيا للعمل على إيقاف زحفه، لكنه لم يزحف وقرر الاكتفاء بما كان، ورأى أنه ليس من الحكمة التقدم فى الوقت الحالى، ثم إذا بقرية تصله من الحكومة البريطانية فى ٥ رمضان ١٣٣٧هـ (٤ يونيو ١٩١٩م) تطلب منه عدم التقدم، وهو ماتوقعه وقرره مسبقاً، مكثياً بتأكيد نفوذه الرسمى على تربة والخزرة، وما يقع فى نطاقهما من قبائل، وزاد نحمه تألقاً وسطوعاً، واستحوذت هيئته على القلوب.

وكان لهذه الواقعة دوى هائل فى أنحاء الجزيرة العربية لعدة اعتبارات، من بينها: وضع حد لفطرسة ومزاعم الشريف حسين، من

كونه ملكاً على العرب وخليفة المسلمين، وأنه المتحدث باسم العرب، فحجمته فى نظر العرب والأجانب، فبدأوا يعيدون حساباتهم للأهتمام بالكفة الراجعة^(١) كما كان لها تأثيرها الفعال وسط القبائل فى المنطقة، فمعظم القبائل تلتف حول القائد المنتصر، أو التى تتوقع أن يكون النصر حليفه، لأغراض متنوعة، وأما وقعها على قبائل عسير وتهامة القرييين من مكان الموقعة، فكان الإعجاب الممتزج بنوع من الاعتزاز لأنها أعادت إلى أذهانهم أمجادهم السابقة فى ظل الدولة السعودية الأولى، والتى كان من مردودها أنهم مايزالون فى توجهاتهم سلفيين، ويكونون لآل سعود المودة والموالة. ومن هنا كان التلاقى الذى أدى إلى عودة النفوذ.

عسير

قامت صحوة بين بعض قبائل عسير، وبخاصة قبائل قحطان وشهران وزهران وغيرهما، تدعو إلى إحياء مبادئ الدعوة السلفية، وأنتشرت هذه الصحوة بين قبائل عسير. وكان الحسن بن عايض لم يحض عليه فى منصبه سوى عدة أشهر، منذ تسلّم شئون متصرفية عسير من محبى الدين باشا، آخر الولاة العثمانيين عند رحيله، أوائل شهر ربيع الثانى ١٣٣٧هـ (يناير ١٩١٩م) حين شاهد هذه الصحوة تسرى بين القبائل،

^(١) فيلبى، المصدر السابق، ص ٤٣٣-٤٣٦.

عقب معركة تربة التي وقعت في أواخر شعبان ١٣٣٧هـ، فأحس بأن فيها تهديداً لسلطته، فعمل على مقاومتها.

كان ابن عايض يفتقد إلى الحس الدينى والسياسى الواعى، ولو نظر إلى موقف أجداده، والأمراء قبلهم، لكفى نفسه عاقبة ماحدث. ومما قيل فى تحليل شخصيته: شرع فى إدارة بلاده، بعد جلاء الترك، على شكل أحفظ الناس^(١) وكان مستبداً ظالماً نفرت منه القبائل، خصوصاً قحطان وزهران، فأرسلت وفودها شاكية إلى ابن سعود^(٢) وانصرف عن إدارة الحكومة إلى اشباع شهواته من متع الحياة ولذاتها^(٣) وحصلت بينه وبين رعاياه خلافات أدت إلى لجوئهم إلى عبد العزيز شاكين من ظلم "حسن" وعسفه^(٤).

وكانت لأسلاف عبد العزيز سيادة على مقاطعة عسير، ودخلت ضمن أملاكهم، وأهلها شوافع، فكذب السلطان عبد العزيز - عقب وفود مندوبى تلك القبائل إليه بالرياض - إلى الأمير حسن وإلى رؤساء قحطان وزهران ينصحهم بالمسألة، ويدعوهم إلى الرجوع إلى ماكان عليه أجدادهم، من العمل بكتاب الله وسنة رسوله، وبعث إليهم ستة من علماء نجد لاصلاح ذات البين. لكن الأمير حسن رفض الوساطة، وردّ

(١) فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب، ص ٣٦٢.

(٢) امين الريحانى، تاريخ نجد، ص ٣٠٠.

(٣) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٤٩، نقلاً عن كتاب "صقر الجزيرة" لعبد الغفور عطار.

(٤) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٤٩، نقلاً عن مخطوطة خالد الفرج.

الوفد ردّاً قبيحاً، وقال: إذا كان ابن سعود يتدخل فى شئون قبائل عسير، فسنمشى إلى بيشة النخل ونستولى عليها^(١).

وسبق أن عرفنا أن الحسن كان قد عقد تحالفاً مع الشريف حسين، وألقى تحالفه مع الإدريسى، مما استدعى من الإدريسى أن يجهز عليه حملة، فهزمت عند سطح جبل "تهلل" عندها انتابت الحسن حمى الغرور والزهر^(٢) وكان منه هذا التصرف غير اللائق حيال وفد العلماء، والرد الاستفزازى المثير! فما أشبهه بموقف الشريف حسين، وابنه عبد الله قبيل معركة "تربة" من حيث الغرور والغطرسة!

كانت التوقعات ترشح حائل فى مسيرة عبد العزيز لضمها ذاك الوقت، بعد هزيمة الدولة العثمانية حاميتها وراعيها، وذلك قبل أن يمتد إليها أى نفوذ آخر^(٣) لكن ابن عايش استفزه واستدعاه للمجاولاة، فجهز عليه حملة قادها ابن عمه عبد العزيز بن مساعد بن جلوى فى شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) استولى على عسير بعد عدة وقائع، استسلم فى

^(١) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٠٠، والزركل، المصدر السابق، ص ٢٤٩، والعقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤١، ٧٤٢، وأمين سعيد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٥، ٩٦، ولعل فى كلام ابن عايش ما يشير إلى مدى نفوذ وسلطة سلطان نجد، وأنه تمتد إلى بيشة وماواها جنوباً ذاك الوقت.

^(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣٨-٧٤٠.

^(٣) كان الشريف حسين يطمع فى مد نفوذه إليها، وكذلك ابنه فيصل فى العراق بمجرد أنها أصبحت وحيدة فى الميدان بينما كان بيت آل رشيد يعيش فى مأساة بداخله، حيث حلت الصغية الجسدية بينهم، محل التفاهم والحوار الهادئ، وهى بداية النهاية. وحائل من مناطق وسط شبه الجزيرة، وامتداد طبيعى وتاريخى لنجد.

نهايتها الحسن بن عايض، وابن عمه محمد بن عبد الرحمن بن عايض^(١) ولم يكن مضى سوى عام وثلاثة أشهر تقريباً، منذ تسلم الحسن شئون عسير (المصرفية) من الوالي العثماني، ثم أرسلهما ابن مساعد إلى السلطان عبد العزيز في الرياض.

وفى لقاتهما به، قال لهما عبد العزيز: ماتخيلنا أبداً عنكم يا آل عايض، فعندما سأل الترك الشريف عبد الله بن عون^(٢) أن يهاجمكم وينكّل بكم، أرسل الشريف يستجد عمى الإمام عبد الله - ليساعده عليكم - فأجابه: ابن عايض رجل منا، فكيف نساعدك عليه؟ (ويقصد الأمير محمد بن عايض فهو الذى كان معاصراً لكل من الامام عبد الله ابن فيصل، والشريف عبد الله بن محمد بن عون).

ولقيا العفو والأمان فبايعا ابن سعود على السمع والطاعة، وأقاما شهراً فى ضيافة السلطان عبد العزيز، ثم عرض على حسن بن عايض العودة إلى إمارته فى أبها، مشروطاً أن يكون معه كما كان أسلافه مع آل

^(١) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٥٠، أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٠٠، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص ٩٦، والعقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٤٢، والمصادر تذكر محمد بن عبد الرحمن بن عايض على أنه ابن عم الحسن بن عايض، والصواب أنه بنزلة عمه، وليس ابن عمه، فهو محمد بن عبد الرحمن بن عايض بن مرعى، والحسن هو ابن على بن محمد بن عايض بن مرعى، ومحمد هذا هو الذى ذهب إلى مكة المكرمة فى بداية حكم الحسن، وعقد معاهدة مع الشريف حسين، وقد توفي بالرياض فيما بعد عام ١٣٥٣هـ، كما يقول فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص ١٠٢.

^(٢) تولى إمارة مكة عام ١٢٧٤هـ (١٨٥٨م) حتى وفاته عام ١٢٩٤هـ (١٨٧٨م).

سعود، فاعتذر قائلاً: عاديّنا الناس، ونخشى إذا عدنا إلى الإمارة أن يقوموا علينا، ولكننا نكون معاونين لمن تولونه الإمارة أيّدكم الله، ولا تقصروا علينا من جهة الدنيا .. فقبل السلطان عذره، وأعادته هو وابن عمه إلى بلادهما، بعد أن منحهما ٦٥ ألف ريال (٦٥٠٠ جنيه ذهب) وخصهما وأهلهم بمشاهرات مالية^(١) ويقال: إنه وردت لابن سعود مكاتبات تحمل عدة توقيعات من بعض زعماء عسير، يطلبون من عبد العزيز ألا يسمح لآل عايض بالرجوع اجتناباً للفتن، لكنه تغاضى عن ذلك^(٢).

عاد الحسن وابن عمه محمد إلى أبها راضين معتبطين من حسن المعاملة، وأقاما بجوار الأمير الذي كان قد عينه ابن مساعد حاكماً على عسير بتوجيه من السلطان، وهو: شويش الضويحي المطيري، ثم مالّب الحسن بن عايض أن كتب للسلطان عبد العزيز يشكو هذا الأمير، فعزله وعين بدلاً منه عبد الله بن سويلم، لكنه لم تمض عليه فترة حتى شكاه أيضاً إلى السلطان، فعزله وعين بدلاً منه فهد العقيلي^(٣).

وكان الحسن يعتمد شكاية أمراء عسير من قبل عبد العزيز، لإظهار نفوذه أمام قومه، وإيهامهم بمدى سلطته كخطوة أولى للانقضاض على

(١) أمين الرحمانى، المصدر السابق، ص ٣٠١، والزرّكلّى، المصدر السابق، ص ٢٥٠، والعقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤٢.

(٢) د. عصام ضياء الدين، عسير في العلاقات السياسية السعودية اليمنية، ص ٤٩.

(٣) الزرّكلّى، المصدر السابق، ص ٢٥٠، وليس صواباً ما ذكره فؤاد حمزة، البلاد العربية السعودية، ص ٦١، من أن الملك عبد العزيز أعاد الحسن بن عايض أميراً على أبها، وأرسل معه مندوباً يقيم إلى جانبه.

السلطة، وشرع يدس الدسائس على ابن سعود، ويؤلب عليه القبائل، وجرت بينه وبين الشريف حسين اتصالات، تدفقت إليه على إثرها الأموال والعتاد لتأليب القبائل، والاستعداد للانقضاض^(١).

استأذن الحسن من فهد العقيلي للذهاب إلى بلدته "حرملة" لإحضار عائلته للإقامة معه في "أبها" فأذن له، فلما وصلها امتنع عن العودة، وسعى في تأليب القبائل، وأخذ يوزع عليهم الأموال والسلاح الذي تتابع وصوله إليه من الشريف حسين، ثم سار بمن تجمع حوله إلى "أبها" وحاصر أميرها فهد العقيلي، لمدة عشرة أيام حتى اضطره هو وحاميته القليلة العدد إلى الاستسلام، على أن يعودوا إلى الرياض بأسلحتهم الخفيفة، غير أن العقيلي استطاع بعد خروجه من أبها أن يجمع بعض الموالين من القبائل، وراح يغير على الحسن بن عايض وأنصاره، ثم تمكن الحسن من وضع كمين للعقيلي وقبض عليه في حميس مشيط، ووضعه في السجن، وقام بحرق بعض بيوت الزعماء الموالين لآل سعود، ومن بينهم بيت سعيد بن مشيط^(٢).

(١) الزركلي، المصدر السابق، ص ٢٥١.

(٢) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٠١، العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٤٣، الزركلي، المصدر السابق، ص ٢٥١، د. عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٥٠، وابن مشيط رئيس أكبر بطون قبيلة شهران وكان يقيم في بلدة "ذهبان" فؤاد حمزة، في بلاد عسير، ص ٨٠.

ويبدو أن التوقيت لهذه الفتنة كان متوافقاً مع حملة سلطان نجد على حائل لضمها، والتي استغرقت المناوشات والحصار فيها أكثر من عام^(١) حيث تم الاستنفار إليها في شهر جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ (فبراير ١٩٢١م) حتى تم ضمها في ٢٩ صفر ١٣٤١هـ (٢٠ أكتوبر ١٩٢٢م) ورعاً أريد انتهاز فرصة الانشغال بحائل، لتنفيذ ما يراود صنعه في عسير، على حين غفلة من ابن سعود، فاستغلت بعض الأحداث اليسيرة ودفع بها حتى تفاقمت الأوضاع، مثلما يستغل مستصغر الشرر في إيقاد نيران يرتفع لهيبتها^(٢) غير أن ابن سعود لم ينتظر حتى يفرغ من حائل، فلديه الاستعداد والمقدرة ذاك الوقت، للمجابهة في أكثر من جبهة على هذا المستوى.

جهز ابنه فيصل (الملك فيما بعد) على رأس حملة مكونة من ستة آلاف رجل، خرجوا من الرياض في شهر رمضان ١٣٤٠هـ (مايو ١٩٢٢م)^(٣) وانضم إليه خلال مسيره أربعة آلاف من قحطان وغامد

(١) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

(٢) فيقال: إن خادماً من خدم الأمير فهد العقبلي اشترى من السوق حطباً، فلم يجد من يحمله، فطلب من أحد المارة حمله، فرفض فضربه، فقا به بالمثل، وتجمهر الناس، وتأزم الموقف، وانتقلت الأخبار - مشوهة ومبالغ فيها - إلى بعض القبائل، فزحفت إلى أبها، واستغل الحسن هذا الزحف وركب الموجة، وقاد هذا الزحف، د. منير العجلاني، فيصل العظيم، ص ٦٦.

(٣) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٠٢. وفيه أن المقابل هو شهر (حزيران) يونية، وفي مقابلة التواريخ وجد أن المقابل لشهر رمضان هو مايو. لا يونية. والزركلي، المصدر السابق، ص ٢٥١. وفيه أنه زحف بحملته هذه أواخر عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) والصواب كما قال الريحاني، لأنه خلال هذه الحملة كانت حادثة "تنومة" التي --

وزهران وغيرها^(١) وبعد عدة وقعات دخل الأمير فيصل "أبها" فى صفر ١٣٤١هـ (أكتوبر ١٩٢٢م) ثم استولى على "حجلة" التى كان قد فرّ إليها الحسن بن عايض، متحصناً فيها، فهرب منها أيضاً هو وبعض قومه إلى القنفذة، ومنها إلى مكة المكرمة مستنجداً بحليفه الشريف حسين، فبعث معه جيشاً لمساعدته بقيادة كل من الشريف عبد الله بن حمزة الفعر، والملازم حمدى بك، قائد حامية ينبع، لكن جيش الشريف منى بهزيمة فادحة، وغنم جيش الأمير فيصل مامعهم من أسلحة وعتاد حربى وموينات^(٢).

وقبيل ذلك بقليل كان الشريف حسين قد تعاهد سراً مع إمام اليمن على التصدى لابن سعود، وتسرب خبر هذا الاتفاق^(٣) وأثناء مطاردة فلول المنهزمين من جيش الشريف، رأى عبد العزيز بن إبراهيم - أحد قادة جيش الأمير فيصل، الذى أوكل إليه أمر "أبها" ومحاوّلها - قافلة قادمة من الجنوب، وعرف أمير أبها منهم أنهم قادمون للحج، وكان عددهم كبيراً، ويحمل بعضهم أسلحة، ويشهرها علناً مما يثير الشك فى أمرهم، فخشى

-- وقعت أثناء قلوب الحجاج إلى موسم ذاك العام، فى شهر ذى القعدة ١٣٤٠هـ، فضلاً عن أن الريحاني كان فى الرياض عند عودة هذه الحملة، ومن المؤكد أنه كان قد عرف تاريخ خروجها من الرياض إلى عسير

(١) أمين الريحاني، المصدر السابق، ص ٣٠٢.

(٢) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٥١، والريحاني، المصدر السابق، ص ٣٠٢، ٣٠٣، د. عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٥١، سعود بن هذلول، تاريخ ملوك آل سعود، ص ١٢١-١٢٣.

(٣) نشر أمين الريحاني صورة أومسودة هذه الاتفاقية، فى "ملوك العرب" ص ٢١٨-٢٣٣، وانظر، الجرافى، المصدر السابق، ص ٢٩٨، ٣٠٤.

أن يسلكوا الطريق الذى تدور فيه رحى المعركة، فنصحهم بسلوك طريق آخر، فرفضوا، وحدث ماتوقه من قبل أمير أبها، حيث ظنهم المقاتلون قوات يمنية قدمت لمساعدة جيش الشريف، بناء على الاتفاق المشار إليه، وكانت حادثة "تنومة" التى استغلها البعض سياسياً، بعد وقوعها بزمان^(١).

وبعد أن استتب الأمر فى عسير للأمير فيصل ولّى عليها سعد بن عقيصان أميراً، لكنه مالبث أن توفى، فولى مكانه عبد العزيز بن ابراهيم، السياسى المخنك وترك معه حامية مكونة من ٥٠٠ جندى، ورجع الأمير فيصل إلى الرياض فدخلها فى ٢١ جمادى الآخرة ١٣٤١هـ (٧ فبراير ١٩٢٣م)^(٢).

وقيل إن الشريف حسين جهز حملة ثانية قادها كل من الشريف عبد الله الفعر والحسن بن عايض عام ١٣٤٢هـ، فتصدى لهما ابن عقيصان وهزمهما، ثم توفى على إثرها، ولما تولى الإمارة عبد العزيز ابن ابراهيم، لم يمكنهم من إرسال حملات، ووطد الأمن فى عسير، واستسلم

(١) هامش ص ٥٠ من كتابنا، مطالعات فى المؤلفات التاريخية اليمنية، وانظر نفس الصفحة، ومابعدها فقد تعرضنا إلى تداعيات حادثة تنومة بشئ من التفصيل.

(٢) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٥٢، ٢٥١، والريحانى، المصدر السابق، ص ٢٠٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص ٩٦، ٩٧، الذى قال بأن الأمير فيصل غادر المنطقة (عسير) قبل وصول الحملة التى أرسلها الشريف حسين لمساعدة آل عايض، والتى منيت بهزيمة، وأنه كان قد ولّى على عسير، سعد بن عقيصان، فتوفى، فخلفه ابن جيفان، ثم تسلم منه الإمارة عبد العزيز بن ابراهيم، المعروف بالهاء والمقدرة، فوطد الأمن .. ويدلو أن ابن جيفان خلف ابن عقيصان مؤقتاً حين تأتى توجيهات السلطان عبد العزيز بن تولى الإمارة فى عسير. فجاءت بتولية عبد العزيز بن ابراهيم.

إليه الحسن بن عايض، ومن كان يشايعه من آلّه، فأرسلهم إلى الرياض، فلم يجدوا من ابن سعود غير الرعاية، وظل بعضهم فى الرياض معززين مكرمين، مثل الكثيرين من أمثالهم^(١) ممن كانت لهم خصومة مع عبد العزيز، فقد كان مبلّوّه "عفا الله عما سلف" ولذا تحوّل الخصوم إلى أصدقاء ومناصرين.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أنه منذ انضواء عسير إلى سلطنة نجد وملحقاتها، على إثر الحملة التى قادها ابن مساعد فى شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) فقد ترتب على هذا الانضمام أن تماسّت الحدود بين السعودية واليمن، فيما هو جنوب عسير، ولم تحدث مشاكل حدودية قبلية أو غيرها، كما لم يترتب على ذلك ردود فعل سياسية من الطرفين، وبالأحرى من جهة الأئمة فى صنعاء، التى كانت تخشى تقدم القوات السعودية إلى القسم الجبلى بأرض اليمن فيما هو جنوب عسير، أثناء هذه الحملة فلما توقفت عند حدود عسير، اطمأنت وزال التوتر^(٢).

وبذلك أكد هذا النفوذ وجوده الشرعى، دينياً، وتاريخياً، وسياسياً، بلا مشاحة، منذ ذلك التاريخ، وكان للوجود السعودى فى عسير الدور

^(١) الزركلى، المصدر السابق، ص ٢٥٢، وغوّد حمزة، فى بلاد عسير، ص ١٠١-١٠٣، وامين سعيد، المصدر السابق، ص ٩٧.

^(٢) انظر الوثيقة الانجليزية (F.O 118-371-5255-271) بتاريخ ١٠ يونية ١٩٢١م، عبارة عن تقرير من المعتمد البريطانى فى عدن إلى وزير المستعمرات فى لندن يتضمن اخبار تهامة وعسير واستيلاء ابن سعود على أبها، وعشية إمام اليمن من تقدم قوات ابن سعود جنوباً.

البالغ فى عدم تردى الأوضاع فى الإمارة الإدريسية، والحفاظ على جازان.

الإمارة الإدريسية:

فى أواخر عهد الامام محمد بن على الإدريسي كانت الحدود الجنوبية للإمارة الإدريسية قد امتدت فى تهامة اليمن إلى الحديدة، وباجل، وفى الشمال الشرقى - بالقسم الجبلى - لأطراف رازح، بتمتهى جبل حُرم، والحدود الجنوبية لبنى مالك والحِثْث بتمتهى جبلى النظير، وشذا، وجبلى منبه والعرو.

وبنهاية الحرب العالمية الأولى اتبعت بريطانيا سياسة التقشف لمعالجة مشاكلها الاقتصادية، وكان من بينها وقف بعض المعونات لكثير من الدول، أو الاقلال منها، ومحاولة الأنفكاك من الارتباطات السابقة فى هذا المجال، وكان الإدريسي من أوائل المتضررين، فقد تركه وحده يواجه مشاكله الداخلية والخارجية، وكانت إمارته مطمعاً للمحيطين به من الشمال والجنوب. وقد تأكد له ذلك عندما تحالف آل عايض مع الشريف حسين، ولاقت قواته هزيمة عند جبل "تهلل" وضاعت آماله فى الاستحواذ على عسير، اضافة إلى أن إمام اليمن يمد بصره إلى الأرض التى أخذها من العثمانيين، فى تهامة اليمن، والجبال .. لذا اتجه إلى ابن سعود يستمد منه القوة لوضع حدٍ للأطماع المحيطة به. فالعلاقة بينهما تتسم بالود والمحبة والمواالة، فقد رفض ابن سعود من قبل طلب الدولة العثمانية

إرسال قوات لمحاربة الإدريسى، عند نشوب الحرب العالمية الأولى^(١) مع أن حكومة الاتحاديين فى الأستانة تعهدت له بتقديم كل ما يحتاجه من السلاح والمال، لكنه رفض، وكتب لهم كتاباً جاء فيه: إنه عربى ولا يحارب العرب من أجل الدولة (العثمانية) وأنه هو والإدريسى على ولاء.

وإذاً فلا غرابة أن يتجه إليه الإدريسى يستمد منه المساعدة على مواجهة الأخطار المحدقة به. فبعث إليه وفداً للموالة والتحالف، منتصف عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وكان الوفد يحمل رسالة إلى ابن سعود، جاء فيها:

إنى أجلت النظر فى أنحاء الجزيرة فلم أجد أهلاً للثقة ورعاية عهود الاخاء سواكم^(٢). وعند وصول هذا الوفد إلى الرياض لمقابلة السلطان ابن سعود، تصادف عودة وفد قبائل عسير، الذى كان قد قدم إلى السلطان يشكو ابن عايش .. ثم تداعيات الأحداث التى استدعت إرسال حملة ابن مساعد فى ٢٤ شعبان ١٣٣٨هـ (مايو ١٩٢٠م) إلى عسير، ورافقها ثلاثة من علماء وأعيان نجد، مندوبين عن ابن سعود للتباحث مع الإدريسى بشأن عقد إتفاقية صداقة وموالة، هم: عبد الله بن محمد بن راشد

(١) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث، ص ٢٠١.

(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٥٧.

ابن جلعود^(١) وفیصل بن عبد العزيز آل مبارك^(٢) وناصر بن حمد الجار الله.

وبعد مباحثات استغرقت حوالی ثلاثة أشهر، أعلن ماتم الاتفاق عليه من قبل الطرفين يوم ١٦ ذی الحجة ١٣٣٨هـ (٣٠ أغسطس ١٩٢٠م) فی معاهدة تم اعتمادها بالتوقيع عليها فی ١٠ صفر ١٣٣٩هـ (٢٣ أكتوبر ١٩٢٠م) (الملحق: ١)

ومما یلاحظ على هذه المعاهدة أن الإدريسی كان قد سعی لعقد تحالف مع ابن سعود مبكراً، أى قبل امتداد النفوذ السعودی إلى عسیر، ثم حرت المباحثات والمفاوضات لعقدها بعد استتباب النفوذ السعودی على عسیر، وتجاوز الطرفين، لذا فإن المعاهدة تناولت وضعية القبائل وانتماءاتها، بما فیها الأرض التي تقيم عليها، وذلك بالنسبة للطرفین، ثم أشارت إلى نقطة مهمة لم تسبق الإشارة إليها فی أية معاهدة سابقة أو لاحقة، وهی الأحقية التاريخية لآل سعود فی المنطقة، ذلك لأن الأرض التي تمتد عليها الإمارة الإدريسیة - ابتداء من حلی بن یعقوب شمالاً إلى مابعد الحديدة جنوباً، ومن البحر الأحمر غرباً إلى جبل كحلان شرقاً، وجبال بنی سعد وغبال وریمة فی الشرق، علماً أنه فی عهد الدولة

(١) كان ابن جلعود يعتبر بمثابة رئيس الوفد، وقد ترجم له ابن بسام فی "علماء نجد، ج٢، ص ٥٤١، كما أورد العقيلي، تاريخ الخلاف، ج٢، ص ٧٥٤، خطاباً موقعاً منه ومن ابن مساعد - أثناء الحملة على عسیر - موجهها إلى السيد/مصطفى النعمی، أحد أبرز قادة الإدريسی.

(٢) ترجم له أيضاً ابن بسام، المصدر السابق، ج٣، ص ٧٥٤-٧٥٥.

السعودية الأولى وصلت فتوحاتها إلى جبال حجة، وجبل كوكبان، وباب
المنذب^(١) والحديدة جنوباً - كل هذه الأرض تدخل ضمن مطالبات ابن
سعود ذلك الوقت فى الأحقية التاريخية، لخضوعها فيما سبق لسلطة آل
سعود، منذ عهد الدولة السعودية الأولى، وحسماً لأية مطالبة، أو تنازع
بشأنها فقد نص على ذلك، نظراً للمكانة والعلاقة الخاصة مع الإدريسي،
فقد جاء فيها مايلى: "فحيث كان فى مملكة الإمام محمد بن على
الإدريسي من القبائل والبلدان فى اليمن، ماهو فى ملك آل سعود سابقاً،
تركه الإمام عبد العزيز لأجل محبته للخير، ومعاونته عليه، وحسن
سيرته"^(٢) فمن الجائز أنه أثير موضوع الحق التاريخى أثناء المفاوضات،
فأراد الإدريسي أن يطمئن من هذه الناحية حتى لا يحدث بينهما نزاع بهذا
الشأن مستقبلاً، فنص عليه، وأطلق على المعاهدة مسمى "معاهدة صداقة"
وهذا يعنى أنه طالما بقيت الصداقة، وحسن السيرة، فلن يفسدها هذا الحق
التاريخى. وإذا حدث العكس ظهرت المطالبة .. وبصورة أوضح هو تنازل
للإدريسي وعائلته من بعده، طالما كانت هناك تلك الصداقة، وحسن
السيرة.

(١) انظر ص ٦٠-٦٣ من هذا البحث.

(٢) انظر الملحق رقم ١ فى نهاية هذا البحث. حيث وضعنا ملاحق للمعاهدات التى ورد ذكرها فى البحث لأهميتها
من حيث الاطلاع على نصوصها، وتم ترتيبها ترتيباً زمنياً من حيث الاسبقية التاريخية.

وفى المقابل فإن الإدريسى كان نفوذه يمتد إلى بعض المناطق والقبائل المتداخلة مع عسير جنوباً، فقد تركها لتدخل ضمن عسير تحت نفوذ ابن سعود^(١) ومن بينها يام بنجران.

ونظراً لأهمية هذه المعاهدة، فإنها ظلت سارية المفعول، ونصّ على استمراريتها فى المادة الأولى من معاهدة مكة المكرمة (معاهدة الحماية) الموقعة بين: عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الحسن الإدريسى إمام جازان بتاريخ ٢٤ ربيع الأول ١٣٤٥هـ - (٣١ أكتوبر ١٩٢٦م).

وعلى أية حال فإن المعاهدة تعطينا دلالة على مدى ماكان يكنه كل من الحاكمين للآخر، من تقدير ومحبة، ولذا تم تحديد الحدود بينهما بهدوء وتفاهم دون إثارة أية مشاكل.

ويبدو أن إمام صنعاء حاول التأثير على الإدريسى، وجذبه إليه، عندما عرف باتجاهاته نحو ابن سعود، فبعث إليه وفدًا يحمل كتاباً منه بتاريخ ٢٥ جمادى الآخرة ١٣٣٩هـ (٥ مارس ١٩٢١م) يحثه فيه على التعاون معه للتصدي للانجليز، وإخراجهم من البلاد اليمنية وغيرها، فرد عليه الإدريسى بتاريخ ١٥ شعبان ١٣٣٩هـ (٢٣ إبريل ١٩٢١م) مبرراً علاقته وارتباطه بالانجليز، ومن قبلهم الإيطاليين، وأن ذلك كان لغرض

(١) الملحق رقم ١. وأوردها أيضاً أمين سعيد، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٧، ٩٨.

الوقوف فى وجه العثمانيين، ومنشداً بالأهواء المختلفة لبعض حكام العرب، ونزاعاتهم.

وقد أورد الريحانى نص الكتائين^(١) وعلق عليهما قائلاً:

فى هذين الكتائين يتضح أمران، الأول: أن دعوة الامام يحى دينية ظاهراً، وسياسية ضمناً، ودعوة السيد الادريسى دينية أساساً، وسياسية قومية عملاً. الثانى: فى كتاب إمام صنعاء غموض مقصود، وعموميات قلما تفيد، وفى كتاب إمام حيزان صراحة مبرورة، وتخصيص ليس فيه إبهام^(٢).

وما تجدر الإشارة إليه هنا هو وصف الريحانى لكتاب الامام "بأن فيه غموضاً مقصوداً، وعموميات قلما تفيد" ويدل أن هذه كانت سمة أساسية فى معظم مكاتبات الامام بصفة عامة، والتى تقع التبعة فيها على مستشاريه غالباً. ثانياً: أن الغرض من مكاتبة الإمام للإدريسى فى هذا الوقت بالذات لم يكن حثه على التعاون معه للوقوف فى وجه الانجليز، وإنما التودد إليه للابتعاد عن ابن سعود، حتى لايشكل قوة تستطيع التصدى لأغراضه التوسعية^(٣) فهو يعلم أن الادريسى حليف للإنجليز، ووقع معهم من قبل معاهدة مازالت سارية المفعول حتى تاريخ هذين

(١) ملوك العرب، ص ٣٤٨-٣٥٢، ونقلهما عنه العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٥١-٧٥٣.

(٢) ملوك العرب، ص ٣٥٢، وأما الوقف الينى الذى حمل الرسالة إلى الإدريسى فكان برئاسة النقيب الشرفى.

(٣) انظر مناقله عنه الريحانى، المصدر السابق، ص ١٣٥، ٢١٣، ٢١٤.

الخطايين، وعلاقة الادريسي بهم مازالت طيبة، حيث أنهم سلموا إليه "الحديدة" فى ٢٢ جمادى الأولى ١٣٣٩هـ (٣١ يناير ١٩٢١م) أى قبل حوالى شهر من تاريخ خطاب الإمام إليه، فكيف يعاديه١٩.

كان أخشى ما يخشاه الإمام أن يتضمن الاتفاق (المعاهدة الأولى) بين ابن سعود والادريسي على التعاون بينهما فى رد العدوان على أيّ من الطرفين، فلما عرف بخلو المعاهدة من هذا النص اطمأنت نفسه.

وبهذا التحديد الذى أوضحناه لامتداد الإمارة الادريسية جنوباً وشرقاً^(١) بعد الحرب العالمية الأولى، وعند توقيع اتفاقية الصداقة بين سلطان نجد، والادريسي فى ١٠ صفر ١٣٣٩هـ (٢٣ أكتوبر ١٩٢٠م) تم التفاهم بينهما على تحديد الحدود، وتبعية القبائل وولاؤها لكل منهم. وكان القائد الإدريسي: طاهر رضوان، قد تقدم فى الجنوب الشرقى وجعل من باجل مقراً لقيادة الجيوش الإدريسية^(٢).

وكان من المتوقع ألا يصمت الإمام حيال هذا الوضع، وخاصة وضع الحديدة، فلديه طموحات وأطماع عدة، لذا ظل يتربص الفرصة السانحة لانتهازها، لاسيما وأنه أحس ببدء تراخى قبضة الانجليز عن استعمال القوة فى المنطقة، وبالتالي قوة دعمهم للإدريسي.

(١) انظر ص ١٥٦، ١٥٧ وهامش ص ١٧٢ من هذا البحث، وأيضاً ملوك العرب، ص ٣١٩.

(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٣٢.

ولعدة اعتبارات يأتى فى مقدمتها كثرة مشاكل بريطانيا التى خلفتها الحرب العالمية الأولى، وخاصة الناحية الاقتصادية، لذا اتجهت لحل مشاكلها بالوسائل السياسية فى كثير من يقاع العالم قدر المستطاع، وكان من بينها مسألة الحميات بجنوب اليمن، مع الإمام، الذى سبق له أن هاجم محمية الضالع عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) فقد فضلوا تسوية مشاكلهم معه عن طريق المفاوضات، ورحب الإمام بذلك، وأرسل القاضى عبد الله العرشى مندوباً عنه إلى عدن، واستمرت المفاوضات أكثر من عامين^(١) واتجه الإمام لمراقبة الإدريسى فى انتظار الفرصة السانحة، التى تتيح له انتزاع الحديد من يده، بعد أن اطمأن بأن الانجليز لن يتدخلوا لصالح الإدريسى، وبعد قليل أتيحت له الفرصة المرتقبة على نطاق واسع، وذلك بوفاة الإدريسى الفجائية، يوم ٦ شعبان ١٣٤١هـ (٢٠ مارس ١٩٢٣م) وبداية تصدع وانهيار البيت الإدريسى، بسبب النزاعات العائلية، وسوء الإدارة، فقد خلفه فى الحكم أكبر أبنائه: على بن محمد بن على الإدريسى^(٢) ونازعه الحكم ابن عم ابيه: مصطفى الإدريسى، ثم عمه الحسن الإدريسى، وحدث شقاق بين أبناء الأسرة، ورجال الدولة، وكان هذا من مصلحة الإمام فى صنعاء.

(١) الرضائى، المصدر السابق، ص ٨٤، ٨٥، ١٧١، ود. سالم، المصدر السابق، ص ٢٦٤.

(٢) ولد فى دنقلة بالسودان عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٥م) من أم سودانية هى: مريم بنت هارون الطويل، فكان عمره

حوالى ١٨ عاماً عندما تولى الإمارة. د. عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٧١، ٧٢.

تولى مصطفى الإدريسي إدارة القسم الجنوبي للإمارة — من ميدى حتى جنوب الحديدة — نيابة عن الأمير على بن محمد الإدريسي، ثم مالبت أن أعلن استقلاله بها، ووقعت بينهما حرب انهزم مصطفى على إثرها هارباً، وقام الأمير بالقبض على أنصاره، وكل من يشك فى ولاءه من رجال دولة أبيه، ونفاهم إلى عدن، حتى أقفرت البلاد من ذوى الخيرات والحنكة السياسية، واعتمد على رجال تنقصهم الخبرة والكفاءة، فى تسيير أمور البلاد، كما اضطهد بعض زعماء القبائل بالقسم الجنوبي من تهامة، للتفافهم حول مصطفى الإدريسي، ومنع عنهم الصلات والمقررات، فتمنوا زوال دولته^(١) وهنا لعبت السياسة المتوكلية دورها فى كسب ودهم، وإغداق الأموال عليهم، فكسبت ولاءهم عن طريق الإحسان بالأموال. وتغلغل النفوذ السياسى المتوكلى، ثم أعقبه النفوذ الفعلى للجيش فى معظم البلاد التهامية دون إراقة دماء، حتى أن القوات المتوكلية دخلت الحديدة دون قتال، وهرب منها نائب الإدريسي: عبد المطلب بن هارون، خال الأمير، وكان الجيش المتوكلى بقيادة ابن الوزير على مسافة ثلاثين كيلومتر منها، فدخلها ابن الوزير بعد ثلاثة أيام من هروب نائب الأمير يوم ٢٧ مارس ١٩٢٥م، وباستدعاء من بعض أهلها .. وتابع الجيش المتوكلى زحفه شمالاً دون معارك تذكر حتى أصبح على مقربة من

(١) وذلك مثل الزعماء: هادى هيج رئيس قبيلة الواعظات، ويحيى على تواب رئيس بنى عيس، وأحمد فتينى رئيس الزرائق، والشيخ عبد القادر الأهدل، صاحب مروة، وذو النفوذ الكبير فى تهامة اليمن، الذى استطاع امام صنعاء استمالة إليه

ميدى^(١) وذلك خلال فترة يسيرة، تجاوزت الشهرين بقليل — شوال وذو القعدة ١٣٤٣هـ (أواخر مارس وأبريل ومايو ١٩٢٥م) كما استولى على ميدى وحرّض فى النصف الثانى من جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (يناير ١٩٢٦م) وفى القسم الشرقى لم يستطع الاستيلاء إلا على جبل "شذا، وارتد عن بلاد بنى الحرث، وتقدمت حامية ناحية صامطة، ثم وجدت مقاومة فتراجعت إلى حرّض.

وفى مستهل عام ١٣٤٤هـ استطاع الحسن الإدريسى أن يقصى ابن أخيه عن الحكم، لكونه السبب فى انهيار الإمارة وفقدانها نصف أملاكها، لرعوثته وطيشه .. وتولى هو الحكم محاولاً إنقاذ مايمكن إنقاذه، ولما لم تكن لديه قوات ولا أسلحة يستطيع بها صد القوات المتوكلية، التى أصبحت تهدد بالاستيلاء على البقية الباقية من الإمارة الإدريسية، فإنه سارع إلى ابن سعود طالباً حمايته لتلك البقية الباقية من الإمارة، وأوكل بتلك المهمة إلى المجاهد الليلى أحمد شريف السنوسى، الذى نجح فى أن يعقد مع الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، معاهدة حماية لصالح الإمارة الإدريسية، عرفت باسم "معاهدة مكة المكرمة" وقعت بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٣٤٥هـ (٣١ أكتوبر ١٩٢٦) (الملحق رقم ٢)

عرفنا أن إمام صنعاء انتهز فرصة تصدع البيت الإدريسى، والنزاعات حول الحكم، وتشتيت رجالات الدولة، وتفرق القبائل،

(١) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٨٦٤-٨٨٧.

فاستولى على ما استولى عليه من القسم الجنوبي للإمارة الإدريسية بتهامة، وهو الذى كان يسعى قبل ذلك إلى استرداد الحديدة فقط، ويتباحث مع الانجليز بشأن إعادتها إليه^(١) أما وقد استردها ومعها غيرها من تهامة الجنوبية حتى حرّض، فخبر لم يكن فى الحسبان، وعند حرّض توقفت قواته ليرى ماذا يصنع الآخرون؟! لأن فى التقدم شمالاً مجازفة حسبما نصحته به إيطاليا.

كان الانجليز فى عدن يراقبون الموقف بشكل دقيق. فتقارير المعتمد البريطانى فى عدن إلى رؤسائه فى الهند و لندن، تفيد أنه كان يتابع الأحداث أولاً بأول، بدءاً من عام ١٣٤١هـ (١٩٢٣م) عند وفاة الإدريسي، ونزاعات العائلة الإدريسية حول الحكم، وتوقعاتهم فى أحد تلك التقارير المرفوع فى ١١ نوفمبر ١٩٢٤م بأن استمرار الادارسة فى تلك النزاعات سيمكن إمام اليمن من التغلب عليهم جميعاً، وتقرير بعد ذلك بتاريخ ٣١ مارس ١٩٢٥م يشير إلى أن توقعاتهم السابقة، قد حدثت فعلاً وأن كثيراً من مدن ومواقع الإدريسي استسلمت للإمام. ويبدو أن الأمير على بن محمد الإدريسي كان قد طلب منهم التدخل بموجب المعاهدة السابقة مع أبيه، ولكونه لم ينصع لنصائحهم فى أسلوب إدارته للإمارة، فإنهم تخلّوا عنه، وأبلغوه فى ١٦ إبريل ١٩٢٥م، أن المعاهدة مع الأب لا تسرى على الابن. كما أنهم لم يعطوه فرصة لمد يده للإيطاليين

(١) الریحاني، ملوك العرب، ص ٢١٤-٢١٦، ود.أباظة، المصدر السابق، ص ٤١٠-٤١٢

لمساعدته، خشية من أن يمكنهم من أية امتيازات فى ظل المحنة التى يمر بها^(١) وفيها إحساس باعطاء الضوء الأخضر لإمام اليمن بأن يفعل مايريد، فى حدود معينة، فهى لن تتدخل، وستظل حيادية.

كما لوحظ على تلك التقارير أنها كانت تطلق مسمى "عسير" على الإمارة الإدريسية (جازان ومايتبعها)، وتطلق مسمى "أبها" على عسير، ويبدو أن هذا الاستعمال كان شائعاً ذاك الوقت، فقد ورد أيضاً فى معاهدة مكة المكرمة، بين الملك عبد العزيز والحسن الإدريسي.

أما بالنسبة لإيطاليا التى كان لها نفوذ محدود فى البحر الأحمر يومذاك، نظراً لوجود مستعمرة لها فى أريتريا والصومال وتطمع فى الحبشة، وكانت تسعى لمد نفوذها إلى شبه الجزيرة العربية، لتنافس بريطانيا فى هذه المنطقة، فقد وجدت استعداداً لدى الإمام يحيى للتحالف معها بهدف تزويده باحتياجاته من الأسلحة وكافة أنواع التجارة، وذلك منذ أن نالت اليمن استقلالها السياسى، واعترفت بها بعض الدول دولة مستقلة رسمياً، فى ١١ ذو الحجة ١٣٤١هـ (٢٤ يوليو ١٩٢٣م) أثناء انعقاد الدورة الثانية لمؤتمر الصلح فى لوزان، بموجب نص المادة (١٦) و (٦٠) وأصبح من حقها عقد المعاهدات والتحالفات الدولية مع الدول الأخرى، فسعى الإمام للحصول على احتياجاته من بريطانيا، فلم يتمكن، فتقدمت

^(١) هذه التقارير محفوظة بالأرشيف البريطانى، وزارة الخارجية، تبدأ من (F.O. 120-371-10007) ومابعده، بتاريخ مختلفة من بينها ماذكرناه أعلاه.

له إيطاليا فكانت فرصة له، حيث عقد معها معاهدة فى ٢٨ صفر ١٣٤٥هـ (٦ سبتمبر ١٩٢٦م) كانت تعتبر أول معاهدة من دولة أوربية تعترف باستقلال اليمن، منذ حصولها على استقلالها فى التاريخ المشار اليه أعلاه وعلى إثرها أمدته باحتياجاته من الأسلحة^(١) التى جعلته متفوقاً على خصمه أثناء حربه مع الأدارسة. فى الوقت الذى نضب ماكان لدى الأدارسة من أسلحة غنموها من العثمانيين، كما أنها حفزته للاستيلاء على مااستولى عليه من مدن، وسواحل مطلية على البحر الأحمر، لكى يكون اتصاله به مباشراً وبعيداً عن رقابة بريطانيا، مع أن بريطانيا قد تضايقت من هذا التقارب لكنها لم تستطع منعه، مثلما منعتة عن الإدريسى. المهم أن هذا التحالف مع إيطاليا قد أكسب الامام يحيى قوة، وجعله أكثر تحفزاً على تهديد الإمارة الادريسية بكاملها، ورفضه محاولات الصلح معهم، وشجعه على هذا النصر السهل الذى حققه فى فترة يسيرة، ومعظمه دون قتال وإنما بأساليب أخرى، ويقال إن إيطاليا هى التى طلبت من الامام يحيى الوقوف عند حرض، وحذرتة من التقدم شمالاً^(٢) فى الوقت الذى شعرت فيه قواته بأن التقدم شمالاً أصبح عسيراً، نظراً لتصدى قبائل المخلاف لها، فاستقرت فى حرض. اما موقف ابن سعود من هذه الحرب، فقد كان مشغولاً بما هو أهم فى نظر المراقبين، حيث كان يعمل على ضم الحجاز إلى مملكته، وكانت بداية تحرك قواته صوب الحجاز فى

(١) د. سالم، المصدر السابق، ص ٢٩١-٢٩٤.

(٢) د. عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٩٦.

أواخر شهر محرم ١٣٤٣هـ (أغسطس ١٩٢٤م) ونظراً لحساسية البقاع المقدسة، فقد حرص على سلامتها، وسلامة أهلها، ثم سلامة الرعايا الأجانب في مدينة جدة، التي استغرق حصارها حوالى عام، حتى تم تسليمها يوم ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (٢٢ ديسمبر ١٩٢٥م) واستغرقت عملية الضم بكاملها حوالى ستة عشر شهراً^(١) والواقع أن ابن سعود لم يكن يكتفى عن تلك الأحداث تماماً، وإنما وجدت منه اهتماماً إلى حد ما، فعند بداية تقدم القوات المتوكلية في تهامة الجنوبية، نتيجة للصراعات العائلية في البيت الإدريسي، بعث وفداً من قبله برئاسة محمد ابن دليم رئيس قبيلة قحطان، لإصلاح ذات البين بين الأمير علي الإدريسي، وعمه الحسن، إلا أن تزايد التوتر، واشتداد الخلافات أوقف مساعي الوفد، فظل في جازان يراقب الوضع عن كثب حتى تمكن الحسن في النهاية من إقضاء ابن أخيه، عندها غادر الوفد جازان عائداً إلى عسير^(٢) وتوافق ذلك مع وصول أحمد شريف السنوسى للوساطة أيضاً، ثم حثه للحسن الإدريسي على سرعة عقد معاهدة مع ابن سعود، لانفاذ البقية الباقية من الإمارة الإدريسية، ففوضه الحسن بالقيام بهذا الدور، فذهب إلى مكة المكرمة على رأس وفد إدريسي، وقابل الملك عبدالعزيز، وتفاوض معه بشأن تلك المعاهدة التي سبق أن أشرنا إليها، من أنها

^(١) استولت قوات سلطان نجد على الطائف في أول صفر ١٣٤٣هـ (سبتمبر ١٩٢٤م) وعلى المدينة المنورة، التي استسلمت في ١٩ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ (٤ ديسمبر ١٩٢٤م) وأثناء ذلك توجهت بعض الكلاب والسررايا السعودية فأستولت على الليث، وغيرها في الجنوب، وعلى رابغ، وينع، والعلا في الشمال حتى خليج العقبة.

^(٢) العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٦٠، ٨٩٨، ٩١٠، ومذكرات الماضي، ص ٤٣، ٤٤.

معاهدة حماية، وعقب توقيعها بعث الملك عبدالعزيز خطاباً بمضمونها إلى الإمام يحيى فى صنعاء، بغرض الإفادة بالوضع السياسى الجديد الذى أصبحت فيه الإمارة الإدريسية. وكان ذلك بمثابة تحذير رسمى للقوات المتوكلية من التقدم شمالاً. فقد أصبحت تلك البقاع فى حوزة ونفوذ أقوى حاكم فى بلاد العرب فى رأى المراقبين للأوضاع.

والواقع أن العلاقة بين الملك عبدالعزيز والإمام يحيى — حتى ذاك الوقت — كانت علاقة ود واحترام متبادل، ولم يشبها ما يعكر الصفو ظاهرياً. بالرغم من تماس الحدود بين الدولتين منذ عام ١٣٣٨هـ فيما هو جنوب عسير، فقد بعث الملك عبدالعزيز خطاباً إلى الإمام يحيى، إبان ضمه للحجاز، كى يطمئنه على سلامة الأماكن والبقاع المقدسة^(١) وحاول الإمام الوساطة بين الملك عبدالعزيز والملك على بن الحسين^(٢) إلا أن توقيع معاهدة الحماية. أوقفت طموحات الإمام يحيى. وبدأ الاحتكاك المباشر بينهما، وبداية توتر العلاقات.

(١) نشرت مجلة النوار نص هذا الخطاب بالجلد ٢٦، ج ٧ بتاريخ ٢٦ جمادى الآخرة ١٣٤٤هـ (٢٤ يناير ١٩٢٦م) ص ٥٤٠. للرد على حريدة المقطم التى أنكرت أن يكون ابن سعود قد أرسل خطاباً إلى إمام اليمن بهذا الخصوص، ضمن ما أرسل لحكام العالم الإسلامى.

(٢) د. سالم، المصدر السابق، ص ٣٢٤، ٣٢٧.

المهم أن بعض القبائل قامت بثورات ضد قوات الإمام رافضة حكمه، كالزرائيق، وعيس، وبعض بطون حاشد وبكيل^(١) وانشغلت قواته بتهدة الأوضاع فى تلك المناطق، وغيرها من مناطق داخلية مما صعب عليها مهمة التصدى لأى هجوم يمكن أن يرد إليهم من الشمال لاسترداد تلك المناطق. وذلك بالرغم من حصوله على أسلحة حديثة من إيطاليا عقب توقيعه معها معاهدة عام ١٩٢٦م.

أثر معاهدة الحماية

فى الوقت الذى كانت الوفود غير الرسمية تتنقل بين صنعاء وحازان، بحثاً عن حل سلمى بين الطرفين، والإمام مطمئن إلى انقياد الإدارة إن طوعاً أو كرهاً إلى طاعته، إذا به يفاجأ بخير معاهدة الحماية رسمياً، من قبل الملك عبد العزيز، عقب توقيعها وإشعاره بها رسمياً لإبلاغ قواده فى المنطقة بإيقاف تحركاتهم، وأتبع الملك عبد العزيز ذلك بإرسال بعض التعزيزات إلى المنطقة فى عسير، وأمر رؤساء القبائل بأن يكونوا على استعداد. فما كان من الإمام - بعد أن درس الموقف جيداً - إلا أن أمر

(١) العقبلى، المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٠٢، ود. سالم، المصدر السابق، ص ٣٢٨، ٣٢٩، ود. عصام ضياء الدين، ص ١٠٩.

قائده فى الميدان: عبد الله بن الوزير، إلى السكون والتوقف عن أية حركة، وإبقاء الوضع على ما هو عليه^(١).

ولعل ما شد الانتباه، وأدخل الروع حقاً فى قلب الكثيرين، هو ماجاء فى المادة الأولى من معاهدة الحماية هذه، من حيث الإشارة إلى الاتفاقية التى أبرمت فى عام ١٣٣٩هـ (١٩٢٠م) مع الإمام محمد الإدريسي، وذلك بالقول بأن الحدود القديمة الموضحة فى اتفاقية ١٠ صفر ١٣٣٩هـ والمنعقدة بين سلطان نجد، وبين الإمام السيد محمد بن على الإدريسي، والتى كانت خاضعة للأدارة وقتئذ، هى تحت سيادة جلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، بموجب هذه المعاهدة^(٢) فهذا النص يعنى بالنسبة للإمام فى صنعاء أن القسم الجنوبى للإمارة الادريسية، من ميدى حتى جنوب الحديدة، وباجل وغيرها، تدخل ضمن الحماية، ولن يعترف الملك عبد العزيز للإمام بحجى بالاستيلاء على هذا الجزء ! .

وقد زوّد أول وفد رسمى سعودى^(٣) ذهب إلى صنعاء فى ١٣ ذى الحجة ١٣٤٥هـ (١٤ يونيو ١٩٢٧م) بصورة من تلك المعاهدة، ليطلع عليها الجانب اليمنى فتأكدت المفاجأة ! .

(١) د. سالم، المصدر السابق، ص ٣٢٨.

(٢) انظر نص المادة الأولى فى تلك المعاهدة، بالملحق رقم ٢.

(٣) كان الوفد يتكون من: سعيد بن مشيط، عبد الوهاب أبو ملحة، تركى الماضى.

وبدأت المباحثات الحدودية للحل السلمى الذى رآه الطرفان من البداية، بديلاً عن المجابهة كما ترتب على تلك المعاهدة اتخاذ بعض الإجراءات الداخلية، التى اقتضتها الظروف والوضع القائم.

ومعاهدة الحماية هذه تتكون من "١١" مادة تضمنت المادة الأولى منها استمرارية العمل بالمعاهدة السابقة الموقعة فى ١٠ صفر ١٣٣٩ هـ (٢٣ أكتوبر ١٩٢٠ م) ومن المؤكد أنه قُصد من وراء ذلك بيان الحدود القديمة للإمارة الإدريسية التى كانت عليها عام ١٣٣٩ هـ، والتى تمتد حتى جنوب الحديدة وباجل، وهذا يعنى عدم الاعتراف بما قام به إمام اليمن بالاستيلاء على ما استولى عليه من قبل، وهو من حرض حتى جنوب الحديدة.

المادة الثانية حتى السادسة، حددت صلاحيات الحرس الإدريسى فى إدارة الشؤون الداخلية فقط، وفق أحكام الشرع، ودون الارتباط، أو الدخول فى مفاوضات مع أية حكومة، أو جهة أخرى، ولا إشهار الحرب، أو إبرام الصلح، أو التنازل عن أى جزء من أرض الإمارة. كما اعترفت للحرس الإدريسى بحاكميته طوال حياته، ثم من بعده لمن يتفق عليه الأدارسة، وأهل الحل والعقد من أعيان البلاد ورؤسائها، وبذلك أشركت أعيان البلاد فى اختيار الحاكم الإدارى التنفيذى.

أما المادة السابعة فقد حولت الملك عبد العزيز حق دفع أيّ تعديٍّ داخلى أو خارجى يقع على الإمارة مستقبلاً، وضمناً مسؤولية استرداد

ما اغتصب منها، قبيل المعاهدة^(١) فالحماية تشملها بحدودها القديمة التي كانت عليها عام ١٣٣٩هـ.

وبذلك أخذ امتداد النفوذ - بمقتضى تلك المعاهدة - الصبغة الشرعية وفق النظم والمواثيق الدولية المعمول بها، بالإضافة إلى مطالبات ابن سعود التاريخية، فى كافة أراضى الإمارة التى كانت تمتد إليها عام ١٣٣٩هـ، عند توقيع الاتفاقية الأولى، والتى اعترف الإدريسى بها فى حينها، حسبما ورد فى نص المعاهدة الأولى، وابن سعود وإن تنازل عنها وقتها فما ذاك إلا لداعى الصداقة والأخوة مع الإدريسى. ولذا نراه يؤكد على هذا الحق فى خطابه إلى محمد بن على الإدريسى بتاريخ ٢٥ صفر ١٣٤١هـ (١٦ أكتوبر ١٩٢٢م) إبان حركة ابن عايش^(٢) كما أشار إلى هذا الحق أيضاً الأمير عبد العزيز بن مساعد فى خطابه إلى أحد أشهر رجالات الإدريسى، وهو مصطفى النعمى، بتاريخ ٤ ذو القعدة ١٣٣٨هـ (١٩ يوليو ١٩٢٠م) إبان حملته على عسير^(٣) كما كان من نتيجة تلك المعاهدة أن قام الحسن الإدريسى بإيقاف كل اتصالات ومفاوضات مع إمام اليمن، بقصد تسوية تلك القضية^(٤) وقام الملك عبد العزيز فى ممارسة حقه بوقف الاجراءات التى أبرمها مصطفى الإدريسى، وابن عمه الحسن، مع إحدى

(١) انظر نص المعاهدة بالملحق رقم ٢.

(٢) العقيلي، ج ٢، ص ٧٥٩.

(٣) العقيلي، ج ٢، ص ٧٥٥.

(٤) د. عصام ضياء الدين، ص ١٠٦، ١٠٧.

الشركات الانجليزية لاستغلال جزيرة "زفاف" إحدى جزر فرسان، وذلك لتجاوزاته، وعدم أحقيته فى إبرام هذا الاتفاق^(١) وبعث الملك عبد العزيز مندوباً سعودياً عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٧م)، للمشاركة فى حل بعض المشاكل الداخلية، ومتابعة تنفيذ الأحكام الشرعية^(٢) وسارع ابن سعود فى تنفيذ التزاماته التى نصت عليها المعاهدة، وكان من أهمها التفاهم سلمياً مع إمام اليمن على الأرض التى استولى عليها، وتحديد الحدود، فقد تغيرت الرضعية السياسية للإمارة الأدرسية، وأنيطت شئونها الخارجية به.

وبالأحرى أصبحت ضمن الإطار السياسى للملكة العربية السعودية، حتى قبل أن يصدر قرار رسمى بضمها إليها، وهو الأمر الذى حدث بعد ذلك رسمياً عقب فتنة الأدرسى، حيث استوجب الوضع وقتها إصدار هذا القرار.

وعلى ضوء ذلك كانت اتصالات ابن سعود المبكرة بإمام صنعاء لإجراء مفاوضات بحثاً عن حل سلمى لترسيم الحدود بين البلدين.

(١) العقيلي، ج ٢، ص ٩٠٢، ٩٠٣.

(٢) كان أول مندوب سعودى، هو: صالح بن عبد الواحد، ثم عبد الله بن خثلان، ثم حمد الشويعر، ثم فهد بن زعير، ثم أعيد الشويعر، الذى استمر حتى شارك فى الحرب السعودية اليمنية عام ١٣٥٢هـ.

الفصل الثانى

مؤتمر أبها، اندلاع الحرب، الوساطة العربية، معاهدة الطائف، دراسة

لبعض محتوياتها

مؤتمر أبها

سبق مؤتمر أبها مباحثات حدودية، استغرقت فترة طويلة، اعترضتها صعاب، ومنعطفات حادة، لكن الحكمة تغلبت على تلك الصعاب، وذلك منذ قدوم أول وفد رسمى سعودى^(١) إلى صنعاء فى ١٣ ذى الحجة ١٣٤٥هـ (١٤ يونيو ١٩٢٧م) كما تبادل العاهلان خلال ذلك الكثير من المكاتبات والبرقيات^(٢) وتم التوصل إلى حل كثير من المسائل والمشاكل وتخطى العقبات، ثم اتفق على حل بقية المسائل المعلقة فى مؤتمر يعقد لهذا الغرض وكانت المسائل المنحصرة لأعمال هذا المؤتمر أهمها، إبرام معاهدة

^(١) كان أول وفد سعودى قدم إلى صنعاء فى ١٣ ذى الحجة ١٣٤٥هـ (١٤ يونيو ١٩٢٧م) يتكون من: سعيد بن مشيط، عبد الوهاب أبو ملح، تركى الماضى. وكان أعضاء الجانب اليمنى يتكون من: عبد الله بن أحمد الوزير، محمد هاشم، محمد حيدر.

^(٢) تبادل العاهلان خلال تلك الفترة أكثر من مائة مكاتبة وبرقية.

يتم فيها تحديد الحدود بشكل تفصيلي، وسرعة ترسيمها على الطبيعة، وتشكيل لجان لهذا الغرض تقوم بأعمال الترسيم للحدود الفاصلة، ووضع أعلام عليها، كما تشمل أيضاً تنظيم علاقات الجوار بين البلدين الشقيقين، في بعض المجالات، الأمنية، والاقتصادية، والسياسية وغيرها.

تم الاتفاق على عقد المؤتمر في مدينة "أبها" لإنهاء المسائل المعلقة^(١) ومن ثم إبرام المعاهدة المطلوبة، وعقد المؤتمر في جو مشحون بالتوتر، والتحريشات والاستعدادات العسكرية، قبيل وصول عبد الله بن الوزير على رأس الوفد اليمني إلى أبها في ٢ ذى القعدة ١٣٥٢هـ^(٢) وكان تركي الماضي قد كُلف بالذهاب إلى ظهران الجنوب لاستقبال الوفد اليمني، ومرافقته حتى أبها، فسجل انطباعاته الشخصية عن ابن الوزير قائلاً: كان كعادته يتظاهر بالقوة والشجاعة، ويضع الأمور في غير موضعها، متغطراً متكبراً .. ومع ذلك فليس عنده إخلاص للملكين، ويُرشح نفسه لولاية اليمن، وقد سبقت لي به معرفة، قبل هذه الآونة، حينما انتدبه

(١) كانت المسائل المعلقة تتمثل في: مسألة بحران، وترسيم الحدود بشكل نهائي، العمل على كف التدخل من الجانبين، إبرام معاهدة شاملة ولمدة عشرين عاماً قابلة للتديد إلى ما لا نهاية.

(٢) حدد الامام رئيس مندوبه في مؤتمر أبها بأنه عبد الله الوزير، على رأس مجموعة من المنوبين، كما حدد الملك رئيس مفاوضيه، بصفة مبدئية، فؤاد حمزة. انظر: بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٠٧ ص ١١٩، ١٢٠، ورقم ١٠٨ ص ١٢٠-١٢٢، وكان ذلك في ٢٩، ٣٠ رمضان، ولم ينعقد المؤتمر إلا في ذى القعدة ١٣٥٢هـ أي بعد أكثر من شهر من الموافقة على انعقاده، أما بقية أعضاء الوفد السعودي فهم: الشيخ عبد الله بن زاحم، تركي الماضي، عبد الوهاب أبو ملح، دليم بن محمد بن دليم.

الإمام لمفاوضتنا فى صنعاء عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) ولم يكن انتدابه هذه المرة إلا دليلاً على عدم حسن النية من حكومته^(١).

بدأت الجلسة الأولى للمفاوضات يوم الاثنين ٥ ذى القعدة ١٣٥٢هـ (١٨ فبراير ١٩٣٤م)^(٢) فأُنكر ابن الوزير أن يكون قد تم الاتفاق على أيّ شيء من قبل، لا الحدود ولا غيرها .. وأخذ يجادل فى كل مايطرحه الوفد السعودى مما سبق الاتفاق عليه، سواء من قبل وفود الطرفين، أو عن طريق تبادل البرقيات بين العاهلين، أو اتفاق العرو، أو المعاهدة التى عقدت وقتها وغير ذلك من اتفاقات. ظل يجادل بتصلب وعناد فى كل مايطرحه الوفد السعودى، ويهدد بالانسحاب، واعتزاه نوع من الحمق والنزق، والغطرسة البالغة الحد، فى الوقت الذى يحاول الوفد السعودى التلطيف من حديثه ونزقه، ومناقشة المواضيع بهدوء، واستمر الاجتماع من الساعة العاشرة صباحاً حتى المغرب، تخللته ساعات راحة يسيرة للصلاة وغيرها، دون الوصول إلى نتيجة، وانفض الاجتماع على أن يعقد يوم الأربعاء ٧ ذى القعدة. ورفع الوفد السعودى تقريراً إلى الملك فى اليوم التالى ٦ ذى القعدة، فأجاب الملك عليهم ببرقية مؤرخة ٧ ذى القعدة ١٣٥٢هـ، جاء فيها: .. إن ماأظهره ابن الوزير من النزق لم يكن فائلاً حسناً للمستقبل، وأنتم سيروا معه سيراً حسناً موافقاً، قابلاً للين. بمثله،

(١) مذكرات تركى الماضى، ص ٢٠٥، والعقبلى، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٩٤، ١٠٩٥.

(٢) سبقها جلسة كانت مجرد التعريف والترحيب يوم ٢ ذى القعدة، ولم يتم فيها التطرق إلى شيء من المواضيع الخلدة، لذا فإن الجلسة الثانية يوم ٥ ذى القعدة، تعتبر هى الجلسة الأولى للمفاوضات الرسمية.

والشدة، يمثلها لكن بأدب، وأخبروهم بأن الشدة لا تُعزّز يحیی ولا تُذلّنا، وإنما تعرقل المساعي السلمية. فإن كان المقصود من قدومهم الصلاح وحفظ الحقوق، فذلك هو المطلوب، إن كان الأمر غير ذلك فلا بأس إلا فاعل السوء .. أملي في إصلاحهم ضعيف، حالاً أمرت جنودی بالاستعداد فإن حصل الصلاح فالاستعداد مابه نقص، وإن كان غير ذلك فلا حول ولا قوة إلا بالله، أما السلم فنحن نحبّه، ونقدمه على كل شيء^(١).

ثم عقدت بعد ذلك أربع جلسات^(٢) دار فيها أيضاً نقاش طویل، ولم تسفر عن شيء إلا عن تراجع يسير من ابن الوزير، ثم توقفت المفاوضات على أن يرفع كل وفد إلى مرجعه بما تم خلاصها.

وأثناء الاجتماعات بعث الملك إلى وفده برقية في ١٧ ذی القعدة، زوده فيها بكل المعلومات التي يدعى وفد الإمام، أنه تم الاتفاق عليها من قبل، وخاصة بخران، موضحاً ما دار بينه وبين الإمام بشأنها، ومستشهداً بالأدلة التاريخية على تابعة بخران، في السابق واللاحق لنا (للسعودية) منذ عهد الدولة السعودية الأولى قائلاً في البرقية: .. ونأخذ منهم الزكاة، وأن الإمام لما قاتل قبائل عبس والزرانيق لم يستفتنا فيهم لأنهم رعاياه، لكنه سألنا عن تأديب يام عندما أراد تأديبهم، لأنهم محسوبون علينا. وقد ظننا

(١) بيان عن العلاقات، ورائق أرقام: ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ص ١٣٤-١٣٨، والعقيلي، المصدر السابق، ص ١٠٩٤، ١٠٩٦.

(٢) عقدت الجلسة الثانية للمفاوضات يوم الأربعاء ٧ ذی القعدة، والثالثة يوم السبت ١٠ ذی القعدة، والرابعة يوم الاثنين ١٢ ذی القعدة، والأخيرة يوم الأحد ١٨ ذی القعدة (٣ مارس ١٩٣٤م).

وقتها أنه استفتاء أخ لأخيه، ولم نظن أن وراء الغطاء شيئاً مخبوءاً، وأن هناك أمراً دُبر بلبيل، ولم نسكت وإنما أرسلنا وفداً إلى صنعاء لحل المشكل، فقبول بالإهمال والاضطهاد.. الخ^(١).

اتصف تبادل البرقيات بين العاهلين، عقب توقف مفاوضات أبها، بنوع من الحزم والحسم من جانب الملك، والكثير من الليونة المترجمة بالمراوغة من جانب الإمام، ولمدة شهر تقريباً، وقد حدد الملك النقاط التي ينبغي على الإمام البت فيها عاجلاً: (١) إخلاء الجبال (فيها والعبادل وغيرها) وإطلاق رهائهم، وتحديد الحدود بمعااهدة شاملة، حسبما تم الاتفاق عليه من قبل. (٢) تسليم الأدراسة، أو إبعادهم بالمحل الذي اتفق عليه سابقاً "زيد" (٣) عدم المساومة في نجران، بأي حال. فإما أن يكون محايداً، وإما أن يعود الوضع فيها على ماكان عليه سابقاً، ماتحت أيديكم لكم، وماتحت أيدينا لنا. فأهل وادى نجران تحت أيدينا، وكذا "هدادة" و"بدر" و"حبونة" وغيرها، وفي برقية من الملك للإمام بتاريخ ١٦ ذو الحجة ١٣٥٢هـ، جاء فيها: .. نحن قد لدغنا من قبلكم، فلا نحب أن نلدغ زيادة على ماتقدم، وقد مضى عليّ أكثر من سنة، وأنا أجادل أهل نجد دونكم إلى أن نفذ صبري وصبرهم، وتعدياتكم متكررة لم تقف عند حد^(٢). وكانت آخر برقية من الملك إلى الإمام بتاريخ ١٧ ذي الحجة ١٣٥٢هـ (أول أبريل ١٩٣٤م) وأخر برقية من الإمام بتاريخ ١٩ ذي

(١) بيان عن العلاقات، ص ١٤٧-١٤٩، والعقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٠٩٨-١١٠٠.

(٢) بيان عن العلاقات، وثيقة ١٤٦ ص ١٦٦، ١٦٧.

الحجة ١٣٥٢هـ طلب فى نهايتها عودة ابن الوزير إلى صنعاء^(١) وكان رئيس الوفد السعودى قد تبادل مع رئيس الوفد اليمنى بعض المكاتبات أثناء توقف المفاوضات، لعل أهمها ماكان من رئيس الوفد اليمنى بتاريخ ٢٣ ذى القعدة ١٣٥٢هـ، والإجابة عليه من رئيس الوفد السعودى، حيث فند فيه جميع مزاعم ابن الوزير، تاريخياً، ومنطقياً، وعرفياً، بصورة جيدة^(٢).

أراد ابن الوزير والوفد المرافق له العودة من أبها إلى اليمن عن طريق البر، فأخبره الوفد السعودى بأن الطريق مخوف بالمخاطر، نظراً لانتشار الجنود به، فأصر على رأيه، فأبلغوا الملك، فكذب إليهم أن يمنعوه عن السفر برأ خوفاً على حياته، وأن يعرضوا عليه السفر عن طريق البحر من جدة، فرفض بعد مجادلة، وذهب مع الوفد من أبها إلى مكة المكرمة، هو ومن معه، وقابلوا الملك هناك، ثم أقاموا فى ضيافته بمكة المكرمة، ولم يفكر فى السفر، لأن الحرب كانت قد اندلعت^(٣).

(١) بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٤٨، ١٤٩ ص ١٦٧-١٧٠.

(٢) بيان عن العلاقات، وثيقة رقم ١٦٢، ١٦٣، ص ١٩٠-١٩٩.

(٣) مذكرات الماضى، ص ٢٢٦، ٢٢٧، وبيان العلاقات، ص ١٧٠.

وقبل أن نترك مرحلة المفاوضات، التى تجاوز مداها سبع سنين^(١) ووقعت خلالها أحداث ووقائع متعددة، كانت إحداها كفيلة باندلاع الحرب فى حينها، لكن حكمة الملك عبد العزيز، وسعة صدره، ثم أسلوب الليونة من الإمام، دفع الملك إلى عدم اليأس من الحل السلمى، وحال بينه وبين الرد على العدوان بمثلته، فى وقته .. قبل أن نترك هذه المرحلة المليئة بالأحداث، نرد أن نشير إلى نقطة تعتبر فى رأي الشخصى مهمة بالنسبة لوصول المفاوضات إلى طريق مغلق، وإلى بداية النهاية لفترة التوترات.

إذا كان الإمام يحىيى قد لعب الدور الأساسى، بصورة ظاهرية، فى فشل هذه المفاوضات، نظراً لأساليبه المتتوية، ومخالفة القول للفعل، فإن هناك أيدٍ خفية مختلفة، كان لها أثر فعال فى دفع الإمام للقيام بهذا الدور، من بينها:

- ابنه، وليّ عهده، سيف الإسلام أحمد، الشاب المتحمس لدرجة التهور، فقد أراد إثبات كفاءته مبكراً فى خلافته لأبيه، وأنه الأجدر بها من بين إخوته، خاصة بعد أن خلت له الساحة بوفاة أخيه، الذى كان ينافس الحماس، بل كان يفوقه فيه، محمد البدر، الذى استشهد غريقاً أمام

^(١) بدأت بسفر أول وفد سعودى إلى صنعاء أواخر ذى القعدة ١٣٤٥هـ، وتوقفت بعد تبادل آخر برقيتين بين الملك والإمام فى ١٧، ١٩ ذى الحجة ١٣٥٢هـ، عقب فشل مؤتمر أبها. فتكون المدة التى استغرقتها تلك المفاوضات بما فيها تبادل الرقيات، هى سبع سنين، وسبعة عشر يوماً.

الحديدة عام ١٣٥٠هـ، وهو ينقذ أحد الغرقى. وكان ولي العهد قد أحس بأن حماسه هذا قد أعجب أباه، فتمادى فيه إلى الدرجة التى أصبح فيها يعلل بعض آرائه فى شئون الدولة على أبيه، ومن بينها إثارة المشاكل على الحدود، واقتناص أجزاء من أرض الخصم، وتولى القيادة فى "صعدة" لهذا الغرض، بينما أخوه الذى يليه مرتبة - بعد وفاة محمد البدر - وهو إبراهيم ابن يحيى، كان متزناً ورزناً، ولم تعجبه بعض تصرفات أبيه وأخيه وليّ العهد، وأبدى نوعاً من التمرد على تصرفاتهما، فما كان من والده إلا أن أودعه السجن، مخافة أن يجاريه بعض الرعية فى معارضته، لكنه بعد فترة استطاع الهرب من سجنه، وذهب إلى عدن وانضم إلى جبهة المعارضة ضد أبيه وأخيه^(١).

- بعض حاشية الإمام وكبار رجال دولته، ممن لهم مآرب خاصة، فى استمرارية هذا الوضع، بل السعى فى توسعة شقة الخلاف بين الدولتين، للمزيد من الاستفادة، وذلك أمثال: عبد الله بن الوزير، وغيره، حيث أظهرت الأيام مدى العداوة التى كان يكنها للإمام، حين تزعم مؤامرة للقضاء على الإمام، وقدر لها أن تنجح يوم ١٣٦٧/٤/٧ هـ (١٩٤٨/٢/١٧م) ونصّب نفسه إماماً على اليمن، وطالب الدول العربية تأييده ومؤازرته، لكن وليّ العهد أحمد بن يحيى تدارك الموقف بسرعة، والتفت حوله القبائل، واستطاع القضاء على المؤامرة^(٢) وكان للملك عبد

(١) د. سالم، المصدر السابق، ص ٤٧٥.

(٢) الجرفلى، المصدر السابق، ص ٣٣٣-٣٤٠.

العزیز موقف مشرف، فلم یعترف بابن الوزير إماماً على اليمن، وقدم إلى الرياض وفد أرسله ابن الوزير للملك يطلب دعمه، فقال الملك للوفد: .. أنتم أيها الناس قتلتم .. اتركوا بلادى! ^(١) وهذا منتهى الوفاء .. فالخصومة بينهما كانت قد زالت، وحل محلها الإخاء والصداقة والمحبة .. فكان التأثير لمفارقة الحياة في وضع غير طبيعي .. وكان الوفاء له حياً وميتاً.

بعض هؤلاء المتلفسين حول الإمام حسنوا له فكرة إحياء اليمن الكبرى، التي استوحوها مما تقوم به حليفهم إيطاليا ذاك الوقت، من إحياء أمجاد الدولة الرومانية، فالإمام لم تكن لديه فكرة واضحة عنها، بدليل مذكره أمين الريحاني، حين سأله عن حدود اليمن، فقال: إنه لا يعرف منها غير الحدود القديمة، التي كانت تشمل حضرموت، وعمان ^(٢) وكان قد زاره عام ١٣٤٠هـ (١٩٢٢م) وهي فكرة لا يسعفها السند التاريخي، أو الجغرافي، وتتنافى مع استقرار الأوضاع السياسية للدول في العصر الحديث ^(٣) وماأوردناه من شواهد تاريخية وسياسية وغيرها في هذه الدراسة، يفند هذه الفكرة.

^(١) د. سالم، المصدر السابق، ص ٤٧٩.

^(٢) ملوك العرب، ص ١٣٤، ١٣٥.

^(٣) في ثنايا هذا الكتاب الأدلة المناقضة لهذه الفكرة، وانظر أيضاً كتابنا "مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية، ص ١٦٩-١٨٧ وغيرها.

لقد أقر المجتمع الدولي، عقب الحرب العالمية الأولى، تسليم أملاك الدولة العثمانية فى شبه الجزيرة العربية، إلى أهل البلاد، وعلى هذا الأساس قام العثمانيون بتسليم الإمام ماكان بحوزتهم من المناطق الجبلية فقط، بما فيها صنعاء، لأن أحقيته لانتجاوز منطقة الجبال، وقد كان ذاك الوقت حليفهم وصديقهم، فلو كانوا واثقين من أحقيته لغربها لسلّموها له، أو ساعدوه فى تسلّمها، لاسيما وأن آخر الولاة العثمانيين، محمود نديم باشا، فضّل البقاء للعمل فى خدمته، على العودة إلى بلاده، غير أن الإمام تفتحت شهيته بعد ذلك للاستحواذ على أكبر مساحة من الأرض رافعاً شعار "اليمن الكبرى" الذى لأساس له تاريخياً وجغرافياً، ووفق المعايير الدولية لإنشاء الدول فى العصر الحديث .. هذا بالإضافة إلى قيام هؤلاء من ذوى الأغراض بمحاولات اقناع الإمام بأن الملك ليست لديه القدرة على الدخول فى الحرب، ولا الاستمرار فيها، وأن حالته هذه هى التى دعت له عدم الرد على تحركاتهم فى الجبال.

- قامت إيطاليا بدور بارز فى تشجيع الإمام يحيى على التصدى للملك عبد العزيز، وسعت فى إشعال العداء بينهما، بما كانت تشيعه من أكاذيب واختلاقات عن نوايا الملك، وأمدت الإمام باحتياجاته العسكرية وغيرها، بهدف انتزاع تهامة (جازان) بأية وسيلة، فقد كانت تطمع فى جزيرة فرسان مقابل وقوفها بجانب الإمام، وتبنت وجهة نظر الإمام فى مفاوضاتها مع بريطانيا بروما عام ١٣٤٥هـ (١٩٢٧م) وفى كثير من المواقف.

- كما كان للأداسة والنازحين - لأى سبب كان - إلى صنعاء من تهامة (جازان) الدور الذى لا يقل أهمية عن غيره، من حيث توسعة شقة الخلافات بين الملك والإمام، ويكفى أن أحد هؤلاء كان ضمن أعضاء الوفد اليمنى، خلال الجولة الثانية من المفاوضات فى صنعاء عام ١٣٤٦هـ^(١) ثم إن دور الأداسة فى تأليب القبائل، وإحداث الاضطرابات، وتهريب الأسلحة إلى أيدي تلك القبائل، وحثهم على الثورة، كل هذا وغيره معروف، وذكر بعضه فى مكاتبات الملك للإمام. هؤلاء جميعاً وغيرهم، ممن لا يهمهم إراقة دماء المسلمين هنا أو هناك، بقدر ما يهمهم تحقيق مصالحهم الشخصية، نشطوا لتبديد الحل السلمى وتوسيع الخلافات، حتى حلت الفاجعة التى روع المسلمون فى الأقطار العربية من أجلها ذاك الوقت .. وعندها اختفى هؤلاء، وأصبح الإمام هو المسئول أولاً وأخيراً، وتبددت نداءاته للعالم العربى، مع دوي صوت البنادق والمدافع على إثر إندلاع الحرب، لأنه لم يتخذ القرار المناسب فى الوقت المناسب، وظن أن المراوغة تجدى إلى مالا نهاية!!

^(١) وهو محمد حيدر التعمى، من أهل الملحاء، ومن علماء الزيدية، وكان هو وأحمد الأهدل وغيرهما لا يكتفان عن تحريض الإمام، انظر: مذكرات الماضى، ص ٥٤، ٥٥.

سبق تعبئة وحشد قوات كلا الطرفين على الحدود، وتركزت المواجهة فى جبهتين، إحداهما: الجبهة الشرقية بنجران وعسير فى مواجهة صعدة والقوات المتوكلية التى تحتل الجبال بجنوب عسير (فيفا وبنى مالك والعبادل) وأجزاء من نجران، وتولى قيادة القوات السعودية فى هذه المنطقة الأمير (الملك) سعود بن عبد العزيز، وليّ العهد، وتحت رئاسته كل من: الأمير فيصل وأخيه فهد بن سعد بن عبد الرحمن، والأمير خالد بن محمد عبد الرحمن، وبعض القواد الآخرين، واتخذ "أبها" مقراً لقيادته، وفى المقابل بالجبهة اليمنية، فإن وليّ العهد، سيف الاسلام أحمد بن يحيى، كان يقود هذه الجبهة، متخذاً من "صعدة" مقراً له، أما الجبهة الثانية، فكانت بمنطقة تهامة (جازان) والساحل، وتولى القيادة فيها الأمير (الملك) فيصل ابن عبد العزيز، نائب الملك فى الحجاز، وتحت رئاسته قواد الجيوش فى المنطقة، كحمد الشويعر، وابن سلطان، وابن السبهان، وعبد الله الخثلان وغيرهم. وكان مركز القيادة فى "صامطة" ثم انتقل إلى بلاد "بنى حُمَد" قرب الحدود مباشرة، وفى المقابل على الجبهة اليمنية، كانت القيادة قد اتخذت من بلاد "عبس" مقراً لها، ومعها قوات كثيرة، تتقدمها قوات تعسكر بالقرب من الحدود، فى ميدى، وحرص، والمناطق التى استولت عليها من قبل فى جبال بنى مالك وغيرها. وكان القائد للقوات المتوكلية فى هذه الجبهة هو عبد الله بن الوزير، فلما استدعى للمفاوضات فى

أبها، تولى القيادة مكانه شخص آخر، ثم القاضى عبد الله العرشى، هذا بالإضافة إلى كل من الحسن وعبد الوهاب الإدريسي.

وكان هدف الملك عبد العزيز من إعلان الحرب، هو الدفاع^(١) بمعنى استعادة الأراضي التى استولت عليها قوات الإمام، فى الجبال (فيفا وغير) ونجران. وجعل الإمام فى موقف يقبل فيه التسليم بالمسائل التى قتلت بحثاً من قبل، ودون مراوغة هذه المرة، ولذا فإن استرداد الأراضي من القوات المتوكلية كان الهدف الأول، وأما الثانى فهو جعل الإمام فى موقف يرضح فيه للاعتراف والتوقيع على ماتم بحثه من قبل، وهذا لا يتم إلا باحتلال جزء من أرض اليمن، لالضمها إلى مملكته، وإنما لترجيح كفته بها، وإرغام الإمام على ترك المراوغة والمماطلة، والبت فى المواضيع المعلقة فوراً دون إبطاء أو تسويق.

ولما كان هدفه هو الاستيلاء على جزء يرجح به كفته، ويدفع الإمام إلى القبول والتسليم، وليس الاستيلاء بغرض الضم إلى مملكته، فليكن هذا الجزء فى أرض تهامة الجنوبية، المنبسطة السهلة، التى تعود أهل المخلاف وعسير وأهل نجد الانطلاق إليها من قبل، فى عهد الدولة السعودية الأولى، أما المناطق الجبلية من اليمن فى مقابلة نجران وعسير،

^(١) حشد الملك فى أكثر من مكتبة للإمام، بأنه إذا فشل الحل السلمى، سنضطر إلى الدفاع عن بلادنا، وكرامتنا، ومن ذلك آخر برقية بعها الملك إلى الامام بتاريخ ١٧ ذى الحجة ١٣٥٢هـ (١ أبريل ١٩٣٤م) وثيقة ١٤٨، بيان عن العلاقات، ص ١٦٧، وقد جاء فيها: .. مضى علينا عدة أشهر، والعدوان يتماذى علينا، ولم نجدنا جميع المراجعات فائتة، ولم يكن لنا منلوحه عن الدفاع الذى أمرنا به.. الخ.. وكانت بمثابة الأنداز الأعير.

فستكون مكلفة من حيث الأرواح والمعدات، وطالما أنه سيركها، ويعيدها للإمام بعد توقيع الاتفاقات إذاً فلادعى لتلك التكلفة، ولذا كانت تعليماته إلى ولي عهده سعود، قائد هذه الجبهة :العمل على طرد قوات الإمام من نجران، وعدم التوغل فى المنطقة الجبلية، إلا بالقدر الذى يحمى القوات السعودية فى نجران — أما جبهة تهامة والساحل، فتتقدم حيث شاءت، ووفق الظروف، ما لم يصدر لها أمر بالتوقف وعلى ألا تتجاوز الحديدة.

أصدر الملك عبد العزيز - قبل الموعد المحدد بخمسة أيام — أمره إلى ولديه: سعود، وفیصل، باتخاذ الأهمية ورفع درجة الاستعداد القتالى إلى أقصى درجة، محدداً لهم ساعة الصفر لبدء الزحف عقب صلاة فجر الثلاثاء ١٨ ذى الحجة ١٣٥٢ هـ (٢ أبريل ١٩٣٤م) ما لم يُصدر لهما قبل ذلك أمراً بالتوقف، وعليهما إبلاغ القواد تحت رئاستهما بإبلاغ الأمر فى الوقت الملائم للاستعداد للزحف .. وتصادف أن قامت عاصفة جوية ترابية، لمدة ثلاثة أيام، عطلت الاتصال بين الملك والقيادة فى الجبهات، وحن الموعد المحدد لبدء الزحف، فانطلقت القوات كل منها فى الجبهة المحددة لها. وقاد الأمير محمد بن عبد العزيز قوة احتياطية لدعم ما تحتاجه الجبهتان من قوات أو معدات.

كانت مهمة الجناح الشرقى للجيش السعودى، الذى يقوده الأمير سعود، تتركز فى: (١) العمل على الاستيلاء على مايجوزة القوات المتوكلية من أراضى نجران. (٢) تطويق القوات المتوكلية الموجودة فى

الجبال (فيفا، وبنى مالك والعبادل) والتحكم فيها، ومنع الامدادات عنها، ومن ثم مهاجمتها حين يشتد عليها الحصار بغرض الاستسلام. (٣) التحكم فى المنطقة التى بين صعدة ونجران، وبينها وبين جبال فيفا، وتهديد صعدة نفسها.

عند حلول ساعة الصفر تحرك القسم الأكبر من قوات الأمير سعود فاستولى على ماكان بيد القوات المتوكلية من أرض يام بنجران فى ٦ محرم/ ٢١ أبريل، وطاردت القوات المنهزمة إلى ماوراء بلدة الحضن^(١) آخر حدود نجران من جهة اليمن، ولم يبق إلا قاعدة واحدة فى الجنوب الشرقى فى يد القوات المتوكلية. وتقدمت مجموعة من الجيش يقودها الأمير فيصل ابن سعد، وأخوه فهد، فاحتلت بلدة "باقم" وبلاد بنى جماعة، وقطعت بذلك خط الرجعة عن القوات المتوكلية فى نجران، كما تقدمت مجموعة أخرى يقودها الأمير خالد بن محمد فطوق القوات الموجودة بالجبال (فيفا والعبادل وغيرها) من جهة الشرق والجنوب، وظلت فى مناوشات معها. ومنعتها صعوبة الجبال ووعورتها من التقدم. فأحكمت الحصار عليها. ونقل الأمير سعود مقر قيادته العليا من أبها إلى داخل أرض اليمن مما يلى الحماد بين "بقعة ونشور" جنوب "باقم" وشمال صعدة^(٢).

(١) أوردتها د. عصام، المصدر السابق، ص ٨٢٥ باسم "الحض" وأوردتها د. الخورش، المصدر السابق، ص ٢٣٥ باسم "المحسن" ونقلناها هكذا، عن فؤاد حمزة، فى بلاد عسير، ص ١٩٠ كما وردت هكذا فى نص معاهدة الطائف. د. الخورش، المصدر السابق، ص ٢٣٤، ٢٣٥، ومجلة الفتح العدد ٣٨٩ بتاريخ ١٢/٢١/١٣٥٢هـ، والعدد ٣٩١ بتاريخ ٥ محرم ١٣٥٣هـ، والعدد ٣٩٣ بتاريخ ١٩ محرم ١٣٥٣هـ، ومذكرات الماضى، ص ٢٢٦.

أما جبهة الساحل وتهامة، فقد تقدمت فيها القوات فى زحف متواصل، ولم تجد مقاومة إلا فى "حرض" وعندما استولت عليها، إنهارت بقية القواعد والتجمعات المتوكلية بتهامة اليمن، وأسر عامل مبدى القاضى عبد الله العرشى، واستسلمت البلدان واحدة بعد الأخرى حتى بلدة الطائف جنوب الحديدة بمسافة ١٢ ميلاً، وباجل بالشرق، وأقبل مشايخ تهامة الجنوبية، ورؤساء قبائلها يعلنون الطاعة والولاء، ويطلبون الأمان، من الأمير فيصل بن عبد العزيز، فقد كانوا يظنون أن بسط النفوذ السعودى سيستمر عليهم، وهم شوافع عانوا الكثير من الحكم الزيدى خلال السنوات التسع الماضية، منذ اقتطع الإمام هذا الجزء من المقاطعة الإدريسية، وكان الحكم الزيدى وقتها مازال متعصباً فى إدارته، وإن كانت قد خفت تلك العصية شيئاً فشيئاً فيما بعد، لكى يقبله جميع طوائف الشعب اليمنى، بمختلف مذاهبهم واتجاهاتهم العقيدية والسياسية.

وتحت الضغط العسكرى توالى انسحاب أو استسلام عمال الإمام وقواده فى تهامة، وكان من بينهم سيف الإسلام الحسين^(١) أحد أبناء الإمام يحيى، حيث غادرها إلى صنعاء فى ١٤ محرم ١٣٥٣ هـ (٢٩ أبريل ١٩٣٤م) قبل أن تصلها القوات السعودية. كما غادرها قائد الحامية العسكرية سليم بك إلى جزيرة كمران، وتفرق جنود الحامية النظامية البالغ عددهم ٦٠٠ فرد فى الجبال، وخشى العديد من الأهالى من سطوة الجيش

(١) فى بعض المصادر أورد أن اسمه "عبد الله" لكن الصواب "الحسين" قتل بيد المتآمرين يوم مقتل والده فى ٧ ربيع الثانى ١٣٦٧ هـ (١٦ فبراير ١٩٤٨م).

القادم ففر كثير منهم إلى الجبال، وبعضهم إلى جزيرة كمران، وعمت الفوضى المدينة، فاندفعت بعض القبائل المجاورة لتزاول مهتها فى السلب والنهب، فاقترحوا مستودعات الحكومة وسلبوا ما فيها من بضائع، وأسلحة وذخيرة، وتعرض قصر الحكم للنهب، وقام بعض وجهاء البلد بمحاولات السيطرة على الموقف، ومنع امتداد أعمال السلب إلى متاجر الأهالى ويوتهم، وأرسلوا إلى الأمير فيصل بن عبد العزيز، وكان مايزال فى اللحية، يطلعون على الموقف، ويطلبون سرعة حضوره لتأمين البلد والأهالى، فبعث كتيبة محمولة على السيارات، لتصل بسرعة، كطليعة للجيش الزاحف، بغرض تأمين البلد والأهالى.

كانت بريطانيا وإيطاليا وفرنسا، تراقب الصراع الدائر على حذر، وأرسلت كل منها قوة بحرية ربضت فى ميناء الحديد، وكانت بريطانيا أسرعهم فى الوصول إلى الميناء ببعض قواتها البحرية، وقامت طائراتها بعدة طلعات جوية استكشافية صباح ١٨ محرم ١٣٥٣هـ (٣ مايو ١٩٣٤م) واستطاعت إنزال بعض قواتها صباح اليوم الثانى إلى المدينة بحجة تأمين رعاياها. قبل وصول طلائع القوات السعودية، وفور وصول تلك الطلائع السعودية، قامت بضرب حصار حول المدينة لتأمينها من المتسللين، واتصلت بكبار الموظفين والأهالى وطمأنتهم، وأبلغت الأمير فيصل بالوضع، وكان يتحرك وقتها من اللحية فى طريقه إلى الحديد، كما أبلغته بوجود السفن للدول الثلاث فى ميناء الحديد، ونزول بعض القوات البريطانية إلى الشاطئ، فأبرق إلى جدة، لتقديم احتجاج إلى ممثلى هذه

السلول، لتسحب قواتها. ثم وصل الأمير فيصل إلى الحديدة يوم ٢٢ محرم/٥ مايو. فطمأن الأهالي، وأمنهم على أرواحهم وأموالهم، وطلب من الموظفين مزاوله عملهم اليومي دون توقف.

وفى اليوم التالى لوصوله ٢٣ محرم/٦ مايو، علم بأن إيطاليا تحاول إنزال بعض جنودها على الشاطئ فأمر بإطلاق النار كنوع من التحذير، فتوقفوا، ثم اتصل بقيادة هذه القوات الثلاث، وطلب منهم سحب قواتهم من الميناء، وأن تأمين رعاياهم ومصالحهم أصبحت من مسئولية السعودية، كما أن مايدور هو خلاف بين العرب بعضهم وبعض وسوف يقومون بتسويته بأنفسهم دون تدخل من أية دولة أجنبية^(١) وعلى هذا سحبت بريطانيا قواتها من المدينة، وبعث الأمير فيصل إلى النازحين من أهل المدينة إلى جزيرة كمران بالعودة لمباشرة عملهم وممارسة حياتهم اليومية فى أمان، كما بعث الملك عبد العزيز وزير المالية عبد الله السليمان، ومعه

^(١) ملخصناه بإيجاز عن وقائع هذه الحرب، انظره مفصلاً فى: العقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١١٤-١١٣٨، ود. عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٢٧١-٢٨٦، ود. فتوح الخورش، المصدر السابق، ص ٢٢٩-٢٣٣، وأمين سعيد، المصدر السابق، ص ٣٧٤-٣٧٩، ود. سالم، المصدر السابق، ص ٣٧٩-٣٨٢، والزركل، المصدر السابق، ص ٦٠٣، وجريدة الأهرام العدد ١٧٧١٧ بتاريخ ٢ محرم ١٣٥٣هـ، والعدد ١٧٧٤٣ بتاريخ ١٩ محرم ١٣٥٣هـ (٣/٥/١٩٣٤م) وصحيفة أم القرى الأعداد الصادرة فى ذى الحجة ١٣٥٢ إلى صفر ١٣٥٣هـ، وغيرها من وثائق عربية، وأجنبية. ولوحظ أن كثيراً من المؤلفات اليمنية، وبالأخص تاريخ كل من الواسعى، والجرفسى، لم تتعرض لوقائع هذه الحرب، وماتت عنها.

مجموعة من الموظفين، ورجال الشرطة، لتنظيم الأجهزة الإدارية والمالية فى المدينة.

وإزاء تدهور الموقف العسكرى للقوات المتوكلية فى الأيام العشر الأولى من بداية الحرب، لم يجد الإمام مفرأً من الاستسلام وطلب الصلح، فبعث برقية إلى الملك بتاريخ ٢٨ ذى الحجة ١٣٥٢هـ (١٢ أبريل ١٩٣٤م) جاء فيها: .. كفى ماقد كان، ونعوذ بالله من شرور المتربصين بالإسلام الدوائر، لتحقيق مطامعهم، وبلاد يام تحت حكمكم، وقد أمرنا برفع جندنا من بلاد بخران، وتفضلوا بطلب السيد/عبد الله بن الوزير إلى حضرتكم لإكمال المعاهدة الأخوية^(١) .. لكن الملك لم يستجب مباشرة لوقف الحرب، خشية من أساليب المراوغة التى عانى منها، فركز على ضرورة الهيمنة على جزء من الأرض، تكون وسيلة ضغط لتنفيذ الأمور المعلقة، والتى كانت مجال مراوغة. لذا واصلت قواته زحفها بعد تلقى هذه البرقية، دون أن يعطيها أمراً بالتوقف، ووطدت أقدامها فى المناطق التى استولت عليها .. وخشى الإمام أن تواصل القوات السعودية زحفها إلى صنعاء، فأبرق إلى الملك مبدياً استعدادة لقبول شروطه، ومطالباً

^(١) د. فتوح الخورش، المصدر السابق، ص ٢٣٣، والعقلى، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١١٥، ومجلة الفتح،

العدد ٥٩١، محرم ١٣٥٣هـ (٢٠ أبريل ١٩٣٤م).

بايقاف الحرب في الحال، وراجياً من الملك طلب عبد الله بن الوزير لتوقيع معاهدة سلام وصداقة بينهما^(١).

استدعى الملك عبد العزيز إلى مجلسه بقصره في الطائف عبد الله بن الوزير، وكان هو وكافة أعضاء الوفد اليمنى ينزلون في ضيافته بمكة المكرمة، وعند حضوره، أطلعه على برقية الإمام، ثم تناول ورقة وكتب بخط يده الشروط المطلوبة، وهي: (١) تسليم الأدارسة. (٢) الانسحاب من نجران (معنى لا مطالبة إلا بما ينص عليه في المعاهدة). (٣) الاعتراف بالحدود التي سبق بحثها، وإبرام معاهدة بذلك. ثم سلمها إلى عبد الله بن الوزير، فاستأذن من الملك للإبراق إلى الإمام، فأذن له، وبعد ساعات وصلت موافقة الإمام، فأصدر الملك أمره إلى القواد في الميدان بالتوقف عن الحرب، وأن يظل كل في مكانه لحين إصدار تعليمات أخرى، وأصدر أمره بتشكيل وفد الملكة للمفاوضات برئاسة الأمير (الملك) خالد بن عبد العزيز، وبدأت فوراً في اجتماعاتها، لوضع نصوص "معاهدة الطائف"^(٢) التي نص فيها على أنها معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية بين الدولتين.

(١) د. فتوح الخورش، المصدر السابق، ص ٢٤٥، وجريدة الفتح، العدد ٣٩٥، بتاريخ ٤ صفر ١٣٥٣ هـ (١٧ مايو ١٩٣٤م).

(٢) لوحظ أن د. سالم، المصدر السابق، وضع هامشاً عند كلمة "الطائف" وقال إن الطائف التي جرت فيها مفاوضات الصلح والمعاهدة هي الطائف الواقعة جنوب الحديدة، وليست الطائف الشهيرة التي بالحجاز؟! ولا ندري كيف فاته ذلك؟!.

أعلنت الهدنة فى ٣٠ محرم ١٣٥٣هـ (١٣ مايو ١٩٣٤م) وأصدرت الخارجية السعودية بلاغاً جاء فيه: بناء على قبول الإمام تسليم الأدارسة، وإخلاء الجبال، وتسليم رهائنها، بدأت مفاوضات الهدنة، وقد أمر الملك عبد العزيز جيوشه بالتوقف فى الأماكن التى احتلتها، وتوقف القتال فى سائر الجبهات، للدخول فى مفاوضات الصلح^(١) التى عقدت أولى جلساتها يوم ١ صفر ١٣٥٤هـ، (١٥ مايو ١٩٣٤م)^(٢).

وقبل أن تنتقل إلى استعراض بعض نصوص المعاهدة، لنا وقفة مع بعض المؤرخين الذين يحاولون تحليل نتائج هذه الحرب، وما يطرأونه من فروض، وبينون عليها استنتاجات، أو يصلون منها إلى نتائج بعيدة عن الواقع، والحقيقة!

من بين ذلك: هل كان فى حساب الملك عبد العزيز ضم اليمن إلى مملكته؟ أم كان يريد مجرد تقليص مخالف الإمام؟^(٣) أو هل كان بمقدور الملك أن يسيّر جيوشه حتى صنعاء للقضاء على الحكم الزيدى فى اليمن،

(١) امين سعيد، المصدر السابق، ص ٣٧٩، ود. الخورش، المصدر السابق، ص ٢٤٥.

(٢) لوحظ أن الزركلى، المصدر السابق، ص ٦٠٤، أورد أن الملك عبد العزيز أمر بوقف الزحف على الجبهات يوم ١١ محرم/٢٧ أبريل، وليس هذا صواباً، ففى هذا التاريخ لم يكن الأمير فيصل قد دخل بعد المدينة وغيرها من المدن التهامية اليمنية. وهو مخالف أيضاً للتاريخ الذى أعلنته وزارة الخارجية السعودية عن توقف القتال والمذكور أعلاه.

(٣) د. عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٦.

ويضمها إلى مملكته؟^(١) وما الذى كان يحدث لو أن الإمام رفض شروط الملك؟^(٢) وغير ذلك من طرح وتساؤل.

والواقع أنها فروض فى غير موضعها، فهم يؤرخون لحوادث وقعت فعلاً، واتخذت مساراً معروفاً، ووصلت إلى نهايات معلومة تاريخياً، ولن تحوّل تلك الفروض مسارها ولاتتائجها، فضلاً عما تحييه تلك الفروض من بواعث فى النفس الحاضرة!.

لقد تناسى الجميع ماكان يردده الملك فى برقياتہ للإمام من أنه لايرغب فى شئ من بلاده .. فى معظم مكاتباته .. وعلى مدار سبع سنين من المفاوضات، وتبادل البرقيات .. والآن قدم الدليل القاطع على صدقه فى كل ماقله، وماكرره، وأكدہ .. عندما أمر قواته بالانسحاب من الأراضى التى استولت عليها داخل اليمن. عقب توقيع المعاهدة، ولو لم يكن عند كلمته، ملتزماً بها، لأبقى فى يديه جزءاً مما استولى عليه: ولن يلومه أحد فى ذلك، وله الحق شرعاً وقانوناً أن يفرض على خصمه مايشاء. شأن أيّ منتصر فى الدنيا بأسرها .. لكنه ملتزم بكلمته، فلم يطلب فى شروطه سوى الأمور المعلقة، والتى قتلت بحثاً قبل الحرب .. ولذا فإن القنصل البريطانى فى جدة يوم أن عرف شروط الملك للصالح

(١) د. الخورش، المصدر السابق، ص ٢٤١.

(٢) د. سالم، المصدر السابق، ص ٣٨٣.

قال: إن مطالب ابن سعود أكثر اعتدالاً عما كان متوقعاً^(١). ويقول سلفاتور أبوتتى: كان يبدو للعالم أنه ليس هناك ملئمتع ابن سعود من ضم بلاد اليمن كلها إلى بلاده .. ولم يفرض ابن سعود على الإمام يحيى أية تعويضات مالية، ولم يرغمه على التنازل عن أى من الأراضى اليمنية^(٢) وقال جون،س، ولينكسون: بعد انهيار المفاوضات اندلعت الحرب، وبعد وقت قصير دخل فيصل بن عبدالعزيز الجديدة، وصار الطريق إلى صنعاء مفتوحاً، واستسلم الإمام بعد ستة أسابيع .. وكان ابن سعود كريماً مع الإمام^(٣)

فاللؤل الأجنبية كانت تتوقع من الملك أن يكون أكثر تشدداً، ويزيد فى مطالباته، ولديه الحق فيما يطلبه. لكنه لم يفعل، لأنه يريد اليمن لأهلها.. يريد لها دولة مستقلة، يضع يده فى يدها لمواجهة الأخطار المخلقة بهما معاً.

ونقطة أخرى، وهو أن الملك لم يكن يقصد من الحرب كسب أرض جديدة حتى لو وصلت جيوشه إلى صنعاء، وإنما كان هدفه منها هو إرغام الإمام على الإقرار والاعتراف بالوضع الحالى قبل الحرب، ولو كان سلم بها قبل ذلك لما وقعت الحرب، ولذا كانت تعليماته واضحة لقواد

(١) وثيقة عبارة عن تقرير رفعه سير أنلرو ريان إلى وزارة الخارجية بلندن 131-371/17928.

(٢) فى كتابه، مملكة الإمام يحيى، ص ٩٦.

(٣) فى كتابه، حلود الجزيرة العربية، ترجمة محدى عبدالكريم، ص ٣٣.

جيشه بعدم التوغل أكثر من اللازم فى الأرض اليمنية لأنه سيعيدها ثانية لأهلها .. فهذا ضمن تخطيطه المسبق، ولم يتحول عنه بعد فوزه فى الحرب.

ثم إن هذه الحرب لم تكن هزيمة للجندى اليمنى بأى حال من الأحوال، فهو جندى مقاتل وشجاع دون شك، لكنها هزيمة لقياداته التى ملكها الغرور. وغاب عنها تقدير الموقف تقديراً سليماً، من كافة النواحي. السياسية، والعسكرية، والإدارية وغيرها. فالقيادات بمختلف مستوياتها لم تكن على مستوى المسؤولية، ومثال واحد للدليل على هذا، وهو هروب قائد حامية الحديدة من موقعه الميدانى إلى جزيرة كمران، قبل وصول طلائع القوات السعودية^(١). وغيره كثيرون^(٢).

وكما أدار الملك عبد العزيز دفة المفاوضات السلمية ببراعة الرّبان الماهر، فإنه أيضاً أدار رحى الحرب بكفاءة القائد الخبير بالشؤون العسكرية، فهى تختلف فى أسلوبها، عن الحروب العديدة التى خاضها من قبل، لأنها تشبه إلى حد كبير أساليب الحروب العصرية الحديثة، من حيث الاستعداد، والتجهيز والتحضير، ودرجة التعبئة القتالية الميدانية فى كل

^(١) وكان اسمه: سليم بك، عثمانى الأصل، فكثير من قيادات الجيش كانوا من الضباط العثمانيين الذين استمروا للعمل فى اليمن، لتنظيم الجيش، وعلى رأسهم آخر الولاة العثمانيين محمود نديم باشا، ومعظمهم لم يكونوا على مستوى المسؤولية.

جبهة، وساعة الصفر لكافة الجبهات وأسلوب الهجوم، والتطوير، وغير ذلك مما يدخل فى إطار الاستراتيجية العسكرية للحروب الحديثة^(١).

الوساطة العربية.

وقد أثار اندلاع الحرب بين الدولتين جزءاً بالغاً فى العالم العربى، وظهر التباين واضحاً فى الموقف الشعبى عنه فى الموقف الرسمى للحكومات العربية، فبينما كان الشعور الشعبى الممثل فى الهيئات والجمعيات والطوائف الشعبية طاغياً، ومتفاعلاً مع خطورة هذا الحدث، مطالباً بضرورة السعى لايقاف الحرب بين الدولتين المسلمتين، وأهمية الوصول إلى حل سلمي، إذا بالحكومات لاتظهر القدر نفسه من التفاعل، فربما يعود ذلك إلى أن الحكومات، والدول العربية نفسها كانت تخضع إلى الهيمنة والنفوذ الاستعمارى - فيما عدا الدولتين المتحاربتين اللتين كانتا مستقلتين استقلالاً كاملاً - فأرادت الدول العربية بحارة الدول الاستعمارية فى الوقوف على الحياد من هذه الحرب.

أما الهيئات الشعبية فقد عقدت عدة اجتماعات، وتوافد إلى تلك الاجتماعات كبار الشخصيات فى المحافل العربية، مطالبين بإيفاد مبعوثين

^(١) وليس أدل على إسهاماته فى وضع الخطة الحربية، وإشرافه على تنفيذها، من أن الأمير فيصل إتصل به، عندما عرف الوضع فى المدينة، وأن الموقف يستدعي للنهاب فوراً إليها لتأمينها فما اتفقا عليه مسبقاً اقتضى نوعاً من التعديل، نظراً لوضع المدينة، لذا اتصل به يفيدته ادخال بعض التعديل على الخطة المتفق عليها بينهما.

للساطة بين الدولتين، لإيقاف الحرب، والسعى لإنجاز الصلح والحل السلمي^(١) وكان من أبرز تلك الاجتماعات ماعقد بمقر كل من: جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة، والمؤتمر الإسلامي بالقدس، شاركت فيهما العديد من الهيئات والطوائف والجمعيات، وتم الاتصال بينهما، والاتفاق على إرسال وفد مشترك للوساطة يمثل الدول العربية، وتكون الوفد من: الحاج أمين الحسيني رئيس المجلس الإسلامي بفلسطين (عن فلسطين) الأمير شكيب أرسلان (سوريا)^(٢) ومحمد على علوبة باشا والدكتور عبد الحميد سعيد (مصر) وهاشم الأتاسي (سوريا)^(٣) كما انضم إلى الوفد فيما بعد كل من: جميل مردم بك، وعفيف الصلح، وشكري القوتلي (سوريا) ومحمد رفعت (مصر).

وصل وفد الوساطة العربية إلى جدة يوم ٢ محرم ١٣٥٣هـ (١٦ أبريل ١٩٣٤م) قبل صدور قرار الهدنة، وقبل الإمام شروط الصلح، وتوقف القتال على الجبهات، وقد قبل الوفد بنظرة عتاب أخوية .. أين كنتم قبل تأزم الموقف، بل منذ سبع سنين؟! لكنه لقي الترحيب والتكريم من الملك عبد العزيز كعادته في إكرام ضيوفه. واستمر بعض أعضاء وفد الوساطة

(١) كان من بين الشخصيات المصرية الذين سعوا بصفتهم الشخصية: حمد البامل باشا، زميل عرابي باشا في الثورة ضد الإنجليز، وعمر طوسون باشا، من الأسرة الحاكمة في مصر وقتها، ومصطفى النحاس باشا، رئيس حزب الوفد، والشيخ محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار، الداعية الإسلامي المعروف.

(٢) كان الأمير شكيب أرسلان مبعداً عن سوريا، ومقيماً في سويسرا بسبب معارضته للاحتلال الفرنسي، وتم الاتصال به، فقدم للمشاركة في وفد الوساطة.

(٣) أوردته بعض المصادر على أنه كان يمثل العراق، بينما هو سوري، وصار فيما بعد رئيساً للجمهورية السورية.

بمكة المكرمة، يجرى اتصالات بالإمام يحيى، ثم انتقل إلى الطائف حين بدأت المفاوضات لصياغة المعاهدة، وتوقيعها مبدئياً من رئيسى وفدى البلدين، ثم سافر وفد الوساطة مع الوفد اليمنى لاعتمادها والتصديق عليها بالتوقيع النهائى من الإمام يحيى^(١) بعد اعتمادها والتصديق عليها بالتوقيع النهائى من قبل الملك عبد العزيز. وقيل : شارك بعض أعضاء وفد الوساطة حضور بعض جلسات المفاوضات وصياغة المعاهدة^(٢) بغرض تقريب وجهات النظر، والإسهام بدور فى إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم بين البلدين المسلمين. وعاد الوفد بحراً عن طريق جدة إلى السويس منتصف شهر صفر ١٣٥٣هـ (أواخر يونية ١٩٣٤م).

محادثة الطائف، ومراعاة بعض محتوياتها.

بدأت المفاوضات لإبرام المعاهدة المطلوبة، فى شكل ودّي للغاية، فقد ظهر ابن الوزير رئيس الوفد اليمنى فى صورة مغامرة تماماً عما كان عليه فى مؤتمر أبها، الذى سبق اندلاع الحرب، وأبدى الكثير من المرونة

^(١) انظر فيما سبق: د. سالم، المصدر السابق، ص ٣٨٤-٣٨٩، ود. عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٩، ٢٩٠، ود. الخرش، المصدر السابق ص ٢٦٦-٢٧٨، والعقلى، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١١٥، ١١١٦، وعبد النعم الغلامى، الملك الراشد، ص ٨٧، ٨٨، وجون فيلى، تاريخ نجد، ص ٥٠٤، وفواد حمزة، البلاد العربية السعودية ص ١٣٧، وقد أهمل فواد حمزة ذكر وفد الوساطة العربية، فيما عدا الوفد السورى، والحبشى.

^(٢) كان من بينهم محمد على علوية باشا، وشكرى القويلى، د. سالم، المصدر السابق، ص ٤٠٤.

والتفاهم، مع أنه كان يرجع فى كل كبيرة وصغيرة إلى الإمام قبل إقرار أية نقطة. وقابل الملك عبد العزيز هذا الموقف برحابة صدر، وأصدر أمره إلى وفد المملكة بالتساهل وعدم التشدد. ولا أدل على ذلك من أن الملك تراجع عن تنفيذ كامل شروطه التى قبلها الإمام، وتوقفت الحرب على إثرها، والثى منها إخلاء نجران بكاملها، وبعد أن تم إخلاؤها، حكم بأن يكون الوضع فيها على ماكانت عليه قبل أن تدخلها القوات المتوكلية، وأن يكون الفاصل الحدودى بين الدولتين هو حدود وائلة، حسبما ورد ذلك فى المعاهدة، وكذا حكم بأن يكون الفاصل فى جميع الحدود يبدأ من النقطة الفاصلة بين الموسم وميدى، وليس غيرها جنوباً، كما كان عليه الوضع قبل تأزمه، وأن يراعى وضعية القبائل على الحدود، بحيث لاتوزع أو تقسم فى مواطن إقامتها، وإنما تعدل الحدود لتلائم تقسيمها أو تشيتها. كما عزف عن المطالبة بتعريض ماضى لنفقات الحرب، عندما أحس بأن الإمام يعانى عسراً مادياً^(١) وقبل الملك أن تكون مدة المعاهدة عشرين عاماً، مثلما اقترحها الإمام من قبل، وكان بمقدوره أن يجعلها غير محددة المدة، لكن نظرتة ذاك الوقت أن إحلال السلام وترسيخ أواصر الأخوة الإسلامية بين الدولتين، سيحل الكثير من المشاكل وسوء التفاهم وأن المعاهدة ستكون تحصيل حاصل للواقع الفعلى، والصدقة بين البلدين

(١) الزركلى، المصدر السابق، ص ٦١٢، وقلبي، المصدر السابق، ص ٥٠٤، ويلاحظ أن الزركلى يحاول الإقلال من دور وفد الوساطة العربية، لكنه مهما كان دوره، فيكفى أنه كان تعبيراً عن شعور الشعوب العربية، وجزعها من هذه الحرب، واستنكارها أن تقع بين دولتين مسلمتين.

ستجعل كلاً منهما حريصاً على كيان الآخر من كل المخاطر، وبصفة عامة أظهر قدراً بالغاً من السماحة، فتنازل عن مكاسبه فى الحرب، وجعل نتيجتها لامهزوم فيها ولامتصر، ولاغالب ولامغلوب، وإنما عِذْلاًن متساويان فى كفتى ميزان^١.

حملت المعاهدة اسم "معاهدة صداقبة إسلامية وأخوة عربية" واختصاراً "معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ/ ١٩٣٤م وذلك إشارة إلى دخول الدولتين فى عهد جديد من الأخوة الإسلامية والعربية. تكونت المعاهدة من مقدمة ثم ثلاث وعشرين مادة^(١) وعهد تحكيم^(٢) وست رسائل متبادلة بين رئيسى الوفدين جميعها بتاريخ ٦ صفر ١٣٥٣هـ.

- المادة الأولى: تضمنت التأكيد على إنهاء حالة الحرب بمجرد التوقيع على المعاهدة، وإحلال حالة السلم، وإنهاء المنازعات بروح الوُدّ والوفاق، وأن يلتزم العاهلان بالسبر على هذه الخطوة، وكذا مَنْ يرثهما، أو يخلفهما.

- المادة الثانية: تضمنت اعتراف كل منهما باستقلال الآخر، استقلالاً تاماً مطلقاً، ويتنازل كل منهما عن أيّ حق يدعيه فى بلاد الآخر، فيتنازل الإمام يحيى عن أيّ حق يدعيه باسم الوحدة اليمنية أو غيرها، فى البلاد التى بموجب هذه المعاهدة أصبحت تابعة للسعودية،

(١) انظر الملحق رقم (٤).

(٢) انظر الملحق رقم (٥).

سواء منها ماكان بيد الأدارسة، أو آل عايض، أو نجران وبلاد يام، كما أن الملك عبد العزيز يتنازل عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرها، في بلاد الأدارسة التي أصبحت بمقتضى هذه المعاهدة جزءاً من أرض اليمن، وبذلك اعترف كل من الطرفين بممارسة الطرف الآخر للسيادة الفعلية على ماتحت يده من أراضي، وهذا الاعتراف بالسيادة أقوى من أى حجج تاريخية.

ولاريب أن هذه المادة وضعت حداً للدعاوى التي كانت تثار أثناء المفاوضات، على مدى سبع سنين، كما أوقفت كل الحجج التاريخية والجغرافية والسياسية وغيرها، مهما كانت قوتها ومصدقيتها، وما يترتب عليها من آثار، حيث أصبحت تلك الدعاوى لقيمة لها، ولاحدوى منها، سواء في الحال أو المستقبل، بالقياس إلى ماتم عليه الاتفاق بنص هذه المادة حتى أنه يمكن أن يقال في شأن هذه المادة، ما قيل في المثل: قطعت جهيزة قول كل خطيب^(١) من حيث البتّ في موقف تبارى فيه الخطباء، كل يظهر فيه حجته ودعواه.

^(١) وأصل هذا المثل أن قوماً اجتمعوا للصلح بين حين من أحياء العرب، قتل أحدهما من الآخر قتلاً، وأخذوا يتكلمون ويخطب بعضهم في استرضاء أهل القتل لأخذ الدية، وبينما هم كذلك إذ دخلت عليهم امرأة تسمى "جهيزة" فقالت: إن القاتل غفر به بعض أولياء المقتول فقتلوه، وعند ذلك قالوا هذا المثل.

- المادة الثالثة: حددت إطار التعامل بين الطرفين، بما يحفظ مصلحتهما، ومصلحة بلديهما، بلا ضرر ولا ضرار على أيهما، بمعنى أن يسود العدل فى التعامل بينهما.

- المادة الرابعة: خاصة بتحديد وتعيين الحد الفاصل للحدود بين الدولتين، وهذا الحد الفاصل يبدأ من النقطة الفاصلة بين "ميدى" و"الموسم" على ساحل البحر الأحمر، ثم يتجه إلى الشرق بـجبال تهامة .. إلى آخر ماتم إيراد مفصلاً، وبشكل دقيق لكيفية مسار الخط الفاصل، حيث روعى فى مساره الانتماءات القبلية، وتفروعات القبيلة، وتحاشى تقسيم بطونها بين الدولتين، إلا إذا ارتضت القبيلة ذلك، وبالنظر لكون القبائل متداخلة فى مواطن إقامتها على الحدود، فقد كانت مهمة لجان ترسيم الحدود على الطبيعة صعبة للغاية، من حيث تحديد الفواصل بين مواطن القبائل ووضع العلامات الحدودية.

وهذه المادة تعتبر العصب الرئيسى للمعاهدة، وإيرادها بهذا التفصيل الدقيق، يدل على مدى خبرة المشاركين فى وضع صيغة المعاهدة، ودرايتهم الكاملة بالوضع الحدودى آنذاك، ووضع القبائل بالجهتين، ومسمياتها ومواطن إقامتها وانتماءاتها وتفروعاتها وغير ذلك، مما روعى فيه مصلحة القبائل بالدرجة الأولى، وبالتالى الاستقرار الحدودى بين الدولتين، وتحاشى أية منازعات مستقبلية.

- المادة الخامسة: اختصت بتحديد منطقة حظر حدودية، بمسافة خمسة كيلومترات، على جانبي الخط الحدودي، يحظر فيها إقامة تحصينات، أو قلاع أو ما يشبه ذلك من التدابير العسكرية.

- المادة السادسة: اختصت بسحب الجنود من البلاد التي أصبحت بموجب هذه المعاهدة، تابعة للطرف الآخر، فلا مكاسب للمنتصر، ولا رادع للمتسبب، طالما حلت الأخوة والصداقة بينهما محل النزاع.

- المادة السابعة: اختصت بتعهد الطرفين لمنع أى عدوان، أو ضرر يقع من أهل دولته على أهل دولة الآخر، وليس هذا مختصاً بالمنطقة الحدودية فقط، وإنما منع العدوان والضرر فى أى موقع أو مكان آخر.

- المادة الثامنة: تعهد فيها الطرفان على عدم استخدام القوة لحل المشكلات التى تحدث بينهما، وأن يتم التوفيق لحل تلك المشاكل، فإن تعذر فيلجأ إلى التحكيم، وأرفق بالمعاهدة ملحق تضمن أسلوب وشروط التحكيم، له نفس قوة المعاهدة.

- المادة التاسعة: تعهد فيها الطرفان، بمنع استخدام أيّ منهما أرضه وبلاده قاعدة لأى عمل عدوانى، أو لمجرد الشروع فيه ضد الآخر، وتسليم الأفراد الممارين، الذين أقدموا على ارتكاب ما يعاقب عليه.

ثم استطردت المعاهدة فى إيراد البنود التى تؤكد على أهمية التزامات والتفاهم بين البلدين، وتنظيم العلاقات بينهما سواء فى المجال السياسى، أو الاقتصادى أو غيره، فى صورة أخوية يراعى فيها مصلحة الطرفين،

والتعاون فى رد العدوان الخارجى على أيّ منهما، وغير ذلك من دعم لروابط الأخوة والصداقة، حتى وصفها الكاتب الايطالى "سلفاتور أبوتشى" بقوله: .. وعلى حين بغتة هب الصلح، وهو فى الحقيقة صلح كان أغرب من الحرب.. وكانت معاهدة الصلح ماهى إلا أنشودة من أناشيد الوحدة العربية، وسرعان ماأدهشت هذه المعاهدة العالم بأسره للكرم والتسامح اللذين أظهرهما ابن سعود، واللذين زادا فى رفعة مقامه، وعلوّ مركزه فى نظر العالم، ويتوقع المعاهدة انتهت حالة الحرب، وتوطّد بين البلدين والشعبين صلح دائم، وصداقة أكيدة، وأخوة إسلامية عربية^(١)

ويلاحظ أن المعاهدة شاملة لأمرور ومواضيع متنوعة، منها:

١- أمور عسكرية، وأمنية، تتمثل فى: إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم، وسحب القوات العسكرية التابعة لأيّ من الطرفين، من الأراضى التى حددتها المعاهدة للطرف الآخر، وجعل هناك منطقة محظورة (محرمة) على جانبي خط الحدود الفاصل بين الدولتين، بمسافة خمسة كيلومترات.

٢- أمور لها صفة الدوام والاستمرارية، وتشمل:

أ- تعيين الحدود، وتثبيتها، وترسيمها، على الوجه الذى يكفل الاستقرار، وتحاشى النزاع مستقبلاً.

(١) فى كتابه السابق الإشارة إليه، ص ٩٦-٩٨ د. سالم، المصدر السابق، ص ٤٠٧، ود. الحفتر، المصدر السابق، ص ٢٦٠.

ب- إيقاف دعاوى أيّ طرف - تاريخي أو غيره - فيما أصبح

بموجب المعاهدة تحت نفوذ وسيادة الطرف الآخر.

ج- اعتراف كل من الطرفين باستقلال دولة الآخر،

استقلالاً تاماً، وسيادتها على أرضها التي حددتها

الحدود بموجب المعاهدة.

٣- أمور خاضعة لمدى نمو وتطور العلاقات بين الدول، مثل:

أ- ارتقاء وتطور التمثيل السياسى، والدبلوماسى بين الدولتين.

سواء فيما بينهما أو بين طرف ثالث، أو اتفاقهما على اتخاذ

موقف موحد فى المحافل الدولية.

ب- أسلوب تبادل الهاريين من إحدى الدولتين، ممن استحق

العقاب شرعاً.

ج- أسلوب نمو التبادل التجارى والاقتصادى، ومن ثم المزيد

من البحث فى مجالات أخرى للترابط والتعاون، مثل

النواحى التعليمية، والثقافية، والإعلامية، والعمرانية،

والعسكرية وغيرها. مما تقتضيه الظروف المستقبلية.

ولاريب أن كل واحد من هذه المواضيع كان بحاجة إلى معاهدة

منفردة به، وقائمة بذاته، أما وقد جمعت كلها فى معاهدة واحدة فأمر

يستدعى النظر، خاصة مع ماورد فى المادة (٢٢) التى نصت على سرعان

مفعول المعاهدة لمدة عشرين عاماً هجرياً، مع جواز تجديدها، أو تعديلها،

خلال الستة أشهر التى تسبق تاريخ انتهاء مفعولها. فإن لم يتحدد أو تعدل تظل سارية المفعول^(١).

ومن المعتقد أن نص هذه المادة لا يسرى على الفقرتين الأوليين، وهما: الأمور العسكرية والأمنية والأمور التى لها صفة الدوام، وإلا فما معنى إدخال تعديل على إنهاء حالة الحرب، وإحلال حالة السلم، أو إدخال تعديل على الحدود، بعد أن تم تثبيتها، وترسيمها، ووضع علامات على الخط الحدودى، وتم ممارسة السيادة الفعلية على الأراضى، وقد كانت قبل خاضعة لنفس السيادة؟! وهل سيسحب كل طرف اعترافه، وتنازله عما تحت يد الآخر، وتعود الدعاوى مرة أخرى؟! وهل ستعود القوات العسكرية إلى مواقعها التى كانت عليها قبل إبرام المعاهدة؟! أو هل ستسحب كل منهما اعترافها باستقلال الدولة الأخرى؟! وإلى غير ذلك من استفهامات، وطروحات غير مقبولة عقلاً ومنطقاً، وقانوناً، فضلاً عن أن يقرها المجتمع الدولى الذى نعيشه.

فالقانون الدولى الذى تخضع له جميع الدول المستقلة فى العالم، نص فى اتفاقية قانون المعاهدات الدولية (مادة ٦٢) على أنه لا يجوز إلغاء المعاهدات المنشئة للحدود بين دولتين، بحجة الاستناد لتغير الظروف^(٢) ولهذا فإن المعاهدات الدولية الخاصة بالحدود بين الدول غير محدده المدة

^(١) انظر نص المادة (٢٢) فى الملحق رقم ٤.

^(٢) د.عبد العزيز محمد سرحان، العودة لممارسة القانون الدولى الأوروبى، ص ١١٨، ١١٩.

نظرا لدوامها واستمراريتها. وإذا كانت الحرب قد اندلعت نتيجة لهذه الحدود، ثم أبرمت معاهدة الطائف لتعيينها وترسيمها، ووضع علامات فاصلة، بل جعل هناك منطقة محظورة على طول الحدود، فلا معنى مطلقاً لادخال تعديل عليها، فضلاً عن إلغائها بعدم تجديدها. وهو مضمون ما يؤكد القانون الدولي، وماتسمى كافة المنظمات الدولية على تأكيده وعلى رأسها هيئة الأمم المتحدة، حتى لا تحدث نزاعات بين الدول المتجاورة، ولذا فإن المادة المذكورة لم تشر إلى عملية الإلغاء لأنها ليست في الحسبان عند أي من الطرفين إبان إبرام المعاهدة.

من كل هذا يتضح أن المقصود بهذه المادة (٢٢) هي الأمور القابلة لنمو وتطور العلاقات بين الدولتين، والتي يدخلها فعلاً التعديل والتطوير، وإنشاء مجالات جديدة لنمو العلاقات بين البلدين، بموافقة الطرفين.

وربما يقال: فلم ذكرت هذه المادة في المعاهدة، ونص فيها على هذا التحديد؟ يجاب: بأن تحديد هذه المدة كان بداية اقتراحاً من الإمام، أثناء تبادل البرقيات، وعند إبرام المعاهدة كانت محاملة من الملك للإمام أن يلبي رغباته، حتى لا يشعره بأنه في موقف المنهزم الذي تملأ عليه الشروط، ويقبلها رغماً عنه، وكان بمقدور الملك ألا يذكرها كما سبق أن قلنا، وذكرت محاملة للإمام، ولكي تتناول الأمور المستحقة والمتطورة نتيجة لنمو العلاقات بين الدولتين.

تمت صياغة نصوص المعاهدة، وعهد التحكيم فى زمن قياسى^(١) وأجرى التوقيع عليها من قبل رئيسى وفدى البلدين يوم ٦ صفر ١٣٥٣هـ (٢٠ مايو ١٩٣٤م) وكذا عهد التحكيم، ثم تبادل رئيسا الوفدين: الأمير (الملك) خالد بن عبد العزيز، والسيد/ عبد الله الوزير، ست رسائل، حملت تاريخ اليوم نفسه، تتعلق باجراءات تنفيذ المعاهدة، من حيث تسليم الأدارسة، وإخلاء جبال تهامة وتسليم رهائنها، وأن تظل بنود المعاهدة فى طي الكتمان، وبخاصة مايتعلق منها بتحديد الحدود حتى يتم انسحاب القوات السعودية، بكامل معداتها، من المناطق التى استولت عليها بأرض اليمن، مع توفير الأمن والسلامة لها حتى إكمال انسحابها. وغير ذلك من إجراءات ضرورية تسبق نفاذ مقتضى المعاهدة.

وصدق عليها الملك عبد العزيز بالتوقيع بتاريخ ٢٩ صفر ١٣٥٣هـ (١٢ يونية ١٩٣٤م)^(٢) ثم حملها الوفد اليمنى وبرفته وفد الوساطة العربية، إلى صنعاء للتصديق عليها بالتوقيع من الإمام يحيى، فوقعها بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٣٥٣هـ (١٩ يونية ١٩٣٤م) وسجل الإمام عند التوقيع عليها عبارة حذيرة بالتسجيل، جاء فيها: بعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة

(١) حيث بدأت لجنتي المفاوضات جلستها لصياغة تلك المعاهدة يوم ١ صفر ١٣٥٣هـ (١٥ مايو ١٩٣٤م) وانتهت يوم ٦ صفر (٢٠ مايو) بما تخللها من مراجعة كل وفد لمرجه لاقرار المواد، والصيغة النهائية التى يتم اعتمادها.

(٢) ذكر الدكتور فاروق أباطه فى كتابه دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية ص ٥٨ أن الملك عبدالعزيز وقع على المعاهدة يوم ١٨ يونيه/ ٦ ربيع الأول، وأن الإمام وقعها فى اليوم الثانى ١٩ يونيه/ ٧ ربيع الأول. ومعنى هذا أن كلا منهما وقع نسخة منها، ثم تبادلوا النسخ للوقعة.

السالفة الذكر، وعلى عهد التحكيم، والكعب التى ألحقت بها، وأمعنا النظر فيها، صدقناها، وقبلناها، وأقررناها جملة فى مجموعها، ومفردة فى كل مادة، وفقرة منها، كما أننا نصدقها، ونبرمها، وتعهدها، ونعد وعداً ملوكياً صادقاً، بأننا سنقوم - بحول الله - بما ورد فيها، ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص، وبأننا لن نسمح - بمشيئة الله - بالإخلال بها بأى وجه كان، طالما نحن قادرون على ذلك. وزيادة فى تثبيت صحة كل ما ذكر فيها، أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة، ووقعناها بيدنا، والله خير الشاهدين.

حرر فى اليوم السابع من شهر ربيع الأول سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، وهذه أول اتفاقية ومعاهدة بيننا وبين حضرة أئمتنا جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود.

وهذه العبارة تدل على مدى تأثر الإمام بموقف التسامح الذى أظهره الملك عبد العزيز، وهو فى موقف قوة!!.

وكانت الإجراءات التنفيذية لمقتضى المعاهدة قد بدأت فور توقيع رئيسى وفدى البلدين، من حيث الإسراع بتشكيل لجان الاستلام والتسليم من الطرفين فى كل منطقة من المناطق الحدودية. بنجران، وجبال فيفا، وبنى مالك، والعبادل، وتم تسليم الحسن الادريسى، وابن أخيه عبد العزيز ابن محمد الادريسى، وثلاثمائة من أتباعهما فى ١٦ صفر ١٣٥٣هـ (٣٠ مايو ١٩٣٤م) إلى مندوب الأمير فيصل بن عبد العزيز، فسار بهم من زبيد موضع التسليم، إلى الحديدة مقر الأمير فيصل، فأمره بالتوجه برفقتهم

إلى جازان ثم مكة المكرمة، وبعد فترة لحق بهم عبد الوهاب الإدريسي، وفى ١٤ ربيع الأول ١٣٥٣هـ (٢٦ يونية ١٩٣٤م) أذاعت وزارة الخارجية السعودية بياناً أعلنت فيه أنه تم إخلاء منطقة الجبال (فيفا وبنى مالك والعبادل) وإطلاق رهائنهم، وبذلك تم تنفيذ الشروط المطلوبة^(١) وعلى إثر ذلك أصدر الملك عبد العزيز أوامره بإطلاق سراح الأسرى اليمنيين فى جازان، ونجران، وكان من بينهم القاضى عبد الله العرشى، وبدأت القوات السعودية عملية الانسحاب من الأراضى اليمنية، تحت إشراف لجان من الطرفين، قامت بعمل محاضر استلام وتسلم، ووصل الأمير فيصل إلى مدينة ميدى عائداً فى ١٥ ربيع الأول ١٣٥٣هـ (٢٧ يونية ١٩٣٤م) فى طريقه إلى جازان، انتظراً لانسحاب باقى قواته، ثم أعلنت الحكومة السعودية فى ٤ جمادى الأولى/ ١٤ أغسطس انسحاب جميع القوات السعودية عن الأقاليم، والأراضى التى خصصتها المعاهدة لليمن الشقيق^(٢).

وعلى إثر ذلك قامت اللجان المختصة من الطرفين بمهمة ترسيم الحدود على الطبيعة، وفق ماجاء فى المعاهدة، وسعت فى عملها هذا سعياً حثيثاً، مراعية الدقة فى عملها، والتحلى بروح الإخاء والود عند التنفيذ، وقدرت عدد الأعلام والأعمدة التى يمكن تثبيتها على الخط الحدودى، بصفة مبدئية بحوالى ٢٤٠ عموداً، على طول الخط الذى يبلغ مداه من

(١) د. الخرشى، المصدر السابق، ص ٢٥٤، ود. عصام ضياء الدين، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٢) د. الخرشى، المصدر السابق، ص ٢٥٥، والعقيلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٤٠، ود. عصام ضياء الدين،

المصدر السابق، ص ٢٨٩.

شاطئ البحر الأحمر - فيما بين الموسم وميدى - حتى الربع الخالى حوالى ٤٠٠ ميل^(١) وشكلت هيتان مشتركتان من الدولتين، لقرسيم الحدود، إحداهما لمنطقة تهامة، والأخرى لمنطقة الجبال وما إليها، وباشرت كل منهما عملها بالمنطقة المحددة لها، وواصلت كل منهما عملها بصبر وجلد، ثم قدمت اللجنة المشتركة لمنطقة تهامة ثلاثة تقارير موقعة من مندوبى الطرفين، الأول بتاريخ رمضان ١٣٥٤هـ (ديسمبر ١٩٣٥م) والثانى بتاريخ ٢٧ شوال ١٣٥٤هـ (٢١ يناير ١٩٣٦م) والثالث بتاريخ ٢١ ذى القعدة ١٣٥٤هـ (١٣ فبراير ١٩٣٦م) وكل من التقارير الثلاث يتضمن مسحاً لجزء معين من المنطقة الحدودية لعمل هذه اللجنة. كما قدمت لجنة الجبال تقريراً واحداً عن عملها بتاريخ ٢١ شوال ١٣٥٤هـ (١٥ يناير ١٩٣٦م) يتضمن مسحاً شاملاً للمنطقة الحدودية المكلفة بها، وأوضحت كلا اللجنتين أماكن وضع العلامات والأعمدة، على الحدود، وأوضحت للقبائل على جانبي الحدود، مدى تحركاتهم، ومرعاهم. وغير ذلك تحاشياً لأية منازعات، بين القبائل بعضها وبعض، كما أعطت وثائق للقبائل بهذا التحديد حتى تكون على بينة من الوضع الحدودى، وأعلمتهم بمن يقابلهم على الجانب الآخر من القبائل، لمنع التداخل.

وألحقت محاضر وتقارير هذه اللجان بمعاهدة الطائف فى حينه، لأنها تعتبر مكتملة لها، أو بروتوكولات لها.

(١) د. سالم، المصدر السابق، ص ٤٠٩.

وبذلك استقرت الأوضاع الحدودية بين الدولتين، وانتهت فترة توتر العلاقات بينهما، لتحل محلها فترة جديدة مبنية على أسس من الأخوة، والصداقة، الإسلامية العربية، فى العديد من الأنشطة التنموية، والاقتصادية، والتعليمية وغيرها، وتوطدت العلاقات بينهما فى كثير من المجالات على المستويين العربى، والدولى .. ورُبَّ ضارة نافعة .. فقد كان من نتيجة الحرب السلم الدائم، والتعاون الأخوى. فكل منهما أصبح فى نظر الآخر: الدولة الأولى بالرعاية. فى المفهوم السياسى^(١).

وفى عام ١٣٦٢هـ (١٩٤٣م) كلف الملك عبدالعزيز تركى الماضى القيام بمهمة إلى الإمام يحيى، وأثناء المقابلة قال الإمام: إن الولد الحسين (يقصد ابنه) بعد رجوعه من الحج موسم عام ١٣٦١هـ، ذكر له مشاهده من جلالة الملك عبد العزيز من الإكرام والاحترام، وقال لى : إن جلالة الملك وحيد دهره، وأفعاله ومساعيه كلها حميدة، ثم أردف الإمام قائلاً : كنت وقت الحرب أقول : إن جلالة الملك سيتفق (أى يريد الاتفاقية ولا يريد احتلال أو ضم أراضى) وأنه لا يحصل من جلالتة إلا كل خير، فصدّق الله ظننى، وحقق الأمل، وكان الاتفاق، وحسن التفاهم والحمد لله^(٢).

(١) انظر فيما سبق، العقبلى، أضواء على تاريخ الجزيرة العربية، ص ٤٤٨-٤٧٣.

(٢) المذكرات ص ٢٦٦.

وكان الإمام بعد ذلك متفاهماً ومتعاوناً لمصلحة بلده، ومصلحة البلدين بصفة عامة حتى وفاته يرحمه الله. استجابة لما كان يديه الملك عبد العزيز من حسن معاملة، وأخوة صادقة. بعد تجاوز تلك المرحلة الصعبة.

ولعلنا نذكر الوفد السعودي، فى آخر جولة للمفاوضات بصنعاء (١٦ صفر-١٠ ربيع الثانى ١٣٥٢هـ) وقد عانى ماعاناه فى هذه الجولة، عندما عاد إلى الرياض، رفع تقريراً إلى الملك عبد العزيز عن مهمته، جاء فيه: .. إننا ينبغي أن نخطط منهاجاً ثابتاً نسير عليه .. إلى أن تتبدل ذهنية القابضين على زمام الأمر فى اليمن^(١).

ومرت الأيام وجاء من قبض على زمام الأمر فى اليمن، وكانوا على مستوى المسئولية لبلدهم، وشعبهم وأمتهم الاسلامية العربية، فتلاقوا مع أشقائهم بالملكة العربية السعودية، رؤاد الحكمة والبصيرة، وكانت مذكرة التفاهم، التى وقعت بمكة المكرمة فى ١٤١٥/٩/٢٧هـ، وتم الاتفاق بروح الوفاق على أن تكون معاهدة الطائف أبدية، وليست محددة المدة. وأن يتم الانتهاء من كافة الأمور المعلقة بين البلدين، بروح من الود والإخاء.

(١) مذكرات تركى الماضى، ص ١٥٨.

ويقود البلدين فى عهدنا الحاضر أبناء نجباء أوفياء لمنهج عبد العزيز،
فى صدق التعامل، والتحلى بالعديد من الفضائل، ومكارم الأخلاق.

وأخيراً آمل أن تكون هذه الدراسة قد أضافت جديداً إلى جهد
السابقين، بمزيد من كتلة الإشعاع المنبعثة على إطلالة تاريخ المنطقة المعنية
بالدراسة، فالله هو الموفق والمعين، وله الحمد أولاً وأخيراً.

الملاحق

ملحق (١)

معاهدة سنة ١٣٣٨ هـ

بين الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

والإمام محمد علي الإدريسي

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الله

يعلم به الناظر والواقف عليه بأن الامام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل حفظه الله لما أمرنا بالقول على الامام محمد بن علي بن إدريس لعقد الأخوة الاسلامية الخاصة وجمع الكلمة على دين الله ورسوله ودعوة الناس إلى ذلك في التعاون على البر والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله وان تكون اليد واحدة على أعداء الدين، فلما قدمنا على الامام المذكور سره ذلك وأحبه حرصاً على الخير والتعاون عليه فاتفقت الحال منا ومنه على عقد الأخوة بين الامامين المذكورين على مثل ما ذكر أعلاه فحيث كان في المملكة الامام محمد بن علي من القبائل والبلدان في اليمن ماهر في ملك آل سعود سابقا تركه الإمام عبد العزيز له لأجل محبته للخير ومعاونته عليه وحسن سيرته فعلى هذا لا بد من تعريف القبائل وتحديد لها ليقوم كل منهما بما اوجب الله عليه فيمن تحت يده من الرعية فصار الذي للإمام عبد العزيز من القبائل جميع يام ووادعة

ومن تبعهم من بنى جماعة وسحار وشرّيف وقحطان ورفيدة وعبيدة، منهم بني بشر وبني طلق وشهران وبني شهر وغامد وعسير غامد وجميع قضاء محایل منهم بنى ثوعة وأهل بارق وترقش وأهل الريش وغيرهم ممن تبعهم وجميع قبائل حليّ المذكورون فى ولاية الامام عبد العزيز، وصار للامام محمد بن علي الادريسي تهامة سوى ماذكر وغير ذلك مما هو تحت يده وله رجال المع من عسير خاصة، ولايعارض كل منهما من تحت يد الآخر وماذكر لعبد العزيز بن عبد الرحمن من القبائل في السراة وتهامة ويام وغيرهم فالمراد به قرى وبوادي في جبل وسهل وعليهما في ذلك التناصح والتعاون وبذل الجهد فيما أوجب الله عليهما مما يلزم في دين الاسلام فيمن تحت أيديهما، هذا ماصار وحرر وقرر منا يانواب الإمام حيث كنا قائمين مقامه ومن الإمام محمد بن علي بن إدريس بحضوره وإمضائه صدر العهد والميثاق منا ومنه ومن نكث فإنما ينكث على نفسه، والله ولي التوفيق، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم،

١٦ ذي الحجة ١٣٣٨هـ

نائب الإمام

عبد الله بن محمد الراشد

ناصر بن حمد الجار الله

فيصل بن عبد العزيز المبارك

الختم

محمد بن علي بن إدريس

ملحوظة: لقد تم التصديق على هذه الاتفاقية بتاريخ ١٠ صفر ١٣٣٩هـ، ولذا عرفت فيما بعد باتفاقية "١٠ صفر ١٣٣٩هـ".

ملحق (٢) اتفاقية مكة المكرمة بين الملك عبد العزيز والإدريسي

الحمد لله وحده:

بين ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، وبين الإمام السيد
الحسن بن علي الإدريسي.

رغبة في توحيد الكلمة، وحفظاً لكيان البلاد العربية، وتقوية
للروابط بين أمراء جزيرة العرب، قد اتفق صاحب الجلالة ملك الحجاز
وسلطان نجد وملحقاتها، عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل السعود،
وصاحب السيادة إمام عسير، السيد الحسن بن علي الإدريسي، على عقد
الاتفاقية الآتية:

المادة الأولى: يعترف سيادة الإمام السيد الحسن بن علي الإدريسي
بأن الحدود القديمة الموضحة في اتفاقية ١٠ صفر سنة ١٣٣٩ هـ المنعقدة بين
سلطان نجد وبين الإمام السيد محمد بن علي الإدريسي، والتي كانت
خاضعة للأدارة في ذلك التاريخ، تحت سيادة جلالة ملك الحجاز
وسلطان نجد وملحقاتها بموجب هذه الاتفاقية.

المادة الثانية: لا يجوز لإمام عسير أن يدخل في مفاوضات سياسية
مع أي حكومة، وكذلك لا يجوز أن يمنح أي امتياز اقتصادي إلا بعد

الموافقة على ذلك من صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الثالثة: لا يجوز لإمام عسير إشهار الحرب أو إبرام الصلح إلا بموافقة صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها.

المادة الرابعة: لا يجوز لإمام عسير التنازل عن جزء من أراضى عسير المبينة فى المادة الأولى.

المادة الخامسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بحاكمية إمام عسير الحالى على الأراضى المبينة فى المادة الأولى مدة حياته، ومن بعده لمن يتفق عليه الأدارسة، وأهل العقد والحل التابعين لإمامته.

المادة السادسة: يعترف ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها بأن إدارة بلاد عسير الداخلية، والنظر فى شؤون عشائرها من نصب وعزل وغير ذلك من الشؤون الداخلية من حقوق إمام عسير، على أن تكون الأحكام وفق الشرع والعدل كما هى فى الحكومتين.

المادة السابعة: يتعهد ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها، بدفع كل تعد داخلي أو خارجي يقع على أراضى عسير المبينة فى المادة الأولى، وذلك بالاتفاق بين الطرفين حسب مقتضيات الأحوال ودواعى المصلحة.

المادة الثامنة: يتعهد الطرفان بالمحافظة على هذه المعاهدة والقيام بواجبها.

المادة التاسعة: تكون هذه المعاهدة معملاً بها بعد التصديق عليها من الطرفين الساميين.

المادة العاشرة: دُوِّنت هذه الاتفاقية باللغة العربية من صورتين، تحفظ كل صورة لدى فريق من الحكومتين المتعاقبتين.

المادة الحادية عشرة: تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة مكة المكرمة. وقعت هذه المعاهدة فى تاريخ ٤ اربيع الآخر سنة ١٣٤٥هـ الموافق ٢١ أكتوبر سنة ١٩٢٦م.

ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها	إمام عسير
عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل	الحسن بن على الإدريسى

آل سعود

(الختم الملوكى)	(الختم الرسمى)
-----------------	----------------

تم ذلك بحضور راقم هذه الأحرف

خادم الاسلام

أحمد الشريف السنوسى

(الختم)

ملحق (٣)

معاهدة صداقة وحسن جوار

بين المملكة العربية السعودية، والمملكة المتوكلية اليمنية

حسب الأمر من سيادة الإمام الأعظم يحيى بن محمد حميد الدين،
وجلالة الملك المعظم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، قد
اجتمعنا من طرف الملكين لعقد اتفاقية بين الحكومتين بموجب المواد المبينة
أدناه:

المادة الأولى: أن يكون على الدولتين المحافظة على الصداقة وحسن
الجوار، وتوثيق عرى المحبة، وعدم إدخال الضرر ببلاد كل منهما على
الآخر.

المادة الثانية: يكون على كل من الدولتين تسليم المجرمين السياسيين
وغير السياسيين، المحدثين بعد هذه الاتفاقية، كل حكومة عند طلب
حكومته له.

المادة الثالثة: يكون على كل من الدولتين معاملة رعايا الدولة
الأخرى في بلادها في جميع الحقوق طبق الأحكام الشرعية.

المادة الرابعة: يكون على كل من الدولتين الضبط والتسليم لرعايا
الدولة الأخرى في كل الحقوق الشرعية، فما أشكل ولم ينهه الأمراء ولا
العمال فمرجهه إلى الملك والإمام.

المادة الخامسة: على كل من الدولتين عدم قبول من يفر من طاعة دولته كبيراً أو صغيراً، مستخدماً أو غير مستخدم، وإرجاعه إلى دولته حالاً.

المادة السادسة: إذا حدث حادث من إحدى الحكومتين في بلاد الأخرى فعلى المحدث أن يحاكم في المحاكم التي وقع فيها الحادث.

المادة السابعة: منع الأمراء والعمال عن التدخل بالرعايا، مما يحدث القلق ويوقع سوء التفاهم بين الدولتين.

المادة الثامنة: أن كل من يسكن من رعايا الطرفين في بلاد الآخر بعد هذه الاتفاقية، وتطلبه حكومته فإنه يساق إلى حكومته حالاً.

هذا ما حصل به التراضي بين المنوبين على أن يكون العمل بهذه الثمان مواد بعد مصادقة وموافقة الملكين المعظمين عليها، (وتحرر ماذكر أعلاه من صورتين بيد كل فريق صورة بتاريخ اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٥٠هـ (١٥ ديسمبر سنة ١٩٣١م).

التواقيع والأختام

الوفد اليمني	الوفد السعودي
القاضي عبد الله بن أحمد العرشي	عبد الله بن محمد بن معمر
عبد الله بن علي مناع	فهد بن زعير
أبو طالب بن محمد معجب	عبد الوهاب بن محمد أبو ملحمة
	حمد العبدلي
	محمد بن علي الحازمي

صدق على هذه المعاهدة وأصبحت سارية المفعول من ١٥ رمضان ١٣٥٠ هـ (٢٣ يناير سنة ١٩٣٢ م).

ملحق (٤)

معاهدة صداقة إسلامية وأخوة عربية

(معاهدة الطائف لعام ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م)

بين

المملكة العربية السعودية

وبين

المملكة المتوكلية اليمنية

حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية من جهة.

وحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين، ملك اليمن من جهة أخرى.

رغبة منهما فى إنهاء حالة الحرب التى كانت قائمة لسوء الحظ فيما بينهما، وبين حكومتيهما وشعبيهما، ورغبة فى جمع كلمة الأمة الإسلامية العربية ورفع شأنها، وحفظ كرامتها واستقلالها.

ونظراً لضرورة تأسيس علاقات عهدية ثابتة بينهما وبين حكومتيهما وبلديهما على أساس المنافع المشتركة والمصالح المتبادلة.

وحباً فى تثبيت الحدود بين بلاديهما وإنشاء علاقات حسن الجوار،
وروابط الصداقة الإسلامية فيما بينهما، وتقوية دعائم السلم والسكينة بين
بلاديهما وشعبيهما.

ورغبة فى أن يكونا عضداً واحداً أمام الملّمات المفاجئة، وبنیاناً
متراضاً للمحافظة على سلامة الجزيرة العربية، قررا عقد معاهدة صداقة
إسلامية وأخوة عربية فيما بينهما، وانتدبا لذلك الغرض مندوبين مفوضين
عنهما وهما:

عن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية:

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير خالد بن عبد العزيز نجل
جلالته، ونائب رئيس مجلس الوكلاء.

وعن حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن:

حضرة صاحب السيادة السيد عبد الله بن أحمد الوزير.

وقد منح جلالة الملكين لمندوبيهما الآنفسى الذكر الصلاحية التامة
والتفويض المطلق. وبعد أن أطلع المندوبان المذكوران على أوراق التفويض
التي بيد كل منهما، فوجدها موافقة للأصول، قررا باسم مليكتهما
الاتفاق على المواد الآتية:

المادة الأولى: تنتهى حالة الحرب القائمة بين المملكة العربية
السعودية ومملكة اليمن. بمجرد التوقيع على هذه المعاهدة، وتنشأ فوراً بين

جلالة الملكين وبلاديهما وشعبيهما حالة سلم دائم، وصداقة وطيدة، وأخوة إسلامية عربية دائمة، لا يمكن الإخلال بها جميعاً أو بعضها، ويتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يحلا بروح الوُدِّ والصداقة جميع المنازعات والاختلافات التي قد تقع بينهما، وبأن يسود علاقتهما روح الإخاء الإسلامي العربي في سائر المواقف والحالات، ويشهدان الله على حسن نواياهما، ورغبتهما الصادقة في الرفاق والاتفاق سرّاً وعلناً، ويرجوان منه سبحانه وتعالى أن يوفقهما وخلفاءهما وورثاءهما وحكومتيهما إلى السير على هذه الخطة القوية التي فيها رضا الخالق وعز قومهما ودينهما.

المادة الثانية: يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر باستقلال كل من الملكين استقلالاً تاماً مطلقاً، وملكيتة عليها، فيعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، ملك المملكة العربية السعودية، لحضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى وخلفائه الشرعيين باستقلال مملكة اليمن استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالمملكة على مملكة اليمن. ويعترف حضرة صاحب الجلالة الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ملك اليمن لحضرة صاحب الجلالة الإمام عبد العزيز وخلفائه الشرعيين باستقلال المملكة العربية السعودية استقلالاً تاماً مطلقاً، وبالمملكة على المملكة العربية السعودية. ويسقط كل منهما أي حق يدعيه في قسم أو أقسام من بلاد الآخر خارج الحدود القطعية الميمنة في صلب هذه المعاهدة.

إن جلالة الإمام الملك عبد العزيز يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه من حماية أو احتلال أو غيرها في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة لليمن من البلاد التي كانت بيد الأدارسة وغيرها. كما أن جلالة الإمام الملك يحيى يتنازل بهذه المعاهدة عن أي حق يدعيه بأسم الوحدة اليمنية أو غيرها، في البلاد التي هي بموجب هذه المعاهدة تابعة للمملكة العربية السعودية من البلاد التي كانت بيد الأدارسة أو آل عائض أو في نجران وبلاديام.

المادة الثالثة: يتفق الفريقان الساميان المتعاقدان على الطريقة التي تكون بها الصلات والمراجعات، بما فيه حفظ مصالح الطرفين، وبما لا ضرر فيه على أيهما، على أن لا يكون مئمنحه أحد الفريقين الساميين المتعاقدين للآخر أقل مما يمنحه لفريق ثالث، ولا يوجب هذا على أي الفريقين أن يمنح الآخر أكثر مما يقابله بمثله.

المادة الرابعة: خط الحدود الذي يفصل بين بلاد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين موضح بالتفصيل الكافي فيما يلي، ويعتبر هذا الخط حداً فاصلاً قطعياً بين البلاد التي تخضع لكل منهما:

يبدأ خط الحدود بين المملكتين اعتباراً من النقطة الفاصلة بين ميدي والموسم على ساحل البحر الأحمر إلى جبال تهامة في الجهة الشرقية، ثم يرجع شمالاً إلى أن ينتهي إلى الحدود الغربية الشمالية التي بين بنى جماعة ومن يقابلهم من جهة الغرب والشمال، ثم ينحرف إلى جهة الشرق إلى أن ينتهي إلى ما بين حدود "نقعة" و"وعار" التابعتين لقبيلة وائلة وبين

حدود يام، ثم ينحرف إلى أن يبلغ مضيق مروان وعقبة رفادة، ثم ينحرف إلى جهة الشرق حتى ينتهى من جهة الشرق إلى أطراف الحدود بين من عدايهم من همدان بن زيد وأئلى وغيره وبين يام، فكلما عن يمين الخط المذكور الصاعد من النقطة المذكورة التى على ساحل البحر إلى متهى الحدود فى جميع جهات الجبال المذكورة فهو من المملكة اليمانية، وكلما هو عن يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية، فما هو فى جهة اليمين المذكورة هو ميدى وحرش وبعض قبيلة الحرث والمير وجبال الظاهر وشذا والضيعة وبعض العبادل وجميع بلاد وجبال رازح ومنبه مع عرو آل امشيخ، وجميع بلاد وجبال بنى جماعة وسحار الشام يباد ومايليها، ومحل مريصة من سحار الشام، وعموم سحار ونقعة ووعار وعموم وأتلة، وكذا الفرع مع عقبة نهركة، وعموم من عدا يام ووادعة ظهران من همدان بن زيد. هؤلاء المذكورون وبلادهم محددها المعلومة. وكل ما هو بين الجهات المذكورة ومايليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة اليمانية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو فى جهة اليمين فهو من المملكة اليمانية، وماهو فى جهة اليسار المذكورة وهو المُوَسَّم ووعلان وأكثر الحرث والخوبة والجابري وأكثر العبادل وجميع فيفا وبنى مالك وبنى حريص وآل تليد وقحطان وظهران وادعة، وجميع وادعة ظهران مع مضيق مروان وعقبة رفادة وما خلفهما من جهة الشرق والشمال من يام ونجران والحضن وزور وادعة، وسائر من هو فى نجران من وأتلة، وكل ما هو تحت عقبة نهركة إلى أطراف نجران ويام من جهة الشرق هؤلاء المذكورون وبلادهم محددها المعلومة، وكل

ماهو بين الجهات المذكورة، وما يليها مما لم يذكر اسمه مما كان مرتبطاً ارتباطاً فعلياً أو تحت ثبوت يد المملكة العربية السعودية قبل سنة ١٣٥٢ كل ذلك هو فى جهة يسار الخط المذكور فهو من المملكة العربية السعودية. وماذكر من يام ونجران والحضن وزور وادعة وسائر من هو فى نجران من وائلة فهو بناء على ماكان من تحكيم جلالة الإمام يحيى لجلالة الملك عبد العزيز فى يام، والحكم من جلالة الملك عبد العزيز بأن جميعها تتبع المملكة العربية السعودية، وحيث أن الحضن وزور وادعة ومن هو من وائلة فى نجران هم من وائلة، ولم يكن دخولهم فى المملكة العربية السعودية إلا لما ذكر، فذلك لايمنعهم ولايمنع إخوانهم وائلة عن التمتع بالصلات والمواصلات والتعاون المعتاد والمتعارف به. ثم يمتد هذا الخط من نهاية الحدود المذكورة آنفاً بين أطراف قبائل المملكة العربية السعودية وأطراف من عدا يام من همدان بن زيد، وسائر قبائل اليمن، فللمملكة اليمنية كل الأطراف والبلاد اليمنية إلى منتهى حدود اليمن من جميع الجهات، وللمملكة العربية السعودية كل الأطراف والبلاد إلى منتهى حدودها من جميع الجهات، وكل ماذكر فى هذه المادة من نقط شمال وجنوب وشرق وغرب فهو باعتبار كثرة اتجاه ميل خط الحدود فى اتجاه الجهات المذكورة، وكثيرا مايميل لتداخل ما إلى كل من المملكتين، أما تعيين وتثبيت الخط المذكور وتمييز القبائل وتحديد ديارها على أكمل الوجوه فيكون إجراؤه بواسطة هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من الفريقين بصورة ودية أخوية بدون حيف، بحسب العرف والعادة الثابتة عند القبائل.

المادة الخامسة: نظراً لرغبة كل من الفريقين الساميين المتعاقدين فى دوام السلم والطمأنينة والسكون، وعدم إيجاد أيّ شئ يشوش الأفكار بين المملكتين، فإنهما يتعهدان تعهداً متقابلاً بعدم إحداث أى بناء محصن فى مسافة خمسة كيلو مترات فى كل جانب من جانبي الحدود فى كل المواقع والجهات على طول خط الحدود.

المادة السادسة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بسحب جنده فوراً عن البلاد التى أصبحت بموجب هذه المعاهدة تابعة للفريق الآخر، مع صون الأهلىن والجند عن كل ضرر.

المادة السابعة: يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بأن يمنع كل منهما أهالى مملكته عن كل ضرر وعدوان على أهالى المملكة الأخرى فى كل جهة وطريق، وبأن يمنع الغزو بين أهل البوادرى من الطرفين، ويرد كل مايبث أخذه بالتحقيق الشرعى من بعد إبرام هذه المعاهدة وضمن ماتلف، وبما يلزم بالشرع فيما وقع من جناية قتل أو جرح، وبالعقوبة الحاسمة على من ثبت منهم العدوان، ويظل العمل بهذه المادة سارياً إلى أن يوضع بين الفريقين إتفاق آخر لكيفية التحقيق وتقدير الضرر والخسائر.

المادة الثامنة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين تعهداً متقابلاً بأن يمتنعا عن الرجوع للقوة لحل المشكلات بينهما، وبأن يعملوا جدهما لحل مايمكن أن ينشأ بينهما من الاختلاف سواء كان سببه ومنتشوه هذه المعاهدة أو تفسير كل أو بعض موادها أم كان ناشئاً عن أي سبب آخر بالمراجعات الودية، وفى حالة عدم إمكان التوفيق بهذه الطريقة

يتعهد كل منهما بأن يلجأ إلى التحكيم الذى توضح شروطه وكيفية طلبه وحصوله فى ملحق مرفق بهذه المعاهدة. ولهذا الملحق نفس القوة والنفوذ اللذين لهذه المعاهدة، ويحسب جزءاً منها وبعضاً متمماً للكل فيها.

المادة التاسعة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بان يمنع بكل ماله من الوسائل المادية والمعنوية استعمال بلاده قاعدة ومركزاً لأيّ عمل عدائى أو شروع فيه، أو استعداد له ضد بلاد الفريق الآخر. كما أنه يتعهد باتخاذ التدابير الآتية بمجرد وصول طلب خطي من حكومة الفريق الآخر وهى:

١- إن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة المطلوب منها اتخاذ التدابير، فبعد التحقيق الشرعى وثبوت ذلك، يودب فوراً من قبل حكومته بالأدب الرادع الذى يقضى على فعله ويمنع وقوع أمثاله.

٢- وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا الحكومة الطالبة اتخاذ التدابير، فإنه يلقى القبض عليه فوراً من قبل الحكومة المطلوب منها، ويسلم إلى حكومته الطالبة. وليس للحكومة المطلوب منها التسليم عذر عن إنفاذ الطلب، وعليها اتخاذ كافة الإجراءات لمنع فرار الشخص المطلوب أو تمكينه من الهرب، وفى الأحوال التى يتمكن فيها الشخص المطلوب من الفرار فإن الحكومة التى فرّ من أراضيها تتعهد بعدم السماح له بالعودة إلى

أراضيها مرة أخرى، وإن تمكن من العودة إليها يلقى القبض عليه ويسلم إلى حكومته.

٣- وإن كان الساعى فى عمل الفساد من رعايا حكومة ثالثة، فإن الحكومة المطلوب منها والتي يوجد الشخص على أراضيها تقوم فوراً، وبمجرد تلقيها الطلب من الحكومة الأخرى، بطرده من بلاده وعده شخصاً غير مرغوب فيه، ويمنع من العودة إليها فى المستقبل.

المادة العاشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم قبول من يفرّ عن طاعة دولته كبيراً كان أم صغيراً موظفاً كان أم غير موظف، فرداً كان أم جماعة، ويتخذ كل من الفريقين الساميين المتعاقدين كافة التدابير الفعالة من إدارية وعسكرية وغيرها لمنع دخول هؤلاء الفارين إلى حدود بلاده. فإن تمكن أحدهم أو كلهم من اجتياز خط الحدود بالدخول فى أراضيها فيكون عليه واجب نزع السلاح من المتحجى، وإلقاء القبض عليه وتسليمه إلى حكومة بلاده الفار منها، وفى حالة عدم إمكان القبض عليه تتخذ كافة الوسائل لطرده من البلاد التى لجأ إليها إلى بلاد الحكومة التى يتبعها.

المادة الحادية عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بمنع الأمراء والعمال والموظفين التابعين له من المداخلة بأيّ وجه كان، مع

رعايا الفريق الآخر بالذات أو بالواسطة، ويتعهد باتخاذ كامل التدابير التى تمنع حدوث القلق، أو توقع سوء التفاهم بسبب الأعمال المذكورة.

المادة الثانية عشرة: يعترف كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن أهل كل جهة من الجهات الصائرة إلى الفريق الآخر بموجب هذه المعاهدة، رعية لذلك الفريق.

ويتعهد كل منهما بعدم قبول أيّ شخص أو أشخاص من رعايا الفريق الآخر رعية له إلا بموافقة ذلك الفريق، وبأن تكون معاملة رعايا كل من الفريقين فى بلاد الفريق الآخر طبقاً للأحكام الشرعية المحلية.

المادة الثالثة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بإعلان العفو الشامل الكامل، عن سائر الأجرام والأعمال العدائية، التى يكون قد ارتكبها فرد أو أفراد من رعايا الفريق الآخر المقيمين فى بلاده (أى فى بلاد الفريق الذى منه إصدار العفو) كما أنه يتعهد بإصدار عفو عام شامل كامل عن أفراد رعاياه الذين لجأوا أو انحازوا أو بأيّ شكل من الأشكال انضموا إلى الفريق الآخر، عن كل جناية ومال أخذه منذ لجأوا إلى الفريق الآخر، إلى عودهم كائناً ماكان، وبالغاً مابلغ، وبعدم السماح بإجراء أيّ نوع من الإيذاء أو التعقيب أو التضييق بسبب ذلك الاتجاه أو الانحياز أو الشكل الذى انضموا إليه. وإذا حصل ريب عند أيّ الفريقين بوقوع شئ مخالف لهذا العهد كان لمن حصل عنده الريب أو الشك من الفريقين مراجعة الفريق الآخر، لأجل إجتماع المندوبين الموقعين على هذه المعاهدة، وإن تعذر على أحدهما الحضور فينبى عنه آخر له

كامل الصلاحية والاطلاع على تلك النواحي، ممن له كامل الرغبة والعناية بصلاح ذات البين والوفاء بحقوق الطرفين، بالحضور لتحقيق الأمر حتى لا يحصل أيّ حيف ولا نزاع وما يقرره المتدبران يكون نافذاً.

المادة الرابعة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين ببرد وتسليم أملاك رعاياه الذين يعفى عنهم اليهم، أو إلى ورثتهم عند رجوعهم إلى وطنهم خاضعين لأحكام مملكتهم، وكذلك يتعهد الفريقان الساميان المتعاقدان بعدم حجز أى شئ من الحقوق والأملاك التى تكون لرعايا الفريق الآخر فى بلاده، ولا يعرقل استثمارها أو أيّ نوع من أنواع التصرفات الشرعية فيها.

المادة الخامسة عشرة: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بعدم المداخلة مع فريق ثالث، سواء كان فرداً أم هيئة أم حكومة، أو الاتفاق معه على أيّ أمر يخل بمصلحة الفريق الآخر، أو يضر ببلاده، أو يكون من ورائه أحداث المشكلات والصعوبات له، أو يعرض منافعها ومصالحها وكيانها للأخطار.

المادة السادسة عشرة: يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان اللذان تجمعهما روابط الأخوة الإسلامية، والعنصرية العربية، أن أمتهم أمة واحدة، وأنهما لا يريدان بأحد شراً، وأنهما يعملان جهدهما لأجل ترقية شؤون أمتهم فى ظل الطمأنينة والسكون، وأن يبذلا وسعهما فى سائر

المراقف لما فيه الخير لبلاديهما وأمتهماء، غير قاصدين بهذا أيّ عدوان على أية أمة.

المادة السابعة عشرة: فى حالة حصول اعتداء خارجى على بلاد أحد الفريقين السامين المتعاقدين، يتحتم على الفريق الآخر أن ينفذ التعهدات الآتية:

أولاً - الوقوف على الحياد التام سرّاً وعلناً.

ثانياً - المعاونة الأدبية والمعنوية الممكنة.

ثالثاً - الشروع فى المذاكرة مع الفريق الآخر، لمعرفة أنجع الطرق لضمان سلامة بلاد ذلك الفريق، ومنع الضرر عنها، والوقوف فى موقف لا يمكن تأويله بأنه تعضيد للمعتدى الخارجى.

المادة الثامنة عشرة: فى حالة حصول فتن أو إعتداءات داخلية فى بلاد أحد الفريقين السامين المتعاقدين، يتعهد كل منهما تعهداً متقابلاً بما يأتى:

أولاً - إتخاذ التدابير الفعالة اللازمة لعدم تمكين المعتدين أو الشائرين من الاستفادة من أراضيه.

ثانياً - منع التجاء اللاجئين إلى بلاده وتسليمهم أو طردهم إذا لجأوا إليها كما هو موضح فى المادة (التاسعة والعاشرة) أعلاه.

ثالثاً - منع رعاياه من الاشتراك مع المعتدين أو الثائرين، وعدم تشجيعهم أو تمويهم.

رابعاً - منع الإمدادات والأرزاق والمون والذخائر عن المعتدين.

المادة التاسعة عشرة: يعلن الفريقان الساميان المتعاقدان رغبتهما فى عمل كل ممكن لتسهيل المواصلات البريدية والبرقية، وتزويد الإتصال بين بلاديهما، وتسهيل تبادل السلع والحاصلات الزراعية والتجارية بينهما، وفى إجراء مفاوضات تفصيلية من أجل عقد اتفاق جمركى يصون مصالح بلاديهما الاقتصادية، بتوحيد الرسوم الجمركية فى عموم البلادين، أو بنظام خاص بصورة كافلة لمصالح الطرفين، وليس فى هذه المادة مايقيد حرية أحد الفريقين الساميين المتعاقدين فى أيّ شئ حتى يتم عقد الإتفاق المشار اليه.

المادة العشرون: يعلن كل من الفريقين الساميين المتعاقدين استعداداه لأن يأذن لمثليه ومندوبيه فى الخارج، إن وجدوا بالنيابة عن الفريق الآخر، متى أراد الفريق الآخر ذلك فى أيّ شئ وفى أيّ وقت، ومن المفهوم أنه حينما يوجد فى ذلك العمل شخص من كل الفريقين فى مكان واحد فإنهما يتراجعان فيما بينهما لتوحيد خطتهما للعمل المعائد لمصلحة البلادين التى هى كامة واحدة. ومن المفهوم أن هذه المادة لاتقيد حرية أحد الجانبين بأيّ صورة كانت، فى أيّ حق له، كما أنه لايمكن أن تفسر بحجز حرية أحدهما أو اضطرابه لسلوك هذه الطريقة.

المادة الحادية والعشرون: يلغى ماتضمنته الإتفاقية الموقع عليها فى
٥ شعبان ١٣٥٠ على كل حال اعتباراً من تاريخ إبرام هذه المعاهدة.

المادة الثانية والعشرون: تيرم هذه المعاهدة وتصدق من قبل حضرة
صاحبى الجلالة الملكين فى أقرب مدة ممكنة نظراً لمصلحة الطرفين فى
ذلك، وتصبح نافذة المفعول من تاريخ تبادل قرارات إبرامها مع استثناء
مانص عليه فى المادة الأولى من إنهاء حالة الحرب بمحرد التوقيع، وتظل
سارية المفعول مدة عشرين سنة قمرية تامة، ويمكن تجديدها أو تعديلها
خلال الستة الأشهر التى تسبق تاريخ انتهاء مفعولها، فان لم تجدد أو تعدل
فى ذلك التاريخ تظل سارية المفعول إلى مابعد ستة أشهر من إعلان أحد
الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر رغبته فى التعديل.

المادة الثالثة والعشرون: تسمى هذه المعاهدة "بمعاهدة الطائف"
وقد حررت من نسختين باللغة العربية الشريفة، بيد كل من الفريقين
السامين المتعاقدين نسخة، وإشهاداً بالواقع وضع كل من المندوبين
المفوضين توقيعه.

وكتب فى مدينة جدة فى اليوم السادس من شهر صفر سنة ثلاث
وخمسين بعد الثلاثمائة والألف.

التوقيع

عبد الله بن أحمد الوزير

التوقيع

خالد بن عبد العزيز السعود

ملحق (٥) **عهد التحكيم**

بين المملكة العربية السعودية وبين مملكة اليمن

عما أن حضرة صاحبي الجلالة الإمامين الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية، والملك يحيى ملك اليمن، قد اتفقا بموجب المادة الثامنة من معاهدة الصلح والصداقة وحسن التفاهم، المسماة "بمعاهدة الطائف" والموقع عليها في السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف على أن يخيلا إلى التحكيم أيّ نزاع أو اختلاف ينشأ عن العلاقات بينهما وبين حكومتيهما وبلديهما، متى عجزت سائر المراجعات الودية عن حله، فإن الفريقين الساميين المتعاقدين يتعهدان بإجراء التحكيم على الصورة المبينة في المواد الآتية:

المادة الأولى: يتعهد كل من الفريقين الساميين المتعاقدين بأن يقبل بإحالة القضية المتنازع فيها على التحكيم خلال شهر واحد من تاريخ استلام طلب إجراء التحكيم من الفريق الآخر إليه.

المادة الثانية: يجرى التحكيم من قبل هيئة مؤلفة من عدد متساوٍ من المحكمين، ينتخب كل فريق نصفهم، ومن حكم وازع ينتخب باتفاق الفريقين الساميين المتعاقدين، وإن لم يتفقا على ذلك يرشح كل منهما شخصاً، فإن قبل أحد الفريقين بالمرشح الذي يقدمه الفريق الآخر فيصبح وازعاً، وإن لم يمكن الاتفاق على ذلك تجري القرعة على أيهما يكون

وازعاً، مع العلم بأن القرعة لا تجرى إلا على الأشخاص المقبولين من الطرفين، فمن وقعت القرعة عليه أصبح رئيساً لهيئة التحكيم، ووازعاً للفصل فى القضية، وإن لم يحصل الاتفاق على الأشخاص المقبولين من الطرفين تجرى المراجعات فيما بعد إلى أن يحصل الاتفاق على ذلك.

المادة الثالثة: يجب أن يتم اختيار هيئة التحكيم ورئيسها خلال شهر واحد من بعد انقضاء الشهر المعين لإحابة الفريق المطلوب منه الموافقة على التحكيم لقبوله لطلب الفريق الآخر. وتجتمع هيئة المحكمين فى المكان الذى يتم الاتفاق عليه فى مدة لا تزيد عن شهر واحد بعد انقضاء الشهرين المعينين فى أول المادة وعلى هيئة المحكمين أن تعطى حكمها خلال مدة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تزيد عن شهر واحد من بعد انقضاء المدة التى عينت للاجتماع كما هو مبين أعلاه، ويعطى حكم هيئة التحكيم بالأكثرية، ويكون الحكم ملزماً للفريقين، ويصبح تنفيذه واجباً بمجرد صدوره وتبليغه، ولكل من الفريقين الساميين المتعاقدين أن يعين الشخص أو الأشخاص الذين يريدون للدفاع عن وجهة نظره أمام هيئة التحكيم وتقديم البيانات والحجج اللازمة لذلك.

المادة الرابعة: أجور محكمى كل فريق عليه، وأجور رئيس هيئة التحكيم مناصفة بينهما، وكذلك الحكم فى نفقات المحاكمة الأخرى.

المادة الخامسة: يعتبر هذا العهد جزءاً متمماً لمعاهدة الطائف، الموقع عليها فى هذا اليوم، السادس من شهر صفر سنة ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف، ويظل سارى المفعول مدة سريان المعاهدة المذكورة، وقد

حرر هذا من نسختين باللغة العربية، يكون بيد كل من الفريقين الساميين
المتعاقدين نسخة.

وإقراراً بذلك جرى توقيعه فى اليوم السادس من شهر صفر سنة
ثلاث وخمسين بعد الثلاثمائة والألف.

التوقيع

التوقيع

خالد بن عبد العزيز السعود

عبد الله بن أحمد الوزير

المراجع

أولاً:-

- القرآن الكريم.

- بعض كتب السنة النبوية.

ثانياً:- الكتب المطبوعة.

د.أباطة، فاروق عثمان

- الحكم العثماني في اليمن (١٨٧٢-١٩١٨م) بيروت، الطبعة

الثانية، ١٩٧٩م.

- سياسة بريطانيا في عسير أثناء الحرب العالمية الأولى، القاهرة،

دارالمعارف ١٩٨٧م.

- دراسة تاريخية لقضايا الحدود السياسية للدولة السعودية، بين

الحربين العالميتين، القاهرة ١٩٨٧م.

ابن إياس، أبوالبركات محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ)

- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق الدكتور محمد مصطفى،

القاهرة الطبعة الثانية، ١٩٦١-١٩٦٣م.

باخرمة، عبدا لله الطيب بن عبدا لله بن أحمد، الحضرمي (ت ٩٢٨هـ)

- تاريخ نجر عدن - القاهرة

ابن بسام، عبدا لله بن عبد الرحمن بن صالح.

- علماء نجد خلال ستة قرون. مكة المكرمة، مكتبة ومطبعة النهضة

الحديثة، الطبعة الأولى ١٣٩٨هـ.

ابن بشر، عثمان بن عبد الله.

- عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ

الرياض، دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م

البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبدالعزيز، الأندلسي (ت ٤٨٧هـ)

- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، القاهرة، لجنة التأليف

والترجمة والنشر، ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م.

البهكلي، عبدالرحمن بن أحمد

- نفع العود في سيرة دولة الشريف حمود، وتكملة الحسن بن أحمد بن

عاكش، تحقيق وتعليق محمد بن أحمد العقيلي، الرياض، دار الملك

عبدالعزيز، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

جارشلي، اسماعيل حقي.

- أمراء مكة المكرمة في العهد العثماني، ترجمة الدكتور خليل مراد،

البصرة، ١٩٨٥م.

جاكلين، بيرين.

- اكتشاف جزيرة العرب. ترجمة قدرى قلجى، الرياض الفاخرية،

والكاتب العربى.

الجبرتي، عبدالرحمن بن حسن (ت ١٢٤٠هـ)

- عجائب الآثار في التراجم والأخبار، القاهرة ١٣٢٢هـ.

الجرافي، عبد الله بن عبد الكريم.

- المقتطف من تاريخ اليمن، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

د. جريس، غيثان بن على.

- صفحات من تاريخ عسير، جدة، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م
الجريسى، راشد بن على الحنبلى.

- مثير الوجد فى أنساب ملوك نجد، تحقيق عبدالواحد محمد راغب،
الرياض، دار الملك عبدالعزيز، ١٣٩٧هـ.

جمعة، محمد كمال.

- أنتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية،
الرياض، دار الملك عبدالعزيز.

د. الجميعى، عبدالمنعم ابراهيم الدسوقي.

- عسير خلال قرنين (١٢١٥-١٤٠٨هـ) الرياض، نادى أبها
الأدبى، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

جون بولدرى.

- العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركى،

(١٩١٤-١٩١٩م) ترجمة الدكتور سيد مصطفى سالم، القاهرة
١٩٨٢م.

جون.س. ولينكسون.

- حدود الجزيرة العربية، قصة الدور البريطانى فى رسم الحدود عبر

الصحراء، ترجمة مجدى عبدالكريم، القاهرة، مدبولى ١٤١٤هـ/
١٩٩٣م

ابن حزم، أبو محمد، على بن أحمد بن سعيد، الأندلسى (ت ٤٥٦هـ)

- جهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون. القاهرة، دار

المعارف ١٣٩١هـ / ١٩٧١م.

د. حسن، حسن إبراهيم

- اليمن البلاد السعيدة، القاهرة سلسلة اخترنا لك، دار المعارف

ابن الحسين، يحيى بن الحسين بن قاسم (١١٠٠هـ)

- غاية الأمانى فى اخبار القطر اليمانى. تحقيق الدكتور سعيد

عبدالفتاح عاشور، مراجعة الدكتور محمد مصطفى زيادة، القاهرة

١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

الحصرى، أبو خلدون، ساطع.

- البلاد العربية والدولة العثمانية، القاهرة، ١٩٥٧م

د. الحفنى، عبد المنعم.

- موسوعة الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية. القاهرة.

الحقيل، حمد بن ابراهيم بن عبد الله.

- كنز الأنساب وجمع الأداب. الرياض، الطبعة العاشرة ١٤٠٤هـ /

١٩٨٤م.

حمزة، فؤاد.

- فى بلاد عسير، الرياض الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

- البلاد العربية السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

- قلب جزيرة العرب، الرياض، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

د. الخترش، فتوح عبدالحسن.

- تاريخ العلاقات السعودية اليمنية (١٩٢٦-١٩٣٤م) الكويت، ذات

السلاسل، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

- د. ابو داهش، عبد الله بن محمد بن حسين.
- عسير في ظلال الدولة السعودية الأولى، السعودية، نادى أبها
الأدبي، ١٤١٠هـ / ١٩٨٩م.
- د.الدقاق، محمد السعيد.
- التنظيم الدولي، الاسكندرية، ١٩٩٠م.
- دلال، عبدالواحد محمد راغب.
- مطالعات في المؤلفات التاريخية اليمنية. القاهرة، مؤسسة دارالتعاون
للطبع والنشر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.
- د. ربيع، حسنين محمد.
- البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ضمن أبحاث الأسبوع العلمي الثالث
لسمنار جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، القاهرة ١٩٨٠م
- الريحاني، أمين.
- نجد وملحقاته. الرياض، الفاخرية، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ / ١٩٨١م
- ملوك العرب، بيروت، الطبعة الثامنة.
- ابن زبارة، محمد بن محمد بن يحيى، الحسنى، الصنعاني.
- أئمة اليمن بالقرن الرابع عشر الهجرى، القسم الخامس، القاهرة
المطبعة السلفية.
- الزركلى، خير الدين.
- شبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، أربعة أجزاء، فى ثلاثة
مجلدات. أخذت صفحاتها رقماً مسلسلأ واحداً، بيروت ١٣٩٠هـ /
١٩٧٠م

- د. آل زلفه، محمد بن عبد الله.
- دراسات من تاريخ عسير الحديث، الرياض، ١٤١٢ / ١٩٩١ م.
- د. الزيلعي، أحمد بن عمر.
- الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان في العصور الإسلامية الوسيطة. الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ / ١٩٩٢ م.
- د. سالم، السيد مصطفى.
- الفتح العثماني الأول لليمن (١٥٣٨ - ١٦٣٥ م) الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٧٤ م.
- تكوين اليمن الحديث، اليمن والإمام يحيى (١٩٠٤ - ١٩٤٨ م) القاهرة ١٩٦٣ م
- سعيد، أمين.
- تاريخ الدولة السعودية، الرياض، دار الملك عبدالعزيز. جزءان في مجلد.
- سلفاتور أبونتى.
- مملكة الإمام يحيى، أورحلة في بلاد العربية السعيدة، ترجمة طه فوزى، القاهرة ١٣٦٦ هـ / ١٩٤٧ م وهي عبارة عن فصول اختارها المترجم من كتاب سلفاتور، بعنوان "خفايا الحياة في العربية السعيدة" ووضع المترجم لها هذا العنوان.
- سنت جون فيليبى.
- تاريخ نجد ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب. القاهرة، مديولى ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م.

- د. السيد، عصام ضياء الدين.
- عسير في العلاقات السعودية اليمنية (١٣٣٨هـ - ١٣٧٣هـ)
- القاهرة دار الزهراء للنشر. ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م.
- د. شرف الدين، أحمد حسين.
- اليمن عبر التاريخ، الطبعة الرابعة، الرياض ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- الشوكانى، محمد بن على.
- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، القاهرة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م.
- آل الشيخ، عبد الرحمن بن عبد اللطيف.
- مشاهير علماء نجد وغيرهم، الرياض، الطبعة الثانية ١٣٩٤هـ.
- آل سعود (عن تفرعات نسب آل سعود) الرياض.
- صبرى، أيوب باشا.
- مرآة جزيرة العرب، جزعان، ترجمة كل من الدكتور فؤاد متولى،
والدكتور الصفصافى أحمد المرسى، الرياض، دار الرياض للنشر
والتوزيع ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
- د. الصواف، فائق بكر، وآخرون.
- أهمية ثغر جدة، ضمن أبحاث الأسبوع الثالث لسمنار جامعة عين
شمس عام ١٩٧٩م عن البحر الأحمر فى التاريخ والسياسة الدولية،
القاهرة ١٩٨٠م.
- د. عبدربه، سعد زغلول.
- البرتغاليون والبحر الأحمر، ضمن أبحاث الأسبوع الثالث لسمنار

جامعة عين شمس عام ١٩٧٩، السابق..

د. عبدالرحيم، عبدالرحمن عبدالرحيم.

- الدولة السعودية الأولى، الجزء الأول، القاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٧٩م

- محمد على وشبه الجزيرة العربية، الجزء الثاني، القاهرة، الطبعة الأولى

١٩٨١م.

آل عبدالقادر، محمد بن عبد الله بن عبدالمحسن، الأنصارى،
الأحسانى.

- تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والجديد، الرياض

١٣٧٩هـ / ١٩٦٠م.

د. العثيمين، عبد الله الصالح.

- تاريخ المملكة العربية السعودية، الجزء الأول، الرياض، الطبعة الثانية

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

- بحوث وتعليقات فى تاريخ المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة

الأولى ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

د. العجلانى، منير.

- تاريخ البلاد العربية السعودية. عهد الإمام عبد الله بن سعود،

بيروت.

- الإمام تركى بن عبد الله، مؤسس الدولة السعودية الثانية، الرياض،

دار الشيل، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

- تاريخ مملكة فى سيرة زعيم، فيصل ملك المملكة العربية السعودية.

بيروت.

العجيري، صالح محمد.

- تقويم القرون، لمقابلة التواريخ الهجرية والميلادية خلال عشرين

قرناً، الكويت، الطبعة الثانية، ذات السلاسل، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

العقيلي، محمد بن أحمد.

- تاريخ المخلاف السليماني، جزآن، الطبعة الثالثة، ١٤١٠هـ /

١٩٨٩م

- أضواء على تاريخ الجزيرة العربية الحديث. جدة، الطبعة الأولى

١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

- المعجم الجغرافي، مقاطعة جازان، الرياض ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

- عسير في أطوار التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٦٩١م.

- نجران في أطوار التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

د. العمرى، حسين عبد الله.

- مائة عام من تاريخ اليمن الحديث (١١٦١-١٢٦٤هـ) دمشق

الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

ابن عيسى، إبراهيم بن صالح.

- عقد الدرر، ملحق بكتاب عنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر، طبعة

وزارة المعارف، الرياض.

د. العيسى، مكي بنت عبدالعزيز.

- الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

حتى نهاية الدولة السعودية الأولى، الرياض، دار الملك عبدالعزيز

١٤١٧هـ.

غالب، محمد أديب.

- من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي، الرياض، دار اليمامة

للبحث والنشر ١٣٩٥هـ / ١٩٧٥م.

الغلامي، عبد المنعم.

- الملك الراشد عبدالعزيز آل سعود. الرياض، الطبعة الثانية، دار اللواء

١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م.

ابن غنام، حسين.

- تاريخ ابن غنام، المسمى "روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام،

وتعداد غزوات ذوى الإسلام. القاهرة ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م.

الفاخرى، محمد بن عمر.

- الأخبار النجدية، تحقيق الدكتور عبد الله بن يوسف الشبل، الرياض،

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الفقى، محمد حامد.

- أثر الدعوة الوهابية في الحياة الاجتماعية والعمرانية. القاهرة ١٩٣٥م.

كحالى، سليمان شفيق باشا.

- مذكراته عن عسير، تحقيق محمد بن أحمد العقيلي، نادى أبها الأدبى،

السعودية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٤م.

الماحى، سيد.

- نجران، الأرض والناس والتاريخ. الرياض، الناشر: محمد همام

الماضى، تركى بن محمد بن تركى.

- من مذكراته عن العلاقات السعودية اليمنية (١٣٤٢-١٣٧١هـ)

الرياض، دار الشبل، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

مالكي، سليمان عبد الغني.

- بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية،

الرياض دار الملك عبدالعزيز، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

- مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الراضى المقدسة، منذ

السنة الثامنة من الهجرة حتى سقوط الخلافة العباسية. الرياض، دار

الملك عبد العزيز، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

ابن الجاور، جمال الدين، يوسف بن يعقوب، الشيباني، الدمشقي.

- صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى " تاريخ المستبصر

لابن الجاور " طبعة ليدن، ١٩٥١م.

المختار، صلاح الدين.

- تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها. بيروت.

مسفر، عبد الله بن على.

- السراج المنير في سيرة أمراء عسير. بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م.

المطاع، أحمد بن محمد.

- تاريخ اليمن الإسلامى (٢٠٤-١٠٠٦هـ) تحقيق عبد الله بن محمد

الحبشى، بيروت ١٩٨٦م / ١٤٠٧هـ.

المقحفى، ابراهيم بن أحمد.

- معجم المدن والقبائل اليمنية، صنعاء، دار الكلمة، ١٩٨٥م.

المقرىزى، تقى الدين، أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ)

- السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول والثاني، تحقيق الدكتور محمد

مصطفى زيادة، القاهرة، دار الكتب المصرية.

د. موسى، محمد يوسف.

- ابن تيمية، سلسلة أعلام العرب، القاهرة، وزارة الثقافة والأرشاد

القومي، ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م.

مؤلف مجهول.

- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب، تحقيق عبدالرحمن بن

عبد اللطيف آل الشيخ، الرياض، دار الملك عبدالعزيز.

مؤلف مجهول.

- صفحات مجهولة من تاريخ اليمن، تحقيق حسين بن أحمد السياغي،

بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، المعروف بالميداني

(٥١٨هـ)

- مجمع الأمثال، القاهرة، ١٣٥٣هـ.

الندوة العالمية للشباب الإسلامي.

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة. الرياض ١٤٠٩هـ /

١٩٨٨م.

نصيف، محمد حسين.

- ماضي الحجاز وحاضره، القاهرة ١٣٤٩هـ.

النعمي، هاشم بن سعيد.

- عسير قبيلة، وبلاداً، مجلة العرب، ج٣، ٤، ص١٨١، شوال ١٤١٢هـ /

١٩٩٢م.

النهر والى، قطب الدين، محمد بن أحمد، المكى (١٩٩٠هـ)

- البرق اليماني فى الفتح العثماني، الرياض، دار اليمامة، ١٣٨٧هـ/

١٩٦٧م.

الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب.

- صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن على الأكوخ، بإشراف الشيخ

حمد الجاسر، الرياض، دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

الواسعى، عبدالواسع بن يحيى.

- تاريخ اليمن، المسمى "فرجة الهموم والحزن فى حوادث وتاريخ

اليمن" صنعاء، الطبعة الثالثة، الدار اليمينية للنشر والتوزيع ١٤٠٢هـ/

١٩٨٢م.

ابن واصل، جمال الدين، محمد بن سالم.

- مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب. تحقيق الدكتور جمال الدين

الشيال، القاهرة ١٩٥٧م، ١٩٦٠م.

الوزير، عبد الله بن على.

- تاريخ اليمن، المسمى "طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى" تحقيق

محمد عبدالرحيم حازم. بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

وهبة، حافظ.

- حسون عاماً فى جزيرة العرب، القاهرة، الحلبي، ١٩٦٠م.

- جزيرة العرب فى القرن العشرين، القاهرة، الطبعة الرابعة ١٣٨١هـ/

١٩٦١م.

ثالثاً : الوثائق.

- مجموعة الوثائق التى تضمنها كتاب " بيان عن العلاقات السعودية اليمنية " التى أصدرته وزارة الخارجية السعودية، عام ١٣٥٣هـ. وطبع بمطبعة أم القرى.
- مجموعة وثائق عثمانية، وردت بياناتها فى موضعها من البحث، عند الاستشهاد بها.
- مجموعة وثائق إنجليزية، وردت بياناتها فى موضعها من البحث.

رابعاً : الدوريات.

- جريدة أم القرى، وهى الجريدة الرسمية للحكومة السعودية.
- جريدة الأهرام ، التى تصدر فى القاهرة.
- جريدة المؤيد، كانت تصدر فى القاهرة.
- مجلة المنار، أصدرها فى القاهرة الشيخ محمد رشيد رضا، وصدر المجلد الأول منها عام ١٣١٥هـ / ١٣١٦هـ (١٨٩٨ / ١٨٩٩م) .
- مجلة العرب، يصدرها فى الرياض الشيخ محمد الجاسر، صدر أول عدد منها فى رجب ١٣٨٦هـ (أكتوبر ١٩٦٦م)
- مجلة الفتوح، أصدرها من القاهرة محب الدين الخطيب، وصدر أول عدد منها فى ٢٩ / ١١ / ١٣٤٤هـ (١٠ / ٧ / ١٩٢٦م).

المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٣
الباب الأول: امتداد نفوذ الدولة السعودية الأولى إلى تلك المناطق	
واستمرارية الولاء.....	٧
الفصل الأول: الوضع في المنطقة إبان ظهور الدعوة السلفية.....	٨
الفصل الثاني: دخول المناطق في طاعة الدولة السعودية الأولى.....	٢١
الدعوة والدولة.....	٢١
الجنوب الغربي لنجد.....	٣٥
عسير وحازان.....	٣٧
نجران.....	٦٨
الفصل الثالث: وجود قوات محمد علي باشا، والى العثماني	
لمصر في هذه المناطق.....	٧٧
الفصل الرابع: علاقات المناطق بالدولة السعودية الثانية.....	١٠٧
الباب الثاني: عودة النفوذ العثماني المباشر.....	١٢٥
الفصل الأول: متصرفية عسير.....	١٢٦
الترتيبات الإدارية.....	١٢٦
أقضية ونواحي المتصرفية.....	١٣٧
الفصل الثاني: إمارة الأدارسة في تهامة.....	١٤٣

نسب الأدارسة.....	١٤٣
الأمير محمد بن علي الإدريسي.....	١٤٨
الفصل الثالث :إمارة آل عايض.....	١٧٧
الباب الثالث :الملك عبد العزيز وانضمام عسير وجازان إلى كيان	
المملكة العربية السعودية، وتماس الحدود السعودية	
اليمنية.....	١٩٣
الفصل الأول :مراحل عودة النفوذ السعودي إلى كل من عسير	
وجازان حتى انضمامهما.....	١٩٤
عسير.....	٢٠٠
الإمارة الإدريسية.....	٢١٠
أثر معاهدة الحماية.....	٢٢٥
الفصل الثاني : مؤتمر أبها، اندلاع الحرب، الوساطة العربية، معاهدة	
الطائف، ودراسة لبعض محتوياتها.....	٢٣١
مؤتمر أبها.....	٢٣١
اندلاع الحرب.....	٢٤٢
الوساطة العربية.....	٢٥٥
معاهدة الطائف ودراسة لبعض محتوياتها.....	٢٥٧
الملاحق.....	٢٧٥

الصفحة

الموضوع

المراجع ٣٠١

المحتويات ٣١٥

رقم الايداع ٩٨/١٦٦١
الترقيم الدولي ٤ - ٥٢٢٣ - ١٩ - ٩٧٧ I.S.B.N



مطابع دار التالون للطبع والنشر

